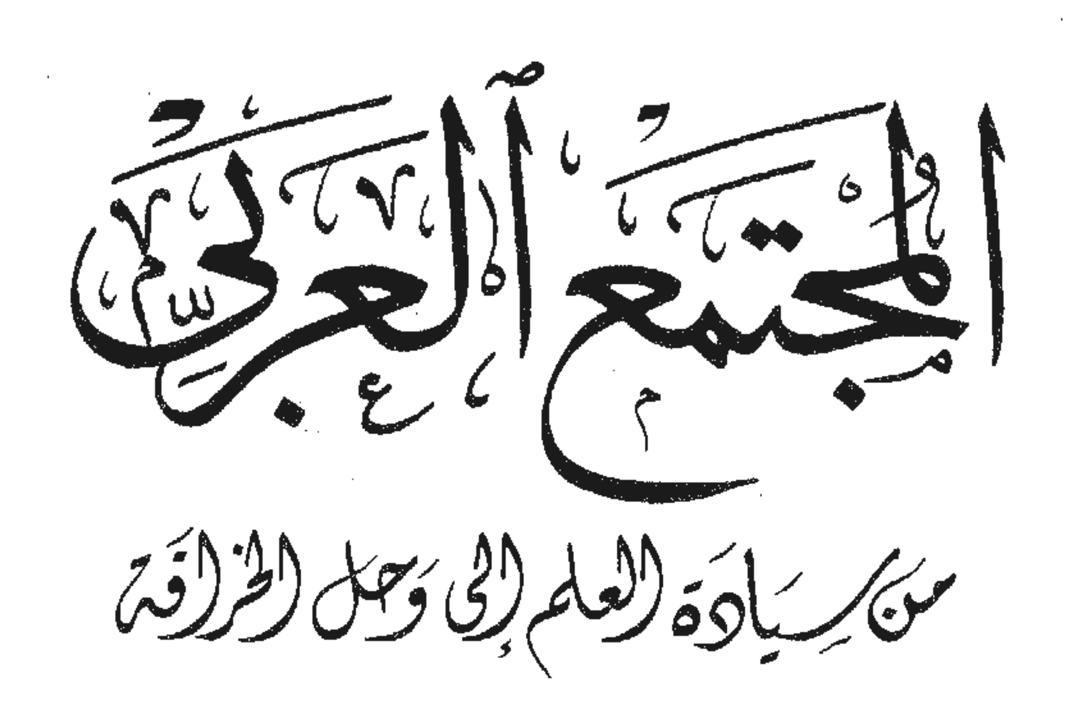


يحيى محمود بن جنيد

دار الغرب الإسلامي
تونس

الطبعة الأولى

1431 هـ - 2010 م

دار الغرب الإسلامي

العنوان: ص.ب.: 200 تونس 1015

المحتويات

مقدمة

في سنة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م نشر المؤلف كتاباً بعنوان: **كيف ورثنا الأمية: أسس الحضارة وعوامل السقوط** عن دار العلوم بالرياض، كان نتاج مقالات نُشرت في حلقات بجريدة الرياض في سنة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م. ثم أعاد المؤلف النظر في محتوى ذلك الكتاب فأضاف إليه إضافات كثيرة، وعَدَّلَ في محتواه ليأتي هذا الكتاب مُركِّزاً على جملة أمور تُظْهِرُ، في مجملها، الفرقَ بين حركة العلم المستندة إلى أهداف إيجابية محورها الإبداع والاسهام في البناء الحضاري، وبين الجنوح والسقوط في أوحال التخلف من خلال الدوران في فلك التقديس والدروشة والتصوف الخرافي، وإخماد جذوة العقل، والركون إلى النقل والتحشية، والإغراق في شروح ممجوجة، وتصنيف أعمال عبثية لا فائدة من ورائها، والانسياق وراء نوعين من الغلاة، أولهما: الذين حجروا على المرأة وأغفلوا دورها، وعرقلوا مشاركتها، وأصروا على ترسيخ مفاهيم لا علاقة لها بالإسلام، وأقفلوا باب الاجتهاد، وأفزعهم التجديد المبني على نتاجات التراث العلمي العربي الإسلامي المشرق، ورفضوا الآخر وانكفأوا على حرفية النصوص. وآخرهما: منفلتون أُغرقوا في استنتاجات مسيئة لروح الإسلام، وانجرفوا وراء الفكر الغربي، واستندوا إلى دهاقينهم من المستشرقين الذين نقدوا الإسلام وحضارته نقداً سلبيّاً، وشككوا في معطيات علومه وسلبوا إشراقاته، وجرؤوا على رموزه، وتباروا في تمجيد المناهضين لنقائه، ونفوا دوره في تشييد الحضارة الإنسانية.

ولعل العودة إلى حركة التنوير التي أوقدت شعلتها القرون الأولى، وكان العلم محورها، هي سبيل الخلاص لتُصبح مناراً ودافعاً إلى الانغماس في معطيات العصر مشاركة لا استهلاكاً.

والكتاب، كما سيرى القارئ، احتوى على اقتباسات مطولة، أوردها المؤلف لتكون شواهد قاطعة على المسارين؛ الإيجابي: الموضح لحركة العلم والرقي المجتمعي، والسلبي: الموضح لحركة التقديس والشعوذة والخرافة، وما أصاب المجتمعات من انحدار أخلاقي.

وفي الختام يود المؤلف أن يشكر للباحث الأستاذ يوسف حجاج ما كان من جهده في مراجعة نص الكتاب، وما قدمه من ملحوظات قيمة، وما صنع له من كشّاف عام، كما يشكر للأستاذ سعيد غانم ما بذله من جهد في صف الكتاب وإخراجه فنياً، وصبره على متابعة الإضافات والمراجعات.

يحيى محمود بن جنيد

الرياض ١٤٣١هـ

تمهيد

هذه محاولة لاستكشاف مسار السقوط، بعد رحلة حضارة حَلَّقت على جناحي العلم والعمل، لستُ أزعم أن كل ما فيها صوابٌ بالضرورة.

وليست هي رؤية خلصت عن تجربة وقراءات واسعة؛ بل مجرد تصورات أوليَّة جاءت نتاج قراءات غير متعمقة.

مسار السقوط مَهَّدَ له قبول السكون والدعة من الإنسان؛ بعد أن أحكمت الولوج في دروبه الملتوية جحافلُ الدراويش وأدعياءُ التصوف (ولن نقول الصوفية من الزُّهَّاد والعُبَّاد) الذين راق لمستفيدين صنيعهم فَسَخَّرُوا قواهم في تبني ضلالاتهم.

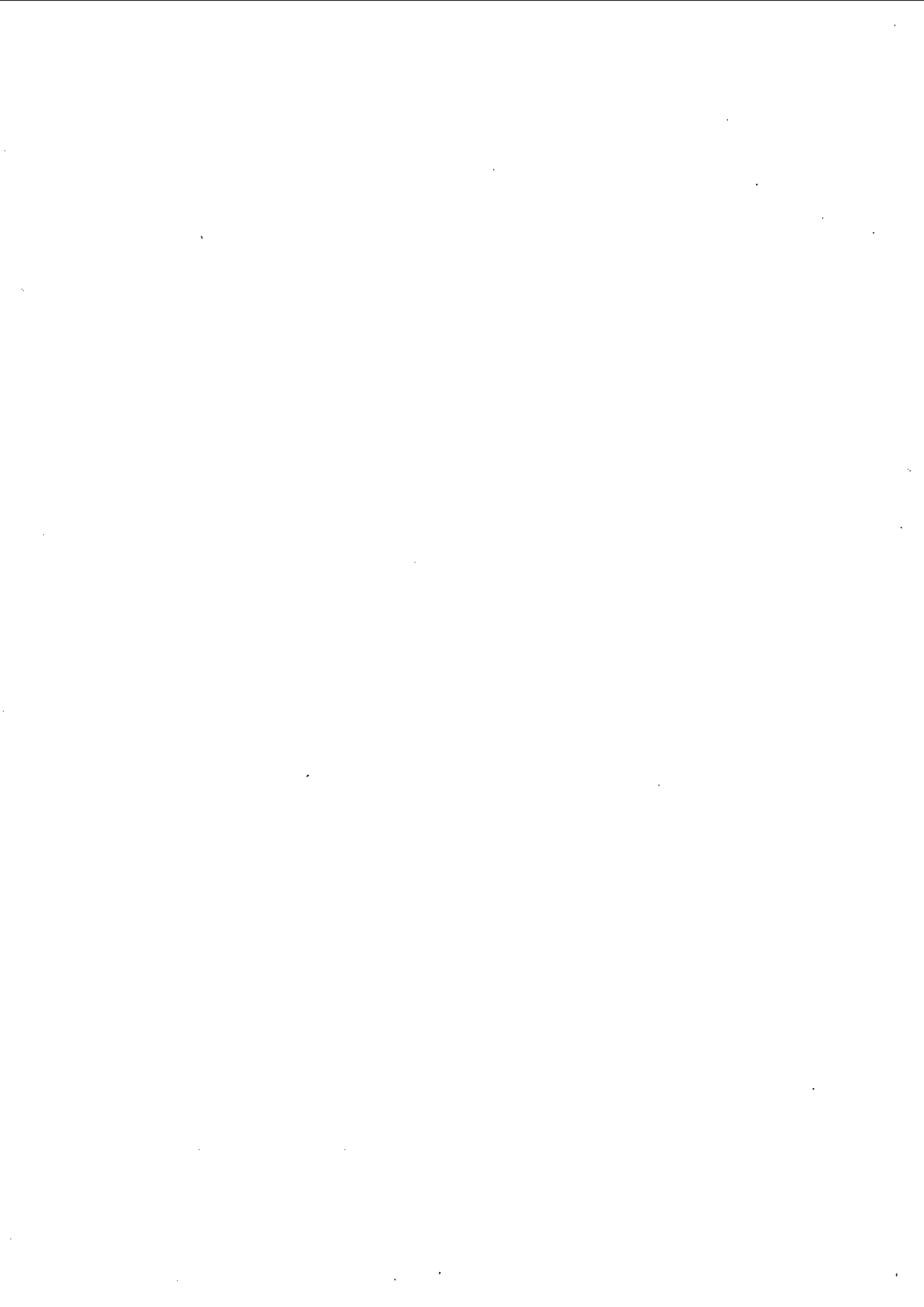
جاء الدراويش يركبون موجة دجل يُغرقون فيها ذواتهم، ويستمتعون بالاسترخاء في حلقات انسلاخ عن همة الإنسان الذي هو مُطَالَبٌ – في الأصل – بتعمير الكون والاستفادة من قدراته في تحقيق حياة كريمة له ولمجتمعه.

واستغل المستفيدون موجات الدروشة فغذوها ورسَّخُوا من جذورها؛ فشاعت وذاعت، فانتشرت مقابر ومزارات يُطاف بها، ويُكتفى بالطلب من أصحابها؛ فالفرج معقود باستجاباتهم، وركنت النفوس وتهاوت في أوحال الضعة تقبل كل شيء.. ذيولها هي التي تسم اليوم ملامح التقاعس والاستكانة وعدم المبالاة، فَالْهَمُّ الأكبر أن: أعطنا خبزنا كفاف يومنا... ودعنا نعيش حياتنا كما يراد لها أن تكون.

ونهاية الإشراق الحضاري... قطيع من الدراويش يتراقصون في حلقات الذكر يجأرون بالدعاء للأولياء، ويستغيثون بالأموات، وينصاعون للواقع هروباً من مواجهة الانحدار واستسلاماً للظروف.



القسم الأول
الارتقاء في سماء العلم والمعرفة



التصنيف:

بمقاييس العصر الذي نحن فيه،

وبمعاييره الحضارية، جُعِلَ العالم العربي بأكمله، ومعه بلاد العالم الإسلامي، في مجموعة دول العالم الثالث، أو كما يُسَمَّى الجميع أحياناً بالدول النامية، بوصفها مجموعة من الدول التي رزحت تحت شيء من التخلف ردحاً من الزمان، وهي تسعى لارتقاء سلم الحضارة، بعضها بخطى حثيثة، وبعضها الآخر بخطى متعثرة.

ومصطلح الدول النامية، أو العالم الثالث، هو مصطلح مطاطي يمتد ليحيط بكل دول العالم مستثنياً دول أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية وروسيا واليابان، ثم لحقت بهم دول أخرى مثل الصين وكوريا.

لا خيار لنا أن نكون في مجموعة العالم الثالث، لأن هذا هو الحق، فالنقلة الحضارية التي ترتكز أساساً على الجهد المعرفي المتطور، هي التي صنعت الهوة السحيقة التي تفصل بين العالمين: النامي والمتطور، والقضية ليست في المظهر المادي، وإلا فإننا نستطيع أن نُخْرِجَ بعض دول العالم الثالث ونُلحقها بالعالم المتطور، لوجود التشابه في المعمار ووسائل الاتصال، وحتى في أنماطٍ من إفرازات التقنية الحديثة جداً.

الحاجز:

والحاجز الحقيقي بين العالمين هو حاجز معرفي ليس غير.

هناك نجد تلاحقاً في النقلات التطويرية الناتجة من العلم والاكتشاف الذي هو ثمرة لجهود التعلم والتعليم مرتجعة لتغذيتها. وتتوالى النظريات، وتعجز مقدرة الإنسان عن ملاحقة ما يُكْتَبُ في إطار تخصص واحد؛ لأن

ذلك يُقَدَّرُ بعشرات الآلاف من البحوث العلمية المستندة إلى تجربة أو تنظير أو استقصاء لكتابات متناثرة تجمع آراء جديدة من طلابها، وهو ما دفع إلى الركون بشكل تام إلى الجهد الآلي المستثمَر في الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) لتوفير الوقت، ولرصد أكبر قدر ممكن مما يُكتب، ليتاح للراغب في تقديم بحث جديد، أو تناول قضية لها صلة ببحث سابق، أن يصل إلى مراده في وقت يسير. وهنا نجد أن المكتبات ومراكز المعلومات تؤدي دوراً أساسياً في جهود اللحاق والمتابعة، وتؤدي كذلك دوراً أساسياً في محاولة الوصول إلى المادة المعرفية المطلوبة، وتوفيرها بشتى الوسائل الآلية والبشرية. وَأَمْرُ المكتبة مع التطور الغربي، الذي هو منطلق الحضارة المعاصرة، يُلحظ فيه التلازم التام، والقفزة الحضارية جاءت من خلال الاعتناء الشديد بالمكتبات، من حيث تكوين المجموعات والتنظيم وتيسير الخدمات فيها للمستفيدين.

وليس الحديث هنا عن واقع الحضارة أو دور المكتبة؛ بل هو رغبة في كشف أسباب التخلف الذي لحق بالعالم العربي والإسلامي على الرغم من صلابة البناء الفكري والمعرفي الذي كان عليه واستمر قروناً طوالاً.

كيف تطور البناء منذ تَجَذَّر، حتى اشتد، واستوى على سُوقه، ووقف أمام كل ضروب التدمير فترة زمنية طويلة؟!

ما هي أنماطه الشكلية؟

كيف كان سقوطه، ولماذا؟

وليس النقاش هنا إلا اجتهادات قد تكون خاطئة، ولعل بعضها يكون على صواب.

الركائز، بين الماضي والحاضر:

إن المقابلة بين بداية حضارة العصر، ومن ثم تطورها، تبرز أن الاهتمام بمركزة المعرفة، في مكان تُستَقَى منه وتنتشر من خلاله، يُعَدُّ

التنظيمَ القاعديَّ الذي اتُّبِعَ في تشييد الحضارة العربية الإسلامية منذ نشأتها الأولى.

التمركز في حلقات الدرس في المساجد يقدم البدايات.

لم تكن فكرة المدرسة المستقلة المتكاملة في تكوينها قد ظهرت خلال القرون الثلاثة الأولى، ومع ذلك تفاعلت حركة العلم في أروقة المساجد والجوامع، ونشط التلاحم بين معطين ومتلقين، فكانت بعض الحلقات تتجاوز حدود الدرس المكانية إلى ما هو أبعد بمسافات، فأجبر ذلك على الأخذ بمبدأ الترديد، إذ يتحدث الشيخ أو العالم (المُمْلِي) فينقل مستملٍ، ثم ينقل مستملٍ آخر حتى يسمع كل من يتلقى في الحلقة إلى أقصى حدودها بالغةً ما بلغت.

ولم يتردد بعض العلماء في نقل الدرس إلى منازلهم، أو حتى إلى باحات واسعة يكون فيها لقاءٌ. ولنا أن نتصور آلاف الأشخاص يكتبون وينقلون ويتناقلون ما أخذوه أو حصلوا عليه. وحين يتوسم عالمٌ نباهةً في بعضهم فإنه يلحقهم بخاصته؛ يرضى عن نقلهم ويثبت إجازتهم؛ إما كتابة أو مشافهة، ولهم بعد ذلك أن يشيعوه بين بقية التلاميذ.

المكتبة:

إذن، كانت حركة الانتشار العلمي كبيرة وكاسحة منذ فجر التاريخ الإسلامي، استوعبتها حلقات الدرس في المساجد والجوامع، بل تعدتها إلى أماكن أخرى، وبدأ التفكير في «الكتاب» ليكون وعاءً للمعرفة الأصلية والمنقولة.

فخالد بن يزيد (ت ٨٤هـ، أو بعدها / ٧٠٣م)، حفيد الصحابي والخليفة الأموي الأول معاوية بن أبي سفيان، يهتم بعلوم الأمم السابقة في

الحضارة ممن كانت لهم مؤلفات مكتوبة فيترجمها ليصنع مكتبة حافلة؛ بل لعل غيره عمل مثله، وهو ما دفع «روث ماكنسون» إلى وضع دراسة عن المكتبات في العصر الأموي(١).

ويبرز التوافق كبيراً هنا في الربط بين المعرفة المنظمة وقيام المكتبات منذ مئات السنين عند العرب والمسلمين، ومع بداية النهضة الأوروبية الحديثة.

الصورة الرائعة هنا:

أن المكتبة سبقت قيام المدرسة في التاريخ العربي الإسلامي، ونقصد هنا الاستقلالية في المكان بالدرجة الأولى. صحيح أن الجوامع والمساجد - كما أشرنا - كانت مدارس ولكن في غير تنظيم، بينما بدأت المكتبة مستقلة بناءً منذ زمن يعود إلى القرن الهجري الأول.

ووجود المكتبة أو التفكير في إنشائها يؤكد حضوراً سابقاً لمصنفات ومؤلفات مكتوبة تستحق أن تُجمع في مكان واحد، ويعني أيضاً أن هناك قراء يرغبون في مطالعتها، ويعني أن الأمية لم تكن مشكلة تقف عائقاً أمام القفز إلى عالم الحرف المكتوب.

تستخزي الصورة المعاصرة.

وتنسحب خجلاً أمام عظمة القرون الماضية.

ليس أمراً جيداً التباكي على الماضي.

وهذا ليس بكاء بقدر ما هو تذكير ورغبة في معرفة السبب لأن نكون اليوم من العالم الثالث.

تبهرنا أرقام مجموعات المكتبات العامة في العالم الصناعي التي تصل إلى خانة الملايين.

ويبهرنا انتشارها حتى إن القرى لا تخلو منها، وإن صعب الأمر كانت

المكتبات السيارة تحمل الكتب وغيرها من أوعية المعرفة، لتقدمها لسكان المناطق النائية، أو للمجتمعات القليلة المتناثرة التي لا تستحق عدديّاً أن تُنشأ لها مكتبات مستقلة.

وفي المقابل نجد أشباه مكتبات، حتى في أكبر العواصم الحالية في العالم الثالث، أبنية، تجتر قديماً من الكتب، تعاني من ضعف في الخدمة، ليس قيامها إلا نوعاً من التشبه الظالم بواقع الغرب.

إن أية مكتبة عامة في أية مدينة من مدن العالم الثالث تئن تحت وزر الاسترخاء للواقع.

والكتاب، يمثل وسيلة لقتل الملل وإشباع الرغبة في إزهاق الثواني الكسولة، والمكتبة مؤسسة لتزجية وقت الفراغ يتمدد الأفراد فيها طولاً وعرضاً؛ ليس بالضرورة بأجسادهم ولكن بعقولهم.

وفي المقابل نجد التطلع والتوثب المتلاحقين للمكتبة في مدينة مثيلة في العالم الغربي، فهي لم تقم أصلاً إلا لتكون طريقاً رئيساً لدعم البناء المعرفي، ولتشكيل قاعدة راسخة، تختزن أرففها ما يُبتكر ويُؤَلَّف، لتُعَدَّ لمن يسترجع، وتُنَظَّمَ لمن يأتي راغباً في تحصيلٍ واستزادةٍ وكشفٍ عَمَّا جَدَّ أو طرأ في مجاله التخصصي، أو المعرفي، أو غير ذلك مما يستهويه، تساندها التجهيزات الآلية المتطورة.

فَلِمَ المكتبة؟

وَلِمَ الاهتمام بالكتاب؟

هذه الصورة البشعة للتراخي والترهل اللذين أصابا المكتبات ومراكز المعلومات في العالم العربي والإسلامي، على عكس ما هي عليه في العالم المتقدم الذي وصل إلى أرقى درجات الحضارة من خلال الإيمان بدور المعرفة

المطلقة التي تعين على بناء فكر الإنسان؛ تلك المعرفة التي تمثل المكتبة مركزها ومقرها.

التناقض في الصورة:

يدفع إلى التساؤل؟

كيف وصل الغرب إلى القناعة بأهمية المكتبة؟

وكيف أغفلنا نحن هذه الأهمية بحيث لم نعد نقيم لها وزناً؟

لا ننكر أن هناك مكتبات.

ولكن تظل القضية تكمن في:

أية مكتبات؟ وأية خدمة؟ وأية نتيجة؟

التناقض في الصورة التي يبرزها الترهل والخزي للمكتبة في العالم الثالث - ويهمنا هنا العربي والإسلامي منه - يجبرنا على أن نعود إلى الماضي.

هل هذا الترهل جاء من الماضي؟

هل كان ذلك الماضي غفلاً عن القناعة بقيمة المكتبة؟

المؤكد أن كثرة كاثرة تعتقد أن السبب هو تأصل روح العناية بالمكتبة والكتاب في العالم الغربي، وعدم الاكتراث بهما في العالم العربي الإسلامي.

فكان أن ورثنا هذا - عدم الاكتراث -.

المؤسف أن تكون الصورة على عكس ما يُعتقد.

فالمكتبة لم تكن تراثاً غربيّاً؛ لأن الغرب ما عرفها بوضعها القوي، وأدرك قيمتها إلا مع نهضته المتأخرة، في حين كانت هي كل شيء في حياة الإنسان العربي في قديم الزمان.

منذ البدء.

في زمن موغل في القدم يعود إلى بدايات تاريخ الإسلام كانت مكتبةٌ،
وكانت عنايةٌ بالكتاب،
وكان إدراكٌ لقيمة المعرفة.

إن ما عمله عبدالحكم بن عمرو بن عبدالله بن صفوان الجمحي (ق ١هـ/ ٨م)، عندما أسس مكتبة عامة في مكة المكرمة في القرن الأول الهجري، لَيُعَدُّ مثالاً رائعاً للتوجه الثقافي، والرغبة في إشاعة العلم والمعرفة. وما أقدم عليه عندما جعل مع المكتبة ما يغري باستقطاب الناس إليها وجذبهم إلى الاستفادة منها بأن وضع مجموعة من الألعاب[٢]؛ وكأنما هو في ذلك القرن البعيد يفكر بعقلية منظري الثقافة الغربية: في كل مكتبة عامة عوامل مساعدة ترفع من فعاليتها في الجذب: سينما، وفيديو، وألعاب. حتى وسائل التسلية للأطفال، فالطفل قد يدفع بوالده إلى المجيء.

وفي أواخر القرن الثاني الهجري تظهر مؤسسة علمية ضخمة عمادها المكتبة، وهي أكثر ما اشتهرت به؛ بل لعلها هي كيانها الوحيد، تلكم هي «بيت الحكمة» في بغداد التي كانت مركزاً للتأليف والتعريب والنسخ، وضمت تراثاً علمياً شاملاً لأمم أخرى لغاتها غير العربية بالطبع[٣]، ولعل بدايتها تعود إلى عصر الخليفة العباسي هارون الرشيد (ت ١٩٣هـ/ ٨٠٩م)، وكان تطورها في عصر الخليفة عبدالله المأمون (ت ٢١٨هـ/ ٨٣٣م)؛ الذي اهتم بها اهتماماً كبيراً، فعمل على تنمية مجموعاتها «عن طريق إيفاد مبعوثين إلى بلاد الروم لجلب الكتب الفلسفية وغيرها، إضافة إلى الاهتمام بالمصنفات العربية لكبار العلماء من مختلف مناطق الخلافة العباسية»[٤].

وارتبط علماء كبار بهذه المؤسسة العلمية، فقيل:

إن يحيى بن أبي منصور الموصلي المنجم المعروف وأحد أصحاب الأرصاد في العصر المأموني، ومحمداً بن موسى الخوارزمي صاحب الأزياج وصورة الأرض، كانا من خزنة دار الحكمة المأمونية، كما كان جد أحمد الطيبي المعروف بالصنوبري الحلبي والفضل بن نوبخت وأولاد شاكر وغيرهم من رجالات بيت الحكمة في العصر المأموني، أو ممن كان يتردد على هذه الدار للعمل بها بصفة رسمية أو للمطالعة أو النسخ أو الترجمة أو التأليف(٥).

ومع الازدهار برزت المكتبات الضخمة، ضخمة في حجمها قياساً بقدرات عصرها، لم تكن هناك مطابع، ولم تكن هناك دور نشر، كان الإنسان يؤلف وينسخ على ضوء خافت، يُجْهِدُ بصره كما فعل الإمام البخاري (ت ٢٥٦هـ/ ٨٧٠م) الذي صنف كتاب (التاريخ) عند قبر رسول الله ﷺ في الليالي المقمرة(٦)، ومع ذلك نقرأ عن مكتبات في القرن الرابع الهجري تصل مجموعاتها إلى ما يزيد على عشرة آلاف مجلد، من بينها:

- **دار العلم في الموصل**، التي أسسها أبو القاسم جعفر بن محمد بن حمدان الموصلي الفقيه الشافعي (ت ٣٢٣هـ/ ٩٣٥م)(٧).
- **دار العلم في بغداد**، ومؤسسها هو الوزير أبو نصر سابور بن أردشير سنة ٣٨١هـ[٩٩١م]، وكان فيها أكثر من عشرة آلاف مجلد(٨).
- **دار العلم في البصرة**، أسسها أبو علي ابن سوار الكاتب في أواخر القرن الرابع الهجري [أواخر العاشر الميلادي](٩).
- **دار الحكمة في مصر**، ويعود تاريخها إلى سنة ٣٩٥هـ/ ١٠٠٥م في عهد الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله(١٠).

وفي القرن نفسه كانت مكتبة الحكم الثاني المستنصر (ت ٣٦٦هـ/ ٩٧٦م) في قرطبة التي حوت أربعمائة ألف كتاب:

ويتضح مما نعرفه عنها أنها كانت أبعد ما تكون عن كونها مجرد مجموعة فخمة من الكتب الخاصة بأمير عالم، لقد كانت محور مجموعة متكاملة من الأنشطة الثقافية، ساعدت على وضع أسس التفجر الغزير للإنتاج في الأندلس الذي دام أكثر من قرن وربع بعد وفاة الحكم في سنة ٣٦٦هـ/ ٩٧٦م، وقد أعارت المكتبة مقتنياتها إعارة خارجية، ويبدو أن الناس قد تمكنوا إلى حدٍّ ما من الوصول إلى مقتنياتها [١١].

وبلغ انتشار المكتبات حداً نعجز أحياناً عن تصوره.

ففي أصفهان في القرن السادس الهجري، كانت هناك مجموعة من المكتبات من بينها مكتبة مميزة أسسها أبو الفتح محمد بن علي بن محمد شمس الدين النطنزي (ت ٥٥٠هـ/ ١١٥٥م)، ذكرها العماد الأصفهاني في سياق ترجمته له، فقال: «فارقت أصفهان سنة تسع وأربعين وخمس مائة، وهو بها وافر الجاه، عال عن الأحزاب والأشباه، وقد شرع في بناء دار الكتب بأصفهان تنوق في بنائها وأغرب في إنشائها» [١٢].

وكان التسابق في بناء المكتبات وتشييدها ملحوظاً بين أثرياء وعلماء ومسؤولي القرون الهجرية من الرابع حتى العاشر، وبلغ حجم بعضها مبلغاً نقف على حذر من تَقَبُّلِه، ولعل ذلك نابع من الاستكانة للواقع وعدم تصديق أن يكون الماضي فيه ثراء.

وإذا كان أمراً مقبولاً وجود دور كتب في مدن كبيرة مثل: بغداد، ودمشق، والقاهرة، وقرطبة، ومرو وغيرها من العواصم المعروفة، فإن الرخاء الفكري والإيمان بأهمية المعرفة في بناء الإنسان أوصلا المكتبة إلى مدن

لا نعرف إلا القليل عنها، فأن تكون في فجيج - وهي بُلَيْدَةٌ في المغرب الأقصى - مكتبة كبيرة عامرة مفتوحة لعامة الناس في القرن العاشر الهجري، فذلك ما يدفع إلى العجب(١٣).

ولم تكن المكتبة ترفاً،

ولم تكن مجرد أبنية،

ولكنها كانت مراكز فاعلة في مجتمعها،

تُقْصَدُ للأخذ،

يرتادها العلماء من أبناء المدينة أو المنطقة، وقد تُقْصَدُ من أماكن بعيدة.

ويوضح لنا أنها لم تكن ترفاً، الشعورُ بفقدها والتعجيلُ بتعويضها؛ فعندما أُحرقت دار العلم التي أسسها سابور بن أردشير في منتصف القرن الخامس الهجري(١٤)، قام غرس النعمة محمد بن هلال الصابئ (ت ٤٨٠هـ/١٠٨٧م) بتعويضها بمكتبة أخرى، وجعل فيها آلاف الكتب. وتنص كتب التراث على أن الأمر كان تعويضاً، إذ يقول ابن كثير: «عوضاً عن دار أردشير التي أُحرقت في بغداد»(١٥).

ولم تستطع النكبات أو الكوارث أن تَحُدَّ من تأسيس المكتبات وتشييدها، فإن زالت مكتبةٌ مستقلةٌ، خلفتها مكتبةٌ ملحقة بجامع أو مدرسة، وإن أصابت نائبة من النائبات إحدى المكتبات، بادر أفراد أو جماعات إلى تزويدها بما يعوضها عما ذهب.

ومن ثم، فإن القضية تبدو في حركة عطاء دائم لا توقف له، والعجيب في الأمر أن تكون الكتب متوافرة لتغذية كل تلك المكتبات، والأعجب أن تكون من الوفرة؛ حتى إن واقفاً للكتب مثل القاضي الفاضل (ت ٥٩٦هـ/ ١٢٠٠م)

يجعل في مكتبة المدرسة التي وقفها في القرن السادس الهجري مائة ألف كتاب[١٦]، أو أن ينقل الخليفة الناصر العباسي (ت ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م) عند تجديد مكتبة المدرسة النظامية في بغداد في القرن السادس أيضاً عشرة آلاف كتاب دفعة واحدة[١٧].

ولم يستطع التدمير المغولي البربري للشرق الإسلامي، وتحطيم بغداد معقل الخلافة إنهاء دور المكتبة وحب الكتب في أعماق الإنسان العربي المسلم، فقد كانت مكتبة مرصد مراغة تضم في القرن السابع، وبالتحديد في أواخره، ما يقارب أربعمائة ألف مجلد نقلها المغول من بغداد[١٨]، وكانت مكتبة المدرسة المستنصرية في بغداد بعد التدمير المغولي تضم ثمانين ألف مجلد في فترة إشراف العالم ابن الفوطي عليها، وهو الذي توفي سنة ٧٢٣هـ [١٣٢٣م][١٩].

وفي مصر، على الرغم من سيطرة المماليك، الذين عادة ما يتبادر إلى الأذهان رزوحهم تحت ثقل الجهل نتيجة النشأة؛ إلا أن حركة المكتبات شهدت ازدهاراً غريب الصفة في عهدهم، فلم تكن مدرسة تُشَيَّدُ إلاَّ وتُلْحَقُ بها مكتبة عامرة، وما من سلطان مملوكي جاء إلى السلطة إلاَّ وعُنِيَ بتأسيس مكتبة في مدرسة أو جامع.

والمؤكد أن المكتبة سبقت المدرسة، ومن ثم، مارس بعضها دور المدرسة وإن لم يكن على الصفة المعروفة فيما بعد، ولكن كانت حلقاتُ نقاشٍ تجري بين أروقتها، وكان هناك من يقرأ علماً على عالم بذاته، وكان الأمر الغالب قيام حوارات علمية وفكرية وأدبية بين مرتادي تلك المكتبة، وهي ظاهرة استمرت حتى زمن متأخر، لكنها تأصلت منذ بدء التأسيس، ولعل هذا هو ما دفع بابن كثير إلى أن يَعُدَّ دار العلم في بغداد أول مدرسة

وُقِفَتْ على الفقهاء[٢٠].

وانتشار المكتبة بالطريقة التي أشرنا إليها منذ فجر الإسلام يؤكد أن البيئة الثقافية العربية ركنت - بشكل أساسي - إليها منفذاً للوصول إلى المعرفة الإنسانية دون أن يكون هناك قيد أو إلزام بأخذ محدد.

والموازنة لن تكون بحال من الأحوال في صالح الحاضر، فإذا كان العدد فإن التفوق للقديم، وإن كان حجم المجموعات، فالمقياس الزمني لمكتبة من القرن الرابع تضم عشرة آلاف مجلد يعني الكثير في مقابل مكتبة معاصرة في عاصمة تضم مائة ألف أو أكثر من ذلك.

وحتى التأهيل المهني، فلو أن الحاضر يعرف مدارس أو أقساماً للمكتبات لتخريج مهنيين محترفين؛ فإن تلك المكتبات القديمة ما كان يتاح الإشراف عليها والعمل فيها إلا لمتفوقين علمياً بارزين مشاهير أعلام في عصرهم.

فقد امتهن العمل المكتبي المؤرخ علي بن أنجب ابن الساعي (ت ٦٧٤هـ/ ١٢٧٥م)، وابن الفوطي المؤرخ والعالم المعروف.

وعمل في مكتبة المستنصرية ياقوت المستعصمي (ت ٦٨٩هـ/ ١٢٩٩م) الأديب والخطاط الذي حاز شهرة كبيرة.

ومارس شعراء وأدباء ونبلاء العمل في المكتبة، على الرغم من قسوة العقوبات التي تنتظر المفرط، ويكفي أن نعرف أن أمين مكتبة المدرسة المحمودية السراج عمر، وهو من أهل القرن التاسع، جُلد عقاباً له على التفريط في أمانته التي كان يتولاها[٢١].

والتلازم بين المكتبة والمدرسة في تلك الأيام الغابرة، قبل أن نرزح تحت سطوة الأمية المدمرة، يظهر وعياً ومعرفة غير مسبوقين، وحسب الوسيلة

التربوية الرائجة حالياً، التي تؤكد أهمية وجود مكتبة في كل مؤسسة تعليمية، لأنها الملاذ والملجأ للدارس كي ينهل من العلم في ميدان تخصصه، وفي غير تخصصه ليصنع لنفسه ركيزة ثقافية تساعده على تنمية قدراته، وتعينه على مجابهة التوسع المعرفي الهائل الذي يشهده العصر. ومن هنا وجدنا الربط بين المكتبة والمدرسة منذ المرحلة الأولية في التعليم وحتى مراحل التعليم النهائية، لِكُلٍّ مقاييسه ومعاييره المحددة من حيث المجموعات ونمط الخدمة. هذا ما عليه الوضع في الغرب؛ إذ حالما يُشْرَعُ في تأسيس مدرسة لأطفال ما دون المرحلة التعليمية النظامية يكون مقر المكتبة محدداً واضحاً، وعندما يُشْرَعُ في بناء كلية أو جامعة، تكون المكتبة محورها، وأهم ما يُبنى في حرمها.

وليس البناء هو التوجه الوحيد الممثل للاهتمام؛ بل إن تنمية المجموعات وتغذيتها والعمل على استمرار تطورها، تُشَكِّلُ مفهوماً ثابتاً راسخاً لا يمكن للأزمات الاقتصادية أن تؤثر عليه أو فيه. قد يقع شيء من التقليص لكن دون أن يكون هناك توقف عن الملاحقة، فالمكتبة تفقد قيمتها بمجرد حصرها في إطار مجموعتها الأصلية التي بدأت بها، أو عند افتقارها إلى الجديد الذي يؤكد ويؤيد استمراريتها في تعضيد الأعلى والتشييد للبنية الفكرية.

ونحن اليوم نحتذي الأنموذج الغربي ونعجب به.

وذلك حق؛ فالفرق بين واقعنا وواقعه كبير يتطلب هذا الاحتذاء، كما أن انبهارنا بتجربته أمر طبيعي نظراً لتقدمها ورقيها.

فالدارس في جامعات غربية يشعر أن المكتبة هي محور كل شيء.

والدارس في جامعات العالم العربي، أو العالم الثالث بصفة عامة،

سيجد أنه مهما كان الاهتمام بأمر المكتبة فإنها تظل قضية ثانوية لأن المنهج الدراسي، والنمط التعليمي القائم يُحَجِّمانها ويهمشانها، ويجعلان منها مسألة ليست بذي بال.

قد تكون مقراً للاستذكار في أيام الامتحانات، والدليل أن ساعات عملها تزداد في مواسم الامتحانات، أو قد تكون مقراً لقراءة المجلات والصحف، أو قد تكون ملاذاً للراحة.

وأخيراً، ربما يطرق بابها يوماً ما باحثون ودارسون من خارجها يستفيدون منها.

وتنازلياً نجد الوضع يصل إلى مستوى من السوء لا يُحْتَمَل.

فالمدرسة إن وُجدت بها مكتبة فهي غرفة كتب غير منسقة، لا تخدم ولا يُستفاد منها، وأحدث ما تضمه قد يكون مما نُشر قبل أعوام طوال، وطريقة الاقتناء وتنمية المجموعات ارتجالية ليس فيها تمايز أو تخصيص؛ فكأنما الجميع سواسية كأسنان المشط في قبول ما يأتي حشراً.

هذا إن وجدت المكتبة.

ولكنها مُغْفَلَةٌ؛ بل لعلها في دول كثيرة من العالم (النامي)، تُعَدُّ ترفاً لا داعي له؛ إذ ما الذي يدعو إليه؟

إذا كان الكتاب المدرسي موجوداً،

والمدرس قادراً على التلقين،

والطالب مجبراً على حشو دماغه بما يُدفع إليه منقولاً أو محفوظاً.

وإذا كان وضع المكتبة في قديمنا يناظر ما هي عليه في عالم الحضارة المعاصرة؛ انتشاراً وتنظيماً وأهمية في بنية الثقافة والفكر، فإن اختفاء دورها ومفهومها الحضاري البَنَّاء فجأة منذ نهاية القرن العاشر الهجري، على الرغم

من التراكم الموروث يدفع إلى الدهشة المبكية. فما هي عوامل الانهيار الفجائي بعد ترسيخ تقاليدها، واندماج مفاهيمها بشريان الفكر والثقافة العربية الإسلامية؟

قبل أن نبحث في الأسباب والعوامل لكي نجيب، ربما نحتاج إلى ما ندفع به الاتهام بالمبالغة والتحنط في كفن الماضي، وتصويره بما ليس فيه رغبة في رفع قيمته؛ فموازنة الحاضر بالماضي من خلال شواهد تراثية ستجعلنا ندرك ما حمله الماضي من ازدهار كانت المكتبة عماده.

قال ياقوت الحموي في معجم البلدان وهو يتحدث عن مدينة مرو الشاهجان:

فارقتها وفيها عشر خزائن للوقف لم أر في الدنيا مثلها كثرة وجودة، منها خزانتان في الجامع، إحداهما يقال لها العزيزية وقفها رجل يقال له عزيز الدين أبو بكر عتيق الزنجاني أو عتيق بن أبي بكر، وكان فُقّاعِيّاً للسلطان سنجر، وكان في أول أمره يبيع الفاكهة والريحان بسوق مرو ثم صار شرابياً له، وكان ذا مكانة منه، وكان فيها اثنا عشر ألف مجلد أو ما يقاربها. والأخرى يقال لها الكمالية لا أدري إلى من تُنسب وبها خزانة شرف الملك المستوفي أبي سعد محمد بن منصور في مدرسته، ومات المستوفي هذا في سنة ٤٩٤، وكان حنفي المذهب، وخزانة نظام الملك الحسن بن إسحاق في مدرسته، وخزانتان للسمعانيين، وخزانة أخرى في المدرسة العميدية، وخزانة لمجد الملك أحد الوزراء المتأخرين بها، والخزائن الخاتونية في مدرستها والضميرية في خانكاه هناك، وكانت سهلة التناول لا يفارق منزلي منها مائتا مجلد، وأكثرها بغير رهن تكون قيمتها مائتي دينار، فكنت أرتع فيها وأقتبس من فوائدها، وأنساني حبها كل بلد،

وألهاني عن الأهل والولد، وأكثر فوائد هذا الكتاب وغيره مما جمعته فهو من تلك الخزائن (٢٢).

ويذكر ابن حجر العسقلاني، وهو يترجم لسليمان بن عبدالقوي بن عبدالكريم الصيفي المعروف بابن أبي عباس الحنبلي المتوفى سنة ٧١٦هـ [١٣١٦م] نقلاً عن الكحال جعفر أنه «كان كثير المطالعة، أظنه طالع أكثر كتب خزائن قوص»، وفي مكان آخر يقول: «ويقال كانت بقوص خزانة كتب من تصانيفه» (٢٣). وقوص مدينة في صعيد مصر، لم تكن لها شهرة مثل عواصم العالم الإسلامي المعروفة في ذلك الحين، ومع ذلك فقد كانت بها خزائن كتب وليس خزانة واحدة.

كذلك كان وضع المكتبة في مدينتين إسلاميتين؛ أُخراهما تعددت مكتباتها على صغر حجمها قياساً بالعواصم الكبيرة المعروفة في ذلك الحين.

وكما يُحتفل بالإنشاءات المعاصرة، ويُحتفى بها، كان ضمن برنامج الاحتفال بالفراغ من إنشاء المدرسة المستنصرية التجوال في أرجائها وزيارة مكتبتها، وقد وصف أحد المؤرخين جانباً من الاحتفال، فقال:

وفي شهر جمادى الآخرة تكامل بناء المدرسة المستنصرية التي أمر الخليفة بإنشائها وجعلها على المذاهب الأربعة، وأنفق عليها من المال ما يعجز عنه الحصر، ووقف عليها وقفاً جليلاً.

وفي يوم الخامس والعشرين من الشهر ركب الوزير أبو الأزهر أحمد بن الناقد إليها فَقَبَّلَ عتبتها وطاف في أرجائها فراعه ما شاهده من وصفها الغريب وترتيبها.. وحُمِلَتْ إليها الكتب النفيسة ذوات الخطوط النفيسة، والأصول المضبوطة المحتوية على سائر العلوم الدينية على مائة وستين جملاً سوى ما نُقِلَ إليها بعد ذلك، وجعلها وقفاً بدار الكتب التي

أنشأها بالمدرسة المذكورة(٢٤).

ولم يقتصر انتشار المكتبة على المكتبات العامة والمكتبات المدرسية؛ بل قفز معيار التوقع حتى أصبح المرء يتخيل أن على كل شبر من الأرض كانت مكتبة: في المساجد والجوامع، وفي الربط والخانقاهات، وفي الزوايا والتُّرَبِ.

أضف إلى ذلك ما كان لدى الوجهاء والأعيان والخلفاء والعلماء من مكتبات خاصة تشير المصادر إلى ما كان في بعضها؛ فتعطينا أرقاماً تتعدى خانة الآلاف في بعض الأحيان.

وتقفز صورة المكتبة شاهداً على تَأَصُّلِ روح المعرفة في ذات الإنسان العربي عندما نجد أن فكرة مكتبة الدولة تبلورت في أذهان السلف؛ فقد أورد ابن كثير ضمن حوادث سنة ٦٤٤هـ [١٢٤٦م]، ما نصه:

وفيها فُتحت دار الكتب التي أنشأها الوزير مؤيد الدين محمد بن أحمد العلقمي بدار الوزارة، وكانت في نهاية الحسن، وَوُضِعَ فيها من الكتب النفيسة والنافعة شيءٌ كثيرٌ، وامتدحها الشعراء بأبيات وقصائد حسان(٢٥).

والمتأمل لجملة «دار الكتب، بدار الوزارة» سوف يدرك أنها تعني بمفهومنا المعاصر: مكتبة رسمية للدولة. فإذا كانت «مكتبة الكونجرس» مكتبة رسمية جاء الهدف من إنشائها في القرن التاسع عشر لتوفير المعلومات للأعضاء الرسميين في الكونجرس، فقد كانت مكتبة دار الوزارة تهدف إلى توفير معلومات للعاملين في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي). ولا نرمي من الموازنة تغليب السبق العربي، ولكن توضيح مكانة الكتاب والمكتبة في مجتمع ما كانت الأمية تلقى جحراً فيه فتندس لتخرج بعد حين وتنتشر.

وإذا كانت تلك نماذج مكتبات مشرعة الأبواب لجمهور القراء يأتون إليها ويقصدونها متى رغبوا، فإن دلالة انتشارها في المدن والقرى، وتعددها في المدينة الواحدة يؤكدان تراجع الأمية في ذلك الزمن أمام انتشار المعرفة بالقراءة انتشاراً واسعاً، تخطى مسألة (فك الحروف) إلى الثقافة التي يحتاج الفرد معها إلى قراءة معمقة لا تتوافر له إلا من خلال دور الكتب التي تملك الإمكانات حجماً، ومكاناً.

ومع توافر دور الكتب،

وتعددها،

وانتشارها،

كانت هناك مكتبات خاصة بالأفراد في منازلهم، وكانوا من الحكام والوزراء والأثرياء والعلماء، وطلاب العلم، يتفاوت حجمها تبعاً للمكانة الاجتماعية والقدرة المالية.

وهذا النوع من المكتبات تلازم مع ظهور الكتاب، مما يجعلنا نجدها عند أغلب علماء القرون الأولى، وفي قصور خلفاء بني أمية، وبني العباس، وحاشيتهم وخواصهم، يُحْكَمُ على قوتها في فترات تضاؤل الأمية والجهالة من ضخامة أعدادها وكبر مجموعاتها.

وليس من الضروري أن تكون المكتبة لِعَلَمٍ مشهور؛ بل ربما تكون لطالب علم مجهول، إلا أنها تتميز بالوفرة العددية، والنماذج كثيرة.

ونسوق فيما يأتي بعض ما حملته مصادر التراث من أخبار عن المكتبات الخاصة لنقف على البعد الحضاري للكتاب؛ ركيزةً في بنية الثقافة العربية؛ بل ظاهرةً فريدةً ظلت متوارثة حتى يومنا، حيث بقيت المكتبة الخاصة مسألة ذات انتشار واسع بين الأفراد، وإن وُجِدَتْ مكتبات عامة

يمكن أن تُقْصَدَ للقراءة والاستعارة.

ولن تكون الأخبار التي نحاول أن نثبتها إلا أشتاتاً مجتمعة من مصادر قليلة لأن التقصي ليس غرضنا، وليس هذا موضعه.

فمما يذكر مسكويه في حوادث سنة ٣٥٧ هجرية، أي أواسط القرن الهجري الرابع، أنه عند مصادرة أملاك الحبشي بن معز الدولة البويهي (ت ٣٦٩هـ/ ٩٨٠م) في البصرة أُخذت خزانة كتبه التي كانت تضم خمسة عشر ألف مجلد إضافة إلى مجموعة أخرى من الكتب غير المجلدة[٢٦].

والعدد هنا ضخم وكبير، وبخاصة أن الزمن موغل في القدم، وهو ما يجعلنا نعتقد بعدم صحة الرأي القائل إن انتشار التصنيف والتأليف كان في أول الطريق في حينه، فكيف يكون الأمر كذلك، وفرد واحد - في هذا الزمن - يملك أكثر من خمسة عشر ألف مجلد؟

وقبله كانت كتب الحافظ أبي العباس ابن عقدة، المتوفى سنة ٣٣٢هـ/ ٩٤٣م، «ستمائة حمل جمل»، كما يذكر ابن كثير[٢٧]، وللتوصل إلى عدد ما تحتوي عليه نحتاج إلى معادلة رياضية حتى نستوثق من الرقم الذي يمكن أن نعتقد أنه ما كانت تضمه مكتبة ابن عقدة.

وكَوَّنَتْ أديبة وعالمة أندلسية من القرن الرابع الهجري هي عائشة بنت أحمد بن محمد بن قادم، المتوفاة سنة ٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م، مكتبة كبيرة شملت معارف وفنوناً متنوعة وصفها ابن بشكوال بقوله: «لها خزانة علم كبيرة»[٢٨].

كما خلف أبو القاسم الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالي، المتوفى سنة ٥١٥هـ/ ١١٢١م، خمسمائة ألف مجلد[٢٩]، وهو عدد كبير لعلنا نحتاط في قبوله.

وكان من بين ما تم مصادرته من أملاك أبي الحسن أمين الدولة غزال المتطبب في سنة ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م، عشرة آلاف مجلد من الكتب المنسوخة بخطوط نفيسة[٣٠].

وملك عالم قليل الشهرة هو أبو العباس أحمد بن محيي الدين الفاروثي الواسطي، المتوفى سنة ٦٩٤هـ/ ١٢٩٥م، مكتبة ضمت «ألفي مجلد ومائتي مجلد»[٣١].

أما المؤلف والوزير والقاضي علي بن يوسف القفطي، المتوفى سنة ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م، فكان غرامه الكتاب، يبحث عنه ويسعى له حتى جمع ما لا يوصف[٣٢].

وفي مدينة تعز باليمن كَوَّنَ أحد ملوك بني رسول، وهو داود بن يوسف ابن عمر، المؤيد الرسولي المتوفى سنة ٧٢١هـ/ ١٣٢٢م، مكتبة خاصة اشتملت على مائتي ألف مجلد[٣٣].

واستطاع أحد فقهاء اليمن في عهد بني رسول، وهو عمر بن علي العلوي الحنفي (ت ٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م)، أن يجمع مكتبة حافلة قال عنها الخزرجي: «ليس لأحد مثلها»، وكان من جملة محتوياتها خمسمائة ديوان من الشعر[٣٤].

وكَوَّنَ السلطان إسماعيل بن محمد بن أيوب صاحب دمشق، المتوفى سنة ٦٠٨هـ/ ١٢١١م، مكتبة احتوت على عشرة آلاف مجلد[٣٥].

وقد نرتاب في بعض الإشارات، ولكن تواترها في أكثر من مصدر يدفع إلى قبولها؛ من مثل ما ذُكِرَ أن القاضي عبدالكريم بن علي البيساني، المتوفى سنة ٦٢١هـ/ ١٢٢٤م، كانت لديه مكتبة بها مائتا ألف كتاب[٣٦]. والرقم هنا كبير جداً، ولكن إذا قبلنا كون الحبشي بن معز الدولة البويهي مَلَكَ في

أواسط القرن الرابع الهجري خمسة عشر ألف مجلد، فلم لا نقبل أن يكون البيساني قد جمع في القرن السابع مائتي ألف مجلد؟!

وننحدر إلى القرن الثامن فنجد أعلاماً ملكوا مكتبات كبيرة منهم: شافع بن علي العسقلاني، المتوفى سنة ٧٣٠هـ/ ١٣٣٠م، اشتهر بحبه لجمع الكتب حتى إنه لما مات ترك نحو عشرين خزانة ملأى من الكتب النفيسة، ولما كُفَّ بصره كان يعرف عناوين الكتب، ويذكر الوقت الذي اشترى فيه الكتاب الذي يلمسه[٣٧].

والقاضي جمال الدين عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن القزويني الدمشقي المتوفى سنة ٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م، احتوت مكتبته على أكثر من ثلاثة آلاف مجلد «كل نسخة ما يقع مثلها في عمر مديد»، كما يصفها ابن قاضي شهبة[٣٨].

وكان مجد الدين الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ/ ١٤١٥م)، صاحب القاموس المحيط مغرماً بالكتب، لا يسافر إلا وبصحبته عدة أحمال منها، يخرج أكثرها في كل منزلة ينزلها لينظر فيها، ويعيدها إذا رحل، وكان إذا أملق باعها[٣٩].

واشتهر عبيدالله يعقوب سبط الوزير أحمد باشا ابن الفناري (ت ٩٣٦هـ/ ١٥٢٩م)، بحب الكتب حتى وصل ما جمعه إلى عشرة آلاف كتاب. ويذكر أحد معاصريه أنه استطاع خلال فترة إقامته بحلب جمع ما يناهز تسعة آلاف مجلد جعل لها فهرساً مجلداً مستقلاً يذكر فيه الكتاب ومؤلفه[٤٠].

أما في القرن الحادي عشر الهجري فكانت لدى العالم الشهير عبدالقادر البغدادي صاحب «خزانة الأدب» مكتبة كبيرة كانت متخصصة في الأدب

قيل: إنها كانت تضم «ألف ديوان من دواوين العرب»(٤١).

هذا الثراء في ميدان الكتب في عصر لم تبلغه الآلة التي تعين على تعدد النُّسَخِ وانتشار العنوان الواحد ينبئ أن المستوى الثقافي والعلمي للأفراد كان رفيعاً جداً على مدار قرون طوال.

والأمر يتراوح هنا.

الفقير يذهب إلى المكتبات العامة، وهي وفيرة ومنتشرة يجدها أينما ذهب، والقادر يُكوّن لنفسه مكتبته الخاصة، وكُلٌّ على قدر ما يملك من مال يساعد على التغالي في ضخامة العدد.

والتخصص في التجميع قضية مألوفة كما رأينا في مكتبة عبدالقادر البغدادي.

ونظرة في كتب التراجم تعفي من الإطالة؛ فما من عالم أو عَلَمٍ شهير إلا جاءت في ترجمته إشارة تحدد عدد ما كان يملكه من الكتب أو تؤكد أنه «جمع كتباً نفيسة».

أو تأتي إشارة في شكل مختلف يعطي دلالة على امتلاك الفرد المترجم له مكتبةً خاصةً به كما ذُكر في ترجمة شرف الدين علي بن محمد بن أبي الحسين اليونيني من أنه توفي في عام ٧٠١هـ[١٣٠٢م] متأثراً بإصابة لحقت به من جراء اعتداء لص انهال عليه ضرباً وهو بخزانة الكتب «فبقي متمرضاً أياماً، ثم توفي...»(٤٢).

المدرسة:

والمغالاة في حب الكتاب وجمعه، وتشييد المكتبات حتى أصبح الأمر - كما قلنا - يشكل ظاهرة فريدة على الأرض العربية، أتاحت ثقافة وعلماً وحَجَّمَتِ الأمية، ولم نقل قضت عليها؛ لأن العنصر القادم سوف

يجعلنا نقيس مقدار ما كان منها إن كان هناك أي شيء.

والعنصر الذي سوف نعرض له، ذو محاور تأخذ أبعاداً وأشكالاً حسب طبيعة المخدومين، وقد كان من المفروض، أو لنقل من الطبيعي، أن يأتي قبل الحديث عن المكتبة؛ غير أن ظهور المكتبة سابقة عليه جعلنا نؤخره ليأتي تالياً لها، تلكم هي المدرسة.

والحديث عن المدرسة ذو شجون.

ولعلنا نعجب أن يكون لها دور مؤثر، يتنامى إلى حدٍّ يفوق دورها في هذا العصر الذي نعيشه.

وإنها لكذلك:

كثرة،

وأهدافاً،

وقدرة على التغلغل في روح الدارس،

وانطلاقاً وتقدماً في إيصال المعلومة من الملقي إلى المتلقي.

كانت بداياتها متقدمة شكلاً وأداءً، وهو تقدم مدهش لم يُشْتَقّ عن أنموذج سابق؛ فهي لم تكن فارسية، أو رومية، أو صينية.

بل ظهرت مؤصلة الجذر ظاهراً وباطناً.

ولعل تطورها مر عبر سلسلة من الرؤى والتجارب من خلال استخدام المساجد والجوامع أماكن للتعليم، وظهور المكتبة لتشكل وحدة مساندة، معينة على الانتشار التعليمي والثقافي.

ومن قديم رفض المؤرخون العرب مقولة: إن المدارس النظامية التي أسسها نظام الملك في القرن الخامس الهجري أول ما عُرِفَ من المدارس الرسمية في تاريخ الإسلام.

ومن أبرز من رفض تلك المقولة المقريزي؛ إذ أكد أن المدرسة لم تكن معروفة في عصور الإسلام الأولى، وأن قيامها يمكن أن يعود إلى ما بعد الأربعمائة الهجرية، وأن من أقدمها المدرسة البيهقية في نيسابور، وكانت خاصة بالحديث، ومدرسة عرفت بالسعيدية أسسها السلطان محمود بن سبكتكين (ت ٤١٢هـ/ ١٠٣٠م)، ثم جاءت النظامية[٤٣].

وَشَكَّلَ ظهور المدرسة النظامية تطوراً في تاريخ التعليم عند العرب والمسلمين، فهي دون شك لم تكن مجرد مدرسة عادية، بل لعلها جاءت لتكون أول كلية مخصصة للدراسات العليا، فنمطها وتوجهها والاهتمام الذي أُحيطت به ما كان اهتماماً عادياً، وهيئة التدريس التي عملت فيها كانت نخبة علماء ذلك العصر، يأتي على رأسهم عالم من أبرز علماء الإسلام وأشهرهم هو أبو إسحاق الشيرازي.

وقد بدأ بناؤها عام ٤٥٧هـ[١٠٦٥م]، وجرى افتتاحها رسمياً عام ٤٥٩هـ. ومما يؤكد علو شأن النظامية ما ذُكِرَ من امتناع أبي إسحاق الشيرازي عن التدريس فيها، وإصرار نظام الملك عليه، ثم تدخل الخليفة لإقناعه[٤٤].

وجاءت بعدها بزمن: المدرسة المستنصرية في بغداد التي أفضل بها الخليفة العباسي المستنصر بالله (ت ٦٤٠هـ/١٢٤٢م)[٤٥]، ولا زال بنيانها العتيق الرائع قائماً حتى اليوم في بغداد يشهد بعظمة ماضيها. وشهدت كل من النظامية والمستنصرية حركة علم دؤوباً متوالية لا انقطاع فيها، وأضحتا قبلة علماء المشرق، وأصبح الانتماء إليهما شرفاً وفخراً حتى كان يقال في صفة المرء عندما يُترجم له: فلان مدرس النظامية، أو فلان مدرس المستنصرية. وكما أن النظامية كانت كلية للدراسات العليا، فإن أمر المستنصرية لا يختلف عن ذلك، فهي بوضعها والأوصاف التي وُصِفَتْ بها

لايمكن إلا أن تكون موئل العلم الرفيع، لا يصل إليها ولا يأوي إلى جنباتها إلا ناضج قادر على اللحاق بركب سادة العلم والفكر في ذلك الزمن.

وانتشرت المدارس في كل رقعة كما انتشرت المكتبات؛ ففي دمشق وحدها توالت عشرات المدارس أشار إليها النعيمي في كتابه «الدارس في تاريخ المدارس»، وعَدَّدَ المقريزي في «المواعظ والاعتبار» مدارس القاهرة وقَدَّمَ تأريخاً لكل منها: كيف نشأت وتكونت، ومن صاحبها، وما مواردها المالية، ومن دَرَّسَ فيها إن عرف ذلك.

ولم تكن المدارس مجرد أبنية تقام، أو مجموعة من الطلاب يتلقون العلوم فيها على مدرسين في زمان ومكان مُحَدَّدَيْن؛ بل كان أكثرها في شكل مؤسسات علمية راقية لها نظمها الخاصة التي تسير عليها، وتقاليدها التي تَرعاها، ومواردها المالية التي تعتمد عليها في أداء رسالتها.

فالمدرسة المستنصرية في بغداد التي فُرِغَ من بنائها في عام ٦٣١هـ/١٢٣٣م بدأ التعليم فيها وفق نظام دقيق؛ إذ إنها:

وُقِفَتْ على المذاهب الأربعة، من كل طائفة اثنان وستون فقيهاً، وأربعة معيدين، ومدرس لكل مذهب، وشيخُ حديثٍ، وقارئان، وعشرة مستمعين وشيخُ طبٍّ، وعشرة من المسلمين يشتغلون بعلم الطب، ومكتب للأيتام، وقُرِّرَ للجميع من الخبز واللحم والحلوى والنفقة ما فيه كفاية وافرة لكل واحد(٤٦).

وكانت عمارة غالبية المدارس على درجة كبيرة من الإتقان والسعة والجمال يُنْفَقُ عليها مال طائل بحساب الزمن الذي أُنشئت فيه.

وكانت جميع المدارس التي أُنشئت عبر التاريخ الإسلامي تعتمد على الوقف مع تنوع في الحجم والإمكانات، وكان التعليم فيها:

مجانياً ولمختلف الطبقات، فلم يكن يدفع الطلاب في دراستهم الثانوية والعالية رسماً من رسوم الدراسة، ولم يكن التعليم فيها محصوراً بفئة من أبناء الشعب دون فئة؛ بل كانت فرصة التعليم متوفرة لجميع أبناء الشعب، كان يجلس فيها ابن الفقير بجانب ابن الغني، وابن التاجر بجانب ابن الصانع والمزارع. وكانت الدراسة فيها قسمين، قسماً داخلياً للغرباء والذين لا تساعدهم أحوالهم المادية على أن يعيشوا على نفقات آبائهم، وقسماً خارجياً لمن يريد أن يرجع في المساء إلى بيت أهله وذويه(٤٧).

وإذا كان من الصعب حصر المدارس التي عُرِفَتْ في التاريخ الإسلامي كافة، فلا بأس من إيراد معلومات عن بعضها مستقاة من مصادر تراثية مختلفة؛ فقاضي البصرة أبو الفرج محمد بن عبيدالله بن الحسن البصري المتوفي سنة ٤٩٩هـ/١١٠٥م، كان عالماً جليلاً، تام المروءة، أملى بجامع البصرة مجالس، وبنى بها «مدرسة في غاية الحسن والزخرفة»(٤٨).

ووقف أحد الأمراء الكبار المعروفون بحب الخير في حلب، ويدعى سيف الدين علي بن الأمير علم الدين بن سليمان بن جَنْدَر (ت ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م)، وكان من أكابر الأمراء بحلب، وعُرِفَ بحبه للخير، مدرستين بها، إحداهما على الشافعية والأخرى على الحنفية(٤٩).

ووقف السلطان الملك الناصر صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن أيوب (ت ٥٨٩هـ/١١٩٣م) المدرسة السيوفية على الحنفية(٥٠).

وشَيَّدَ القاضي الفاضل (ت ٥٩٦هـ/١٢٠٠م) في سنة ثمانين وخمسمائة المدرسة الفاضلية في القاهرة ووقفها على فقهاء الشافعية والمالكية(٥١).

وأسس الأمير سيف الدين أيازكوج الأسدي المدرسة الأزكشية وجعلها

وقفاً على الفقهاء الحنفية في سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة[٥٢].

وفي سنة ٦٤١هـ/١٢٤٣م «عَمَّرَ الملك المنصور عمر بن علي بن رسول صاحب اليمن مدرسة بالجانب الغربي من المسجد الحرام ووقفها على الفقهاء الشافعية، وغبطه ملوك الأرض على هذه المدرسة، وكانت هذه العمارة على يد الأمير فخر الدين الشلاح»[٥٣].

وأنشأ محيي الدين بن عبدالرحيم بن ذكير القرشي، المتوفى سنة ٧١٨هـ/١٣١٨م مدرسة في قوص ووقف عليها أوقافاً[٥٤].

وعمر الملك علي بن داود بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول صاحب اليمن مدرسة في سنة ٧٣٩هـ/١٣٣٨م «بالجانب اليماني من الحرم، وقفها في ذي القعدة على الشافعية وأرباب وظائفها»[٥٥].

كما وقف الأفضل عباس بن المجاهد صاحب اليمن في سنة ٧٦٨هـ/١٣٦٦م مدرسة بالجانب الشرقي من المسجد الحرام على فقهاء الشافعية[٥٦].

وشارك عبدالوهاب بن عبدالله المعروف بابن أبي شاكر، المتوفى سنة ٨١٩هـ/١٤١٦م في إنشاء مدرسة في منطقة بين السورين بالقاهرة ووقف عليها عدة أوقاف[٥٧].

وأقام جمال الدين محمد بن محمد النظاري، المتوفى سنة ٩٢١هـ/١٥١٥م مدرسة في مدينة إب باليمن ووقف عليها وقفاً جليلاً[٥٨].

وشاركت بعض أميرات الدولة الرسولية في اليمن في تشييد المدارس في مناطق مختلفة.

من بينهم: ماء السماء (ت ٧٢٤هـ/ ١٣٢٤م) ابنة السلطان المظفر شمس الدين يوسف بن عمر بن علي بن رسول، المتوفى سنة

٦٩٤هـ/ ١٢٩٥م:

وكانت من أخير الخواتين.. وكان لها من الآثار المثبتة للذكر المدرسة التي في مدينة زبيد المعروفة بالواثقية ملاصقة لبيت أخيها الملك الواثق، جعلت فيها إماماً ومؤذناً وقيماً ومعلماً وأيتاماً يتعلمون القرآن، ومدرساً وطلبة يقرؤون العلم، ووقفت عليهم من أملاكها ما يقوم بكفايتهم(٥٩).

وأسهمت جهة دار الدملؤة نبيلة (ت ٧١٨هـ/١٣١٨م) ابنة السلطان الملك المظفر شمس الدين يوسف بن عمر بن علي بن رسول في تشييد مجموعة كبيرة من المدارس منها: مدرسة في مدينة تعز، وأخرى «في مدينة زبيد وهي التي تسمى الأشرفية»(٦٠).

وكانت والدة السلطان الملك المجاهد الرسولي (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٣م) من أعظم الذين تركوا مآثر جليلة في ميدان التعليم باليمن وصفها الخزرجي بقوله: «وكانت امرأة سعيدة، عاقلة رشيدة، حازمة حليمة سخية، كريمة ذات سياسة ورياسة وكرم نفس وعلو همة...»(٦١).

أمَّا مآثرها فقد ذُكِرَ أن من بينها:

المدرسة المعروفة الكبيرة المشهورة بالصلاحية في مدينة زبيد، ورتبت فيها إماماً ومؤذناً وقيماً... ومدرساً للشرع، ومدرساً في الحديث النبوي، ومدرساً في النحو، وطلبة في كل فن من الفنون المذكورة... وابتنت مدرسة في قرية المسلب من وادي زبيد... وابتنت في قرية السلامة مدرسة وهي التي على يمين السالك إلى تعز...(٦٢).

وكانت مدارس اليمن في ذلك الوقت مسرحاً لحركة تعليمية نشيطة يدرس فيها أقطاب العلماء، من أمثال: جمال الدين محمد بن يوسف الصبري قاضي تعز، المتوفى سنة ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م الذي وُصِفَ بأنه: «كان

نحوياً لغوياً عارفاً بالقراءات السبع والفرائض والجبر والمقابلة، دَرَّسَ في المدرسة المعروفة بالغزالية في مدينة تعز ثم انتقل إلى المظفرية»(٦٣).

وتكاد جل المساجد التي بُنيت في اليمن خلال القرون الثلاثة المشار إليها من عهد الدولة الرسولية أن تكون مدارس للعلم إلى جانب دورها الأصلي، وهي أن تكون بيوتاً للعبادة. فالملك المجاهد الرسولي كان مما عمله أن عَمَّرَ جامعاً في ثعبات، وجعل فيه إماماً ومؤذناً وخطيباً وشيخاً للحديث ومعلماً وأيتاماً يتعلمون القرآن، كما ابتنى جامعاً في الثويدرة على باب زبيد ورتب فيه إماماً وخطيباً ومؤذناً وقيماً ومعلماً وأيتاماً يتعلمون القرآن، ومدرساً للفقه وطلبة، وابتنى مدرسة في دار العدل بتعز(٦٤).

ومُلِئَتْ بلاد الشام، وبخاصة دمشق وحلب، بمدارس أشار إليها ابن شداد في «الأعلاق الخطيرة»، وابن الشحنة في «الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب»، والنعيمي في «الدارس»، وابن طولون الصالحي في «القلائد الجوهرية»، كان من بينها:

- **المدرسة الأتابكية:**

أنشأتها تركان خاتون (ت ٦٤٠هـ/ ١٢٤٢م) بنت السلطان عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود بن أتابك زنكي بن آق سنقر (ت ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م) في صالحية دمشق، ودَرَّسَ فيها أعلام من بينهم: تاج الدين أبو بكر بن طالب الإسكندري الشحرور (ت ٦٦٣هـ/ ١٢٦٥م)، ونجم الدين أبو العباس أحمد بن عماد الدين محمد بن صصري التغلبي (ت ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م)، وصدر الدين ابن القاضي جلال الدين القزويني (ت بعد ٧٣٨هـ/ ١٣٣٧م)، وتقي الدين أبو الحسن علي بن عبدالكافي الأنصاري الخزرجي السبكي (ت ٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م)، وكانت هذه المدرسة مخصصة

لأتباع المذهب الشافعي[٦٥].

- المدرسة الأسدية:

وتُنسب إلى الملك المنصور أسد الدين شيركوه بن شاذي بن مروان (ت ٥٦٤هـ/١١٦٨م)، وكانت في دمشق، ويدرس فيها المنتمون إلى المذهبين الحنفي والشافعي، وممن دَرَّسَ فيها: ركن الدين أبو يحيى زكريا بن يوسف بن سليمان البجلي (ت ٧٢٢هـ/١٣٢٢م)[٦٦].

- المدرسة الأمينية:

أسسها أمين الدين كمشتكين بن عبدالله الطغتكيني (ت ٥٤١هـ/١١٤٦م) في دمشق، وهي من مدارس الشافعية، دَرَّسَ فيها جمال الإسلام أبو الحسن علي بن المسلم بن محمد السلمي (ت ٥٣٣هـ/١١٣٨م)، ثم من بعده ابنه أبو بكر محمد بن علي بن المسلم السلمي (ت ٥٦٤هـ/١١٦٨م)، وقطب الدين أبو المعالي مسعود بن محمد النيسابوري (ت ٥٧٨هـ/١١٨٢م)[٦٧].

- المدرسة التقوية:

أسسها في دمشق سنة ٥٧٤هـ/١١٧٨م الملك المظفر تقي الدين عمر ابن شاهنشاه بن أيوب (٥٨٧هـ/١١٩١م)، كما أسس مدرستين في مصر وحماة. وممن دَرَّسَ فيها: قاضي القضاة بهاء الدين أبو الفضل يوسف بن محيي الدين يحيى بن محمد بن زكي الدين علي ابن الزكي القرشي (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م)، وكانت للشافعية أيضاً[٦٨].

- المدرسة الجوهرية:

أنشأها الصدر نجم الدين أبو بكر بن محمد بن أبي طاهر بن عياش التميمي الجوهري (ت ٦٩٤هـ/١٢٩٥م) في دمشق سنة ٦٧٦هـ، وكانت

للحنفية، وممن دَرَّسَ فيها: شرف الدين أبو محمد نعمان بن فخر الدين الحنفي (ت ٨٢٠هـ/١٤١٧م)[٦٩].

- **المدرسة الريحانية:**

أنشأها سنة ٥٧٥هـ/١١٧٩م في دمشق جمال الدين ريحان بن عبدالله الطواشي لأصحاب المذهب الحنفي. وممن دَرَّسَ فيها: محيي الدين أبو عبدالله محمد بن يعقوب بن إبراهيم ابن النحاس الأسدي الحلبي (ت ٦٩٥هـ/١٢٩٦م)، وفخر الدين أبو طالب أحمد بن علي بن أحمد الهمداني الكوفي ابن الفصيح (ت ٧٥٥هـ/١٣٥٤م)[٧٠].

- **المدرسة الزنجارية**[٧١]:

أنشأها الأمير عز الدين أبو عمرو عثمان بن علي الزنجيلي في دمشق سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٩م، ودَرَّسَ فيها: شهاب الدين الحسين بن سليمان بن فزارة الكفري (ت ٧١٩هـ/١٣١٩م).

- **المدرسة الشبلية**[٧٢]:

أنشأها الطواشي شبل الدولة كافور الحسامي (ت ٦٢٣هـ/١٢٢٦م) في دمشق سنة ٦١٦هـ/١٢١٩م، ودَرَّسَ فيها: رشيد الدين سعيد بن علي ابن سعيد البصروي الحنفي (ت ٦٨٤هـ/١٢٨٥م)، وشمس الدين أبو عبدالله محمد بن إبراهيم الأذرعي (ت ٧٣٦هـ/١٣٣٥م).

- **المدرسة الجوزية:**

وكانت للحنابلة، أنشأها بدمشق بعد سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٣م محيي الدين يوسف بن جمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي (ت ٦٥٦هـ/١٢٥٨م)، وهو أول من دَرَّسَ بها. ومن مدرسيها: شرف الدين الحسن بن عبدالله بن عبدالغني المقدسي (ت ٦٥٩هـ/١٢٦١م)، ونجم

الدين أحمد بن أبي عمر ابن قدامة (ت ٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م)، وشرف الدين الحسن بن عبدالله بن قدامة (ت ٦٩٥هـ/١٢٩٦م)، وعلاء الدين علي بن زين الدين منجا بن عثمان بن أسعد بن المنجا التنوخي (ت ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م)[٧٣].

وما بين ابن شداد وابن الشحنة - في زمن لا يتعدى القرنين - تناقص عدد المدارس؛ فكان الثاني، وهو متأخر عن الأول، يشير إلى انقراض بعضها أو زواله.

ويورد ابن شداد في كتابه «الأعلاق الخطيرة»، وهو يتحدث عن مدينة دمشق، معلومات عن مدارسها التي وصل عددها إلى اثنتين وتسعين مدرسة؛ فيذكر اسم المدرسة واسم الذي أسسها أو وقفها، ثم يذكر بعض أساتذتها المشاهير.

وهذا الكتاب، وغيره من الكتب التي اهتمت بإبراز التاريخ التعليمي عند العرب والمسلمين، يضم صوراً واضحة عن اتساع قاعدة التعليم النظامي في أرجاء المنطقة العربية والإسلامية في العصور الماضية.

ومن الطبيعي القول إن الإشارات السابقة مقتضبة وموجزة إيجازاً مجحفاً في حق التمدد غير المتناهي للمدارس في التاريخ العربي والإسلامي، لأن الإلمام بكل الجوانب، والحديث تفصيلاً عن مواقعها كافة هو ضرب من المستحيل في حيز كهذا.

وإن كان ما ذكرنا يقدم لقطات سريعة؛ إلا أنها تعطي الكثير للإنسان المعاصر؛ فهي تصور واقع التعليم في جزء صغير من أجزاء العالم العربي الإسلامي المترامي الأطراف في الماضي. ولا يقف الحديث عن التعليم عند هذا الحد؛ بل هناك ما يحتاج إلى توضيح لنرى صورة لتعدد الأنماط،

وتشابهها مع ما هو قائم في عصرنا مما كنا نظنه غريباً أجنبياً.

فتخصصية التعليم سِمَةٌ، كانت من الوضوح قديما إلى درجة لا يمكن معها أن تتوارى مهما حل عليها النسيان أو التناسي.

فقد كانت هناك مدارس متخصصة في الحديث عُرفت بدور الحديث، مثل: دار الحديث الأشرفية بدمشق التي كانت في القرن السادس الهجري، ومدارس متخصصة في الدراسات القرآنية، ومدارس خاصة بدراسات الطب والعلوم الطبية، وأشار ابن شداد إلى واحدة منها، حيث ذكر ضمن مدارس دمشق «المدرسة الدخوارية» التي أنشأها الطبيب مهذب الدين عبدالرحيم ابن علي بن حامد الدَّخْوار (ت ٦٢٨هـ/ ١٢٣١م) في سنة إحدى وعشرين وستمائة، وأول من دَرَّسَ بها واقفها، ثم من بعده شرف الدين أبو الحسن علي بن يوسف بن حيدرة بن الحسن الرحبي (ت ٦٦٧هـ/١٢٦٨م)، ثم أخوه جمال الدين عثمان (ت ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م).

كما يشير إلى مدرسة أخرى خارج البلد «ملاصقة لبستان الفلك المشيري، أنشأها نجم الدين يحيى بن محمد اللبودي (ت ٦٧٠هـ/ ١٢٧١م) في سنة أربع وستين وستمائة، وأول من دَرَّسَ بها جمال الدين الزواوي، ثم تولى بعده المغربي، وهو مستمر بها إلى الآن»[٧٤].

ويذكر أحد الباحثين أن البيمارستانات - وهي اللفظة الموافقة لكلمة المستشفيات حالياً - كانت تُعَدّ كليات طب إلى جانب قيامها بالدور العلاجي لعامة الناس[٧٥]. وكان بعضها على درجة كبيرة من الإتقان لتكون مريحة للمرضى، كما فعل السلطان الموحدي أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبدالمؤمن القيسي (ت ٥٩٥هـ/١١٩٩م)، الذي شيد مستشفى «غرس فيه جميع الأشجار وزخرفه، وأجرى فيه المياه، ورتب له

كل يوم ثلاثين ديناراً للأدوية»(٧٦).

وقد أوضح هذه المسألة أحمد عيسى عندما أشار إلى أن طلبة الطب كانوا يتلقون علومهم على أساتذتهم في البيمارستانات؛ إذ كانت تُهَيَّأُ لهم الإيوانات الخاصة المعدة والمجهزة بالآلات والكتب أحسن تجهيز، فيقعدون بين يدي معلمهم بعد أن يتفقدوا المرضى وينتهوا من علاجهم، كما كان يفعل أبو المجد [محمد بن عبيدالله] بن أبي الحكم (ت ٥٧٠هـ/ ١١٧٤م) في البيمارستان النوري الكبير. وذكر ابن أبي أصيبعة أن الفيلسوف الإمام العالم أبا الفرج [عبدالله] بن الطيب (ت ٤٣٥هـ/ ١٠٤٣م) كان يقرئ صناعة الطب في البيمارستان العضدي ويعالج المرضى فيه، وأن إبراهيم بن بكس (ت بعد ٣٦٠هـ/ ٩٧١م) كان يدرس صناعة الطب في البيمارستان العضدي لما بناه عضد الدولة، وكان له منه ما يقوم بكفايته، وأن زاهد العلماء ألف كتابه في الفصول والمسائل والجوابات التي أجاب عنها في مجلس العلم المقرر في البيمارستان الفارقي(٧٧).

أما نظم التعليم فإن الحديث عنها هنا أمر صعب، ولكن نكتفي بالإشارة إلى أن العلاقة بين الأستاذ وطلابه في عصور الازدهار التعليمي والثقافي كانت تقوم على الود والاحترام على عكس ما نلمسه في عصور الأمية الدخيلة حيث التسلط والجفاء.

فالمناقشة كانت حواراً إنسانياً له آدابه، ولكل طرف مشارك فيه حقوقه المرعية، وإلى ذلك يشير محمد عبدالرحيم غنيمة عندما يورد حول هذه القضية نصوصاً تراثية توضحها فيقول:

وكان للمناقشة بين الأستاذ وطلابه آداب خاصة، تكفل للأستاذ هيبته ومكانته، وتحقق للطالب حرية الرأي وتهيئ له سبيل الاستفادة. روى ابن

عبدالبر القرطبي بسنده عن علي بن أبي طالب أنه قال: «إن من حق العالم ألاَّ تُكْثِرَ عليه بالسؤال، ولا تُعْنِتَه في الجواب، وألاَّ تَلِحَّ عليه إذا كسل ولا تأخذ بثوبه إذا نهض».

كما يجب على الأستاذ أن يحترم تلميذه ولا يهزأ برأيه، ولا يزدري المساكين من طلابه، ولا يختزن علمه ويرى في تعليمه ضِعَةً، ولا يأخذ مأخذ السلطان فيغضب أن يُرَدَّ عليه شيء من علمه. وقال ابن عبدوس: كلما توقر العالم وارتفع كان العجب إليه أسرع إلا من عصمه الله بتوفيقه وطرح حب الرياسة عن نفسه.

وينصح الخليل بن أحمد (ت ١٧٠هـ/٧٨٦م) العَالِمَ بأن يستفيد من مناقشته لطلابه فيقول: اجعل تعليمك دراسة لك، واجعل مناظرة العلم تنبيهاً بما ليس عندك(٧٨).

والحديث عن المدارس في التاريخ العربي الإسلامي أخذ نصيباً جيداً من الاهتمام في القديم، فما من كتاب في التاريخ إلا وهو يسجل معلومات عن بناء المدارس ضمن الحوادث التاريخية، أو عند الترجمة للأشخاص من ذوي الجاه والسلطان أو العلماء والمفكرين. والأعلاق الخطيرة لابن شداد أنموذج جيد في هذا المجال، ومثله الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب لابن الشحنة، والمواعظ والاعتبار للمقريزي.

لقد استرعى أمر انتشار المدارس وتطور نظمها انتباه دارسين خصصوا مصنفات لتتبع تاريخها وتطورها، تقدم صورة شاملة عن الدور الإيجابي للحركة التعليمية في تاريخ العرب والمسلمين منذ أن قامت أول مدرسة في الإسلام. ومن بين هذه المصنفات:

- الدارس في تاريخ المدارس، للنعيمي.

- منادمة الأطلال ومسامرة الخيال، لعبدالقادر بدران.
- تاريخ علماء المستنصرية، لناجي معروف.
- تاريخ التعليم في الأندلس؛ لمحمد عبدالحميد عيسى.
- تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى، لمحمد عبدالرحيم غنيمة.

تلك لمحات تؤكد أن الأمية دخيلة مستحدثة، لم تعرفها العصور الماضية، وأنَّى لها أن تكون في ظل حضارة مبنية على العلم تتجذر مؤسساته بأنماطها المختلفة في الأعماق الصلبة من باطن أرضه.

فأن تكون مكتبة في كل بلدة ومدينة،

وأن تكون، كما هي في عالم اليوم المتحضر، عامة ومدرسية ومتخصصة وملحقة بالجوامع والمساجد، وأن تكون المدارس العليا، ومدارس الأطفال، والمدارس الخاصة بالأيتام تفترش مساحة الأرض طولاً وعرضاً أينما كان انتماء إلى العربية والإسلام؛

فلن تكون أمية،

ولن يكون منفذ لها تنطلق من خلاله.

دور الإنسان:

أدت البيئة العلمية الراقية التي تكونت نتيجة تكاثر ركائز العلم في نمطيها الجمادين: المكتبة والمدرسة، إلى دفع عشاق العلم إلى خوض غماره، وإفناء حياتهم في تشربه ونقله إلى طلاب متعطشين له. ووضعوا مصنفات حفلت بإبداعات فكرية في موضوعات شتى. وكانت البيئة العلمية في القرون الأولى بيئة متفتحة اتسعت لجميع أنماط المشاركين في تجذير الحضارة وترسيخها؛ دون أن تضع قيوداً على بعضهم أو تعلي من شأن فئة منهم على حساب أخرى؛ فكان أن برز علماء أعلام أسسوا للبيئة العلمية

الجديدة، من أمثال: سيبويه، والخليل بن أحمد، والبخاري، ومسلم، والنسائي، والترمذي، وابن ماجه، وأبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد بن حنبل. وإلى جانبهم ظهر علماء في الرياضيات، والطب، والهندسة، والفلك، وشارك أدباء ومؤرخون ومناطقة مع كل أولئك.

ولما كان الحديث عن ذلك تفصيلياً فيه تكرار وإملال لشهرة الرجال من العلماء، نكتفي بنماذج من النساء العالمات، نستخلص من خلال سيرهن روح الإخلاص والتفاني في العلم، ليكون وسيلة يخدم من خلالها المجتمع والناس دون كلالة تطرحه وتدفع به إلى الدعة والخمول.

وتحفل كتب التاريخ والتراجم بنماذج كثيرة منهن، ففي القرن الأول الهجري نجد أنموذجاً فريداً لامرأة تُعَدُّ في التابعين هي **أم الدرداء الصغرى**، هجيمة، أو جهيمة بنت حيي الأوصابية الحميرية، المتوفاة سنة ٨٢هـ [٧٠١م]، ومجمل ترجمتها أنها كانت يتيمة في حجر أبي الدرداء رضي الله عنه، ثم تزوج بها، فأخذت عنه، وعن سلمان الفارسي، وكعب بن عاصم الأشعري، وعائشة، وأبي هريرة، وأنها كانت في صباها ترافق أبا الدرداء، وتصلي في صفوف الرجال، وتجلس في حَلَقِ القُرَّاء تتعلَّمُ القرآن، حتى قال لها أبو الدرداء يوماً: الحقي بصفوف النساء. وبلغ من أمرها فيما بعد أن أصبحت فقيهة يشار إليها بالبنان. ويروى أن الخليفة عبدالملك بن مروان (ت ٨٦هـ/ ٧٠٥م) كان يجلس في صخرة بيت المقدس وأم الدرداء معه حتى إذا نودي للمغرب قام، وقامت تتوكأ عليه حتى يدخل بها المسجد فتجلس مع النساء ويمضي إلى المقام ليصلي بالناس، وكان كثيراً ما يجلس إلى أم الدرداء في مؤخر المسجد بدمشق(٧٩).

ويقول عنها ابن كثير: «تابعية عابدة عالمة فقيهة، كان الرجال يقرؤون

عليها ويتفقهون في الحائط الشمالي بجامع دمشق، وكان عبدالملك بن مروان يجلس في حلقتها مع المتفقهة يشتغل عليها، وهو خليفة»[٨٠].

وفي القرن الرابع الهجري ظهرت **أمة الواحد المحاملي**، التي يقول عنها الذهبي:

العالمة الفقيهة المفتية أمة الواحد بنت الحسين بن إسماعيل. تفقهت بأبيها، وروت عنه، وعن إسماعيل الوراق، وعبدالغافر الحمصي، وحفظت القرآن والفقه للشافعي، وأتقنت الفرائض ومسائل الدور والعربية، وغير ذلك، واسمها سُتَيْتَه. قال البركاتي: كانت تفتي مع أبي علي بن أبي هريرة. وقال غيره: كانت من أحفظ الناس للفقه. وروى عنها الحسن بن محمد الخلال. ماتت سنة سبع وسبعين وثلاث مئة [٩٨٧م]. وهي والدة القاضي محمد بن أحمد بن القاسم المحاملي[٨١].

وفي القرن الخامس الهجري تسنمت امرأة الذروة في تخصص علمي دقيق، حظي الرجل بالجانب الأكبر من الشهرة فيه؛ إلا أن قرنها الذي عاشت فيه شهد لها بالبراعة والإتقان حتى كانت المرجع الذي يُعَوِّلُ عليه الدارسون له والراغبون في تَشَرُّبِهِ في أصقاع العالم الإسلامي المعروف في ذلك العصر.

تلكم هي **كريمة بنت أحمد بن محمد بن حاتم المروزية** (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م)، التي ولدت في سنة ٣٦٥هـ في قرية كشميهن في خراسان وتلقت العلم هناك. وكانت تلك القرية تعج بعلماء أفاضل مشاهير. ومن كشميهن رحلت إلى مرو الشاهجان، ثم هاجرت منها إلى مكة المكرمة، وعاشت بقية عمرها منقطعة للعلم والتعليم.

أما التخصص الذي تفرغت له فكان علم الحديث النبوي الشريف

الذي برعت فيه وجَوَّدَتْه حتى قيل إنه انتهى إليها علو إسناد الجامع الصحيح للإمام البخاري في القرن الخامس الهجري، وإنها كانت عالمة عصرها في الحديث بلغت فيه حدّاً لم يبلغه غيرها(٨٢).

وقد اعترف لها أفاضل عصرها بمكانتها، وأصبح السماع منها مطلباً لكبار العلماء. وتدل الأسماء الكبيرة المنتمية إلى أقاليم إسلامية متفرقة في الشرق والغرب على أنها بلغت شأواً بعيداً في العلم وهي في مكة المكرمة، حيث كان لها مجلس يحضره العلماء والطلاب، وإلى ذلك المجلس قصدها عشرات العلماء في القرن الخامس، من بينهم: أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي صاحب تاريخ بغداد الذي قرأ صحيح البخاري عليها في خمسة أيام، والعلامة السمعاني صاحب كتاب الأنساب، ومسند مصر أبو عبدالله محمد بن بركات بن هلال السعيدي النحوي الذي يروي الصحيح عنها، وأبو بكر مجاهد بن عبدالرحمن بن مجاهد الحجري الطليطلي المالكي أحد مشاهير فقهاء الأندلس(٨٣).

وما كانت كريمة لتصبح على تلك الدرجة من الجلالة، وتكون في تلك المنزلة من تقدير أهل عصرها، يقصدها الخطيب البغدادي، أو أبو بكر مجاهد، لو لم تكن تملك علماً نافعاً غزيراً يفيء بظلاله على المتلقين فيشملهم بالجديد النافع.

وفي القرن السادس الهجري ذاع صيت عالمة بغدادية في الآفاق هي **شُهدة الكاتبة**، ترجم لها ابن خلكان في الوفيات، وقال عنها:

فخر النساء شُهدة بنت أبي نصر أحمد بن الفرج بن عمر الإبري الكاتبة الدينورية الأصل البغدادية المولد والوفاة. كانت من العلماء، وكتبت الخط الجيد، وسمع عليها خلق كثير، وكان لها السماع العالي،

ألحقت فيه الأصاغر بالأكابر. سمعت من أبي الخطاب نصر بن أحمد بن البطر، وأبي عبدالله الحسين بن أحمد بن طلحة النّعالي... وعلي بن الحسين بن أيوب، وأبي الحسين أحمد بن عبدالقادر بن يوسف، وفخر الإسلام أبي بكر محمد بن أحمد الشاشي، واشتهر ذكرها وبَعُدَ صيتها. وكانت وفاتها يوم الأحد بعد العصر ثالث عشر المحرم سنة أربع وسبعين وخمسمائة [١١٧٨م]...(٨٤).

وقول ابن خلكان إنها ألحقت الأصاغر بالأكابر شهادة على علو كعبها في العلم وعظم شأنها بين العلماء.

وأفرد لها الذهبي ترجمة مطولة نقلها عن مصادر سابقة عليه، فقال:

شُهدة بنت أبي نَصْر أحمد بن الفَرَج الدِّينَوَريّ، ثم البَغْداديّ الإبَرِيّ، الكاتبة مُسندة العراق فَخْر النِّساء.

قال ابن الدُّبيثي: امرأةٌ جليلةٌ صالحةٌ، ذاتُ دينٍ ووَرَع وعبادة. سَمِعَت الكثيرَ وعُمِّرت، وصارت أسندَ أهل زمانها، وعُنيَ بها أبوها. وسَمِعَت من طِرَاد بن محمد الزَّينبي، وابن طَلْحة النِّعالي، وأبي الحسن بن أيوب، وأبي الخَطَّاب ابن البَطِر، وأحمد بن عبدالقادر بن يوسف، والحسن بن أحمد بن سَلْمان الدَّقَّاق، وثابت بن بُندار، وأخيه أبي ياسر أحمد، وعبدالواحد بن عُلوان الشَّيباني، وجعفر السَّرَّاج، وأبي منصور محمد بن هريسة، ومنصور ابن عيد النَّيسابوري، وأبي البَرَكات محمد بن عبدالله الوكيل، وأبي غالب الباقلاني، وجماعة.

روى عنها الحُفَّاظ الكبار أبو القاسم ابن عساكر، وأبو سعد السَّمعاني، وأبو محمد عبدالغني، وعبدالقادر الرُّهاوي، وعبدالعزيز ابن الأخضر، وأبو الفرج ابن الجَوْزي، وأبو محمد بن قُدامة، والعماد إبراهيم بن عبدالواحد،

والبهاء عبدالرحمن، والشِّهاب بن راجح، والقاضي أبو صالح الجيلي، والنَّاصح ابن الحنبلي، والفَخر الإربلي، وعبدالرَّزاق بن سُكينة، وشيخ الشُّيوخ أبو محمد بن حَمُّويه، والأعزُّ ابن العُلَّيق، وإبراهيم بن الخَير، وأبو الحسن ابن الجُمَّيزي، وأبو القاسم بن قُميرة، ومحمد بن مُقبل ابن المَنِّي، وخَلْقٌ كثيرٌ. وكانت تَكتب خطاً مليحاً.

قال أبو الفَرَج ابن الجَوْزي: قرأتُ عليها كثيراً من حديثها. وكان لها خطٌّ حَسنٌ. وتزوَّجت ببعض وُكلاء الخليفة، وعاشت مُخالطةً للدَّار ولأهل العِلْم. وكان لها برٌّ وخيرٌ. وقُرئ عليها الحديث سنين، وعُمِّرت حتى قاربت المئة. وتوفيت ليلة الاثنين رابع عشر المحرَّم، وصُلِّي عليها بجامع القَصر، وأُزيل شبَّاك المَقصورة لأجلها، وحَضَرَها خَلْقٌ وعامَّةُ العُلَماء.

وقال الشيخ المُوفَّق، وقد سُئل عنها: انتهى إليها إسنادُ بغداد، وعُمِّرت حتى ألحقت الصِّغار بالكبار. وكان لها دارٌ واسعةٌ، وقلَّ ما كانت تَرُدُّ أحداً يريد السماع. وكانت تكتبُ خطاً جيداً، لكنه تغيَّر لكِبَرها.

وقال أبو سَعد السَّمعاني في «الذَّيل» وذكرها، فقال: امرأةٌ من أولاد المُحدِّثين، مُتميِّزةٌ فصيحةٌ، حَسنة الخَط، تكتبُ على طريقة الكاتبة بنت الأقرع. وما كان ببغداد في زمانها من يكتب مثل خطِّها. وكانت مُختصة بأمير المؤمنين المُقتفي. سَمَّعها أبو الكثيرَ، وعُمِّرت حتى حدثت. قرأتُ عليها «جزء الحفَّار»[٨٥].

أثبت سماعها والرواية عنها أعلام، منهم:

أبو البركات محمد بن عبدالمنعم الميهني (ت ٥٩٦هـ/ ١٢٠٠م)، الذي «سمع من أبي طالب المبارك بن علي بن خضير ومن أبيه، ومن الكاتبة شُهدة بنت أحمد الإبري»[٨٦].

وأبو عبدالله محمد بن عثمان بن محمد الزبيدي الذي قدم بغداد وسكنها إلى حين وفاته في سنة ٦٠٨هـ/ ١٢١١م «سمع الحديث من أبي الفتح محمد بن عبدالباقي بن سليمان، ومن الكاتبة شُهدة بنت أحمد»[٨٧].

وأبو بكر محمد بن المظفر بن الحبير الحبيري الشافعي المدرس بالنظامية (ت ٦٣٩هـ/ ١٢٤١م). يقول ابن العمادية: «روى لنا بها عن شهدة الكاتبة، وتوفي سنة تسع وثلاثين وستمائة ببغداد»[٨٨].

وأبو محمد عبدالله بن عمر الجويني المعروف بابن حَمُّوَيْه شيخ شيوخ دمشق (ت ٦٤٢هـ/ ١٢٤٤م)، سمع ابن العمادية روايته عنها وعن ابن عساكر بدمشق[٨٩].

وأبو طالب القاسم بن الفرج، روى بالإجازة عنها وسمعه ابن العمادية[٩٠].

وأبو القاسم يحيى بن نصر بن أبي القاسم بن الحسن بن قُمَّيْرَة التاجر المعروف بالمؤتمن (ت ٦٥٠هـ/ ١٢٥٢م)، سمع منه ابن العمادية روايته عن تمني بنت عبدالله الوهبانية وشهدة الكاتبة[٩١].

والرواية عنها كثيرة، انتشرت في أقطار البلاد الإسلامية المعروفة في ذلك الوقت، وبلغ من علو شأنها وارتفاع مكانتها أن أُطلق اسمها على أحد شوارع بغداد، فَعُرِفَ بـ (درب شهدة الكاتبة)، أشار إليه السخاوي في ترجمة يحيى بن محمد بن يوسف الشحي السعيدي ابن الكرماني (ت ٨٣٣هـ/ ١٤٣٠م)، قال: «ولد في رجب سنة اثنتين وستين وسبعمائة بدرب شهدة الكاتبة من بغداد»[٩٢].

وفي القرن نفسه ذاع صيت امرأة أخرى في المغرب العربي بمدينة بجاية

الواقعة في الجزائر حالياً، هي **عائشة بنت عمارة بن يحيى بن عمارة الحسني**. كانت أديبة وشاعرة إلا أن شهرتها جاءت من نَسْخِهَا لكتاب يتيمة الدهر للثعالبي، يقول الغبريني (ت ٧٠٤هـ/ ١٣٠٤م):

كان لها خط حسن رأيت كتاب الثعالبي بخطها في ثمانية عشر جزءاً، وفي خاتمة كل سِفْرٍ منهم قطعة من الشعر من نظم والدها رحمه الله، إذا ختم السِّفْرَ، وتم التاريخ يكتب بخط يده: وقال عمارة بن يحيى بن عمارة الشريف الحسني، وتكتب ابنته القطعة بخطها، وهي نسخة عتيقة، ما رأيت أحسن منها ولا أصح. ولقد رأيت منه نسخاً كثيرة منتقدة إلا هذه النسخة، وقد يجب أن تكون هذه النسخة أصلاً لهذا الكتاب، حيث كان، ويقع التصحيح منها، وهذه النسخة من جملة الخزانة السلطانية ببجاية (٩٣).

وفي القرنين السابع والثامن الهجريين برزت عالمة جليلة هي: **زينب بنت إسماعيل بن إبراهيم بن سالم بن بركات** المولودة سنة ٦٥٩هـ/ ١٢٦١م «سمعت الكثير، أسمعها والدها العوالي والنوازل، وما لا يدخل تحت الحصر من أصحاب الخشوعي، وابن طبرزد، وابن الحرستاني، وحنبل المكبر، وغيرهم. وحَدَّثَ عنها الذهبي والبِرْزالِيُّ وخَرَّجَ لها مشيخة في مجلد وعمرت، وسمع عليها الطلبة» (٩٤)، وكانت وفاتها سنة ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م.

ومن شهيرات العلماء المسلمين في القرن الثامن الهجري **ست العرب بنت محمد بن فخر الدين أبي الحسن علي بن أحمد بن عبدالواحد بن البخاري** المتوفاة سنة ٧٦٧هـ/ ١٣٦٥م، قال عنها ابن العراقي: «الشيخة الصالحة المسندة المكثرة، حَضَرَتْ على جدها وحَدَّثَتْ فأوسعت، وانتشر عنها حديثٌ كثير وسمع عليها الأئمة والرحالون، وطال عمرها وانتُفع بها.

حضرتُ عليها [ابن العراقي] كثيراً من مروياتها، وحدثنا عنها والدي مرات كثيرة »[٩٥].

وفي القرن الثامن الهجري اشتهرت عالمة جليلة هي : **جُويرية بنت أحمد بن أحمد بن الحسين بن موسك الهكاري**، كانت من مواليد القاهرة وفيها وفاتها سنة ٧٨٣هـ/ ١٣٨١م، سمعت من أعلام كبار في عصرها، « وَحَدَّثَتْ بالكثير، سمع منها الفضلاء »[٩٦]. وأشار إليها المقريزي في ترجمته لأخيها أحمد بن أحمد بن أحمد بن الحسين الهكاري (ت ٧٦٣هـ/ ١٣٦٢م) بـ« شيختنا جُويرية بنت أحمد الهكارية »[٩٧].

واشتهرت أسرة مكية على مدار عدة قرون بنسائها العالمات هي **أسرة الطبري**، من بينهن: **رئيسة بنت أبي جعفر أحمد بن أبي بكر الطبرية**، المتوفاة بعد سنة ٦٤٥هـ/ ١٢٤٧م[٩٨]، **وفاطمة بنت أحمد بن عبدالله الحسينية الطبرية المكية**، المتوفاة بعد سنة ٧٨٧هـ/ ١٣٨٥م[٩٩]، **وأم كلثوم بنت عبدالواحد الطبرية**، المتوفاة سنة ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م[١٠٠]، **وأم الوفاء ابنة الرضي محمد بن المحب الطبرية**، المتوفاة سنة ٨٦١هـ/ ١٤٥٧م[١٠١]، **وأم كمال بنت المحب محمد بن الرضي الطبرية**، المتوفاة سنة ٨٨٧هـ/ ١٤٨٢م[١٠٢]، **وخديجة بنت عبدالوهاب بن علي الطبرية**، المتوفاة في أوائل القرن الثالث عشر [أواخر الثامن عشر الميلادي][١٠٣].

وتحفل كتب التراجم بأسماء مئات من النساء العالمات النابهات اللاتي أدين دوراً كبيراً في مسيرة الحياة العلمية، وهو ما يناهض ما أقدم عليه بعض الغلاة من الحَجْرِ على النساء نتيجة الجهل والتعصب، وتحجيم دورهن والإجحاف بحقهن الذي منحه الإسلام لهن. واعترف بمكانتهن أعلام كبار من خلال تلقيهم عنهن والفخر بإيراد سماعاتهن وإثبات

رواياتهن، وإطلاق أوصاف التبجيل على بعضهن، من مثل: الفقيهة، والعالمة، والشيخة، والمسندة.

قوانين السلوك وآدابه:

لم يهمل المشتغلون بالعلم أمر السلوك الإنساني عند التعاطي مع العلم أو المهنة، فوضعوا له قوانين وآداباً تبرز مقدار ما أعطوه لهذا الجانب الإنساني؛ فمجالس العلم لها آدابها وقوانينها التي يفترض الالتزام بها. وقد أوردنا إشارات عن هذا الموضوع فيما سبق، ونقتبس فيما يأتي بعض ما أورده السمعاني في كتابه «أدب الإملاء والاستملاء»، ففيما يخص المملي وهو الشيخ الذي يتصدى لإملاء الدروس على جمع من الطلاب، فإنه مُطَالَبٌ بآدابٍ تمس مظهره وسلوكه، من مثل:

- **أن يصلح من هيئته ويأخذ لرواية الحديث أهبته.**
- **أن يكون في حال الإملاء على أكمل هيئة وأفضل زينة، ويتعاهد نفسه قبل ذلك بإصلاح أموره التي تُجَمِّلُهُ عند الحاضرين من الموافقين والمخالفين.**
- **يقص أظافره إذا طالت.**
- **ويأخذ من شاربه.**
- **ويُسَكِّنَ شعث رأسه.**
- **ويلبس الثياب البيض.**
- **ويُكَوِّرَ عمامته.**
- **ويُسَرِّحَ لحيته.**
- **ويستعمل من الطيب إن كان عنده.**
- **وينظر في المرآة.**
- **ويقصد من مشيه إذا قصد المجلس.**

- ويبتدئ بالسلام كافة المسلمين حتى الصبيان غير البالغين.
- وإذا وصل إلى المجلس فليمنع من كان جالساً من القيام له، فإن السكون إلى ذلك من آفات النفس.
- ويستحب له أن يصلي ركعتين قبل جلوسه.
- ويستعمل لطيف الخطاب مع أصحابه.
- ويُحَسِّنَ خلقه مع أصحابه وأهل حلقته.
- وأن يُعَيِّنَ لأصحابه يوم المجلس لئلا ينقطعوا عن أشغالهم وليستعدوا لإتيانه، ويعد بعضهم بعضا.
- ولا ينبغي له إخلاف موعده، إلا أن يقطعه عن ذلك أمر يقوم عذره به[١٠٤].

ومن الآداب المطلوب التقيد بها من طالب العلم:

- أن يجلس حيث ينتهي به المجلس.
- ألاَّ يتخطى الرقاب.
- ألاَّ يقيم رجلاً من مجلسه ويجلس في مكانه.
- يكره أن يجلس في موضع من قام له عن مجلسه باختياره.
- يكره أن يجلس في وسط الحلقة.
- يكره أن يجلس في صدر المجلس.
- يكره أن يجلس بين اثنين في المجلس بغير إذنهما.
- يستحب لمن كان جالساً في الحلقة أن يوسع للداخل ويتزحزح له عن مكانه.
- كراهة القعود في موضع من قام من المجلس وهو يريد العود إليه.
- توقير مجلس المملي.

- لا ينام في مجلس الإملاء.
- يتواضع للمملي.
- أن يكتب بعد التسمية اسم الشيخ الذي يسمع منه الإملاء، أو يكتب عنه وكنيته ونسبه، ثم يتبع لفظ المملي ويكتب ما يمليه.
- يقيد الأسماء والحروف بالشكل والإعجام حذراً من التصحيف والإبهام(١٠٥).

ويُلْزِمُ أبو العلاء صاعد بن الحسن الطبيب (ت بعد ٤٦٤هـ/ ١٠٧١م) الأطباء الأخذ بجملة من الوصايا على النحو الآتي:

أن يكون في بيته مكباً على النظر في العلوم التي ذكرنا أنه محتاج إليها مؤثراً لها على اللذيذ من المطعم والمشرب والمنكح، مراعياً بما يحتاج أن يراعيه من إعداد الأدوية واختيارها وإصلاحها، كثير التفكر في أحوال من بين يديه من المرضي، ناظراً فيما يحتاج أن يدبرهم به قبل أن يدخل إليهم. يحاسب نفسه كل يوم فيما فعله معهم ووصفه لهم؛ فإن علم أنه مصيب مضى على ما عليه، وإن أخطأ أو قَصَّرَ في بعضها تلافى ذلك وأعد له ما يوافقه.

ولا ينبغي أن يكون هَجَّاماً متهوراً عجولاً فيضع الشيء في غير موضعه، ولا جباناً ولا عاجزاً عن فعل ما يجب أن يفعل فيفوته ما يحتاج أن يتعب في استدراك ما فَرَّط فيه. ويكون قليل النهم والشره على الأكل والشرب واتباع الشهوات، غير مخلط في تدبير، وليس، وإن أهمل أمره أو خلط في مطعمه ومشربه لضرورة داعية أو لشهوة مفرطة تجب، أن يُزْهَدَ فيه لأجلها أو يُعابَ لفعلها، مع أنّا بهذا القول لا نطلق إجازة ذلك فقد قال بعض الحكماء: «قبيح بالملك أن يكون ظالماً، فذلك داع إلى فساد ملكه ورعيته،

وقبيح بالزاهد أن يكون فاسقاً، وذلك مفسد لدينه وآخرته، وقبيح بالطبيب أن يكون مخلطاً، وذلك مفسد لصحته ولصناعته». وإذا عدم الطبيب الصحة كان ذلك مما يطلق عليه الألسن بالوقيعة والذم ويورثه خصالاً منها حياؤه وخجله إذا سُئل عن سبب ذلك. ومنها أن القلوب تنفر منه إذ كان الطبيب إذا لم يمكنه حفظ صحته ودفع مرضه، فهو أحرى أن لا يمكنه ذلك في غيره. ومنها أن معيشته تفسد، فلعن الله تخليطاً يوجب تفريطاً، وشهوة تحدث هفوة. ولا ينبغي أن تبلغ به الحمية المفرطة إلى أن تضعف قوته، ويرق جلده، ويهزل بدنه، وتقل شهوته، ويَصْفَرَّ لونه، ويكون ذلك سبب حدوث أمراض مزمنة أو مهلكة بعد أن يقيم بأسوأ حال أكثر عمره. ويكون مشيه بين السريع والبطيء، قليل التلفت، كثير التودد والسلام على من يستحقه، طويل الروح، مبشراً بالخير، ضاحك السن. ولا يبلغ به الانبساط والبشاشة إلى أن يدق الأبواب ويتطفل على المرضى فيُتهاون به وتسقط هيبته ولا يُطاع أمره، ولا يكون من الفظاظة والتكبر إلى الحد الذي يُخاف منه ويُمْقَت لكن يكون بين الحالين.

ولا يمضي إلى المرضى حتى يُسْتَدْعَى فإنه أَجَلُّ له وأرفع لمنزلته، فإن ظهر له من المريض أو من أهله زهدٌ فيه فلا يعاود إليهم، وإذا دخل إلى المريض فليقعد قريباً منه بحيث يرى وجهه ويقابله ويسمع كلامه ويسأله عما يجب أن يسأل عنه وينصت له، ولا يقنع بقوله حتى يستشهد عليه بقول من يَخْبُرَ أمره وتدبيره ويستقصي عنه في مواضع متفرقة، فإنه ربما استحى، أو فزع من يُخْبِرُ بحال المريض أن يُكَذِّبَ قوله إن أخفى شيئاً من أمره أو كتم شيئاً مما قد استعمله أو نسيه. وربما كان العليل لا يحسن أن يُعَبِّرَ عما يجد؛ إما لسوء تصرفه في العبارة أو لغموض العلة، فإن ظهر

للطبيب من المريض أو ممن يليه تَلَجْلُجٌ أو بهرجةُ القول أو أحس بمغالطة أو مخالفة لما يأمر به فليهرب منهم فإن الخطأ يُنْسَبُ إليه لا إليهم، وليبحث عمن دخل إليه من الأطباء وما أشاروا به ولينظر مع الصواب، ولا يحمله حب الغلبة أن لا يدخل تحت الحق، فإن المنصف من كان الحق صديقه في أي جهة كان.

ولا يصف للمريض شيئاً حتى يجيد البحث والسؤال والاستقصاء، ويستدل بالعلامات والدلائل على المرضى ويفهم السبب، فحينئذ يصف بنصح واجتهاد ما يعلم أنه في الغاية من المداواة؛ فإن قصر حال المريض عن ذلك فليلتمس ما يقرب مأخذه ويسهل ثمنه، ولا يتخلف في المنفعة عما يحتاج إليه، وليبشر بالعافية ويقوي نفسه بما قدر عليه، ويعلق ذلك بشروط، وهو قبوله لأمره، ولا يطل الجلوس عند المريض، ولا يتحدث عنده بما لا يحتاج إليه ولا ينفعه، وإن سأله القعود عنده والمهلة عليه فلا يقعد إلا لما يعلم أن فيه صلاحاً للمريض. وبالجملة فليطلب التخفيف فإنه أحلى لموضعه في قلوب الناس، وإذا قارب المريض فليكثر تفكره في حاله وما يجب أن يدبره في المستأنف، ولا يَلْزَمُهُ عيبٌ إن هرب من ظهور علامات مهلكة، فإن ذلك مما يدل على براعته في تقدمة المعرفة.

ويواظب على الدخول إلى البيمارستانات والخدمة فيها والتصفح لغرائب الأمراض التي يجدها، فكثيراً ما يشاهد في مثل هذه المواضع أمراضاً لم يسمع بها، ولا نظرها في المسطور؛ بل ربما كان يظن امتناع وجودها؛ مع أن الأمراض، وإن تفندت واستقرئت من تركيب الأسباب، فأنواعها وأجناسها محصورة في القوانين محفوظة في الأصول. وإذا رأى شيئاً من هذه الغرائب فليثبته في دستوره ويحفظه لينتفع به هو وغيره. وإذا دخل البيمارستانات

فليقعد في الموضع الذي يستحقه ويتجمل به وليتردد بالسكينة والوقار، وليُحسن إنصاته واستماعه لما يشكي إليه المرضى ومن يهمه أمرهم مع رفق بهم وتوقف عليهم في إفهام ما يصفه لهم.

وإذا أمكنه أن يعالج بالغذاء فلا يقرب الدواء، أو يعالج بالدواء فلا يقرب الحديد إلا فيما لا بد منه، ويصف لكل مريض على قدر حاله وإمكانه، وليسهل ما قدر عليه ولا يصف له دواء معدوماً ولا يذكر له اسماً مجهولاً أو غريباً. ولا يكون حنقاً عليهم ولا مكافئاً لهم بقبيح ربما ظهر منهم إليه، أو بتقصير في مجازاة له بجميل فإن «أبقراط» يقول في الوصايا: «إن كثيراً من المرضى هم أهل لأن نتوانى عنهم وخاصة من لم يفعل ما يؤمر به إلا أنه لا ينبغي أن نؤاخذهم بسوء صنعهم إلينا ولا نصرف وجوهنا عنهم، وخاصة من كان منهم سيئ الحال».

وقال بعد ذلك: «وليس ينبغي لنا أن نعاقب من كان على هذه الحال فنصف له غير ما يوافقه، فإن هذا جهلٌ في صناعة الطب غيرُ ملائم لها، بل ينبغي لنا ويحق أن نحكم علاجهم، وأي امرئ أعطاه الله علماً يشفي به المرضى وحباه بذلك فبلغ من قساوة قلبه أن لا ينصحهم، ولا يشفق عليهم، إنه لبعيدٌ من كل خير بعيد من الطب والتشبه بأهله».

وقال أيضاً: «وأمّا أنا فإني آمر من أراد مداولة هذه الصناعة والقرب منها أن يعالج المرضى برأفة ورحمة وشفقة ونصيحة، ولا يتوانى عنهم عند الشدائد ولا يخذلهم في وقت حاجتهم إليه، ويكون بجميع المرضى رحيماً، وعليهم شفيقاً، ولهم ناصحاً، ويحسن القيام عليهم ويصحح الصفات لهم ويجتهد فيما ينفعهم. وإن كانوا فقراء يدرك بذلك شرف الدنيا والآخرة ويكون محموداً، وإن اتفق له مريض فقير غريب فينبغي له أن يعالجه ويقوم

بتدبيره وينفق عليه من ماله إن أمكن لأن ذلك واجب عليه، وله فيه زينٌ ورفعةٌ لأن من كان من الناس رحيماً بهم شفيقاً عليهم فهو من أهل صناعة الطب متصل بها، محب لها».

وقال بعد هذا: «ومن كان غريقاً في حومة قلة العلم لا يعرف شيئاً من هذا ولا يُحسنه فلا ينبغي أن يسمي طبيباً، وإنما يوفق أهل هذه الطبقة بحدودهم وهم يظنون أنهم لا يُعاقَبُونَ بذلك في المعاد. واعلم أن هؤلاء الذين وصفتهم منفعةٌ للطبيب الماهر، وذلك أنهم إذا أساؤوا في أفعالهم ومخالفتهم الحق في صناعة الطب، مُدِحَ حينئذ الطبيب الماهر الناقد البصير، إذا قيس بالجاهل الذي هو طبيب بالاسم فقط». فهذا فصل من كلام الفاضل «أبقراط» نقلناه ليشهد بصحة ما قلنا.

ومن اللازم الواجب على الطبيب أن لا يصف شيئاً من السموم والأدوية القاتلة، ولا يذكرها البتة، ولا يصف دواء يسقط الأجنة، ولا يتكلم إلا بما فيه جلب منفعة أو دفع مضرة، فإن فعل شيئاً من ذلك فالسلطان أولى به والله مكافئه في الدارين. ويجب أن يتباعد من كل فساد ودنس، وبالجملة فلا يفعل ولا يتكلم إلا بما لا يستحي أن يظهره للناس، ويكتم أسرار المرضى فإن كثيراً من الأمراض لا يجوز أن يذكرها الطبيب لغير أصحابها كالبواسير وأمراض الأرحام وغير ذلك[١٠٦].

ويضع إسحاق بن علي الرهاوي الطبيب اليهودي (ت ق ٤هـ/١٠م) آداباً ملزمة للطبيب عليه اتباعها والتمسك بأهدابها، هي:

أن يبدأ في كل يوم باستنظاف ما يبرز من سائر منافذ بدنه، كالذي يبرز من منخريه وعينيه وفمه ونظائرها، وتزكيتها بالماء. وليس يكثر في هذه المنافذ الفضلات إلا لكثرة الأكل والشرب وسوء ترتيبها، فلذلك يكون

أنفع الأشياء في تزكية الحواس ونقائها هو تعديل المأكول والمشروب.

وأيضاً: فإن الطبيب مضطر إلى حضور مجالس الأفاضل والأدباء، والأدب لائق. وليس من الأدب التنحنح والتّبصُّق والتثاؤب والتّمَطّي وأشباه هذه الأشياء، وجميع هذه ونظائرها إنما تأتي على التَمَلّي من الطعام والشراب، فينبغي للطبيب أن يحذر ذلك، وما يملأ الرأس ويفعل هذه الأشياء العَشَاءُ، فيجب أن يتوقّاه، وبعد ذلك فينبغي أن يُعْنَى بفمه بالسّواك والسنونات التي تجلي الأسنان، وتطيب النكهة، وتشد اللثة، كالسعد والإذْخَر ونظائرهما، ويأخذ في فِيه من العود ما يمضغه قليلاً قليلاً، ليطيب بذلك نكهته، وتقوى معدته ودماغه، وكذلك من المُصْطَكي ونظائرها.

ولذلك قال جالينوس: «فقد كانَ رجلٌ به رائحة رديئة من فِيه، فَعُنِيَ بعلاجها حتى نقصت وقَلّتْ بالقيء والإسهال، وشرب الأدوية التي تصلح لها، ثم كان بعد ذلك في كل يوم يُلْقِي في فمه خُماحِماً، وأحياناً شيئاً من الساذج، وأحياناً غير ذلك من الأشياء الطيبة الرائحة، ولم يكن يخرج من منزله إلا بعد أن يفعل ذلك».

ثم يجب عليه أن يتبع ذلك بتفقد روائح سائر أعضائه، فما أنكر منها من رائحة قابله بما يزيل تلك الرائحة كالتوتياء لروائح الإبط، والذرائر التي تقمع الروائح الرديئة.

وكذلك يلزمه أن يتفقد كل ما فضل عن أعضائه مما لا حاجة ضرورية للجسم إليه فيزيله، كالزائد من الأظافير، والفاضل من شعر رأسه ووجهه، وغير ذلك مما شابهه.

ويتلو ما ذكرناه عناية الطبيب بلباسه، فإنه ينبغي له أن يتعمد شيئين أحدهما النافع كاللين والمسخن في الشتاء، وكالرقيق الناعم في الصيف،

والآخر ما جَمُلَ وحَسُنَ عند أبناء نوعه ولم يخرج عن طبقة مثله، فإن الطبيب الخادم للسلاطين يحتاج من الكسوة والطيب إلى أكثر ما يحتاج إليه طبيب العامة.

ويجب للطبيب أن يحرس حواسه كلها، ولا يستعملها إلا فيما اجتلب نفعاً، أو دفع ضرراً، فإن نطقَ نطق عن علمٍ وتحصيل. ولا يُسمع منه لفظة مكروهة، وينبغي أن يتحفظ في ألفاظه، خاصة في مجالس الملوك والرؤساء، فلا يسأل إلاّ عما يعنيه أمره، ولا يجيب إلاّ عما سُئِلَ عنه، وكذلك يلزمه حراسة بصره، وذلك بأن لا ينظر إلى حُرْمَةٍ ليست له بمَحْرَمٍ نظراً هو عنه غَنِيٌّ، ولا إلى غلام، ويجتهد في أن يكون نظره دائماً في كتب صناعته، وفي ديوان شريعته، فإن كتب الشرائع تُقَوِّمُ الأخلاق، وتبعث على الأعمال المحمودة، وكتب صناعته تكسبه علماً بها.

ويجب على الطبيب حراسة سمعه، وذلك بأن لا يصغي إلى محادثة الجُهّال، ولا إلى استماع أقاويل الأشرار، ومذاهب الآراء الرديئة، وحسم ذلك عنه هو بأن لا يجالس أهل هذه الأمور ولا يخالطهم، ولا يجادلهم ما أمكنه، فإن تهيأ له مذاكرة فاضل، وإلا كان الأنس بالوحدة والخلوة بالدرس له أعظم الأنس.

وهكذا ينبغي للطبيب أن يأخذ نفسه في حراسة حواسّه الباقية، وذلك بأن يحرس نفسه من اشتمام الروائح المكروهة المفسدة لدماغه، أو ملامسة الأعمال المُفْسِدة لبدنه، وينبغي أن يجتهد في تعديل هواءِ مسكنه ومجلسه، وذلك بأن لا يجاور ما يفسد هواءه، من مسبك نحاس، أو أتُّون حَمّام، أو مجمع ماء رديء، أو مدبغة، أو ما أشبه ذلك.

ثم يجب على الطبيب أن يقسم يومه وليلته أقساماً بحسب حاجاته

ومصالحه، ويجتهد في أن يكون وقت نومه أقلَّ الأوقات، وبحسب الحاجة فقط، لأن النوم كأنه موت ما، والأعمال فإنما تتم باليقظة، فلذلك يجب أن يكون زمان اليقظة أكثر من زمان النوم، وينبغي أن يجري زمان أعماله بجرية يحسبها؛ ومثال ذلك أن أول الأفعال التي ينبغي للعاقل أن يفعلها بعد قيامه من نومه، ونظافة جسمه وحواسه - على ما تقدم به القول - هو الصلاة، فإن الشكر للمنعم، والإقرار له بالوحدانية والخشوع بين يديه؛ إذ هو العلّة لكل خير، والقادر على كل فعّال؛ من الواجب عقلاً وشرعاً. وبالتَّنَصُّل والإقلاع عن العيوب مع نقاء القلوب، يُمَحِّص الربُّ الذنوب، ويجيب الدعوات، ويوصل إلى كل محبوب. فلذلك وأمثاله ينبغي أن يكون أول الأفعال: الصلاة، وذلك يكون في الجزء الأخير من الليل. ثم يجب على الطبيب أن ينعطف من صلاته إلى قراءة جزءٍ من كُتُبِ شَرْعِهِ إذ هو الآمر له بالخيرات، والباعث له على الصالحات، ثم يعدل إلى قراءة ما قد رَتَّبَه لنفسه من كتب الطب حسب ترتيب القدماء لذلك، فإذا توجب له الخروج إلى مرضاه عادَ فصَلّى صلاة الصبح النهارية، وسأل الله تبارك وتعالى أن يُنْجِح سعيه، وأن يَشفي المرضى على يديه، وخرج بنية صادقةٍ إلى مَرْضاه الذين قد نالتهم أنواع المكاره، وعيونهم ساهرة من عظم البلاء في حال ما كان هو نائماً مُعافًى، فيحمد الله على ما وهبه له كثيراً، ويسأله المعونة على بُرْئهم، فإذا وافى المريض، وسأله عن حاله، وعرف أخباره، طَيَّبَ نفسه، ووَعَدَه بالبُرْءِ والسلامة.

فإن يكن المريض، أو من يخدمه، يَعُون ويفهمون وصف أدويته وأغذيته، بل أثبتها لهم، فإن ذلك أسلم له ولهم، وإن لم يكن من يعي تولى هو إصلاح ما يحتاج إليه بيده، فإن لم يتهيأ له ذلك لم يصف له شيئاً، لأن سكوته عن

وصفه لمن لا يعي ولا يُؤْمَنُ منه الخطأ هو أصلح للمريض وللطبيب.

وبعد أن يستوفي العيادة لمرضاه، فيجب أن يعود إلى مجلسه المرسوم له، فيجلس لمن يجيئه من المرضى، ويحسن المساءلة.

ولم أذكر هنا كيف ينبغي أن تكون مساءلته للمرضى؟ ولا كيف ينبغي أن يكون المرضي، ولا كيف ينبغي أن يكون خدمهم، لأني قد أفردت لكل معنى من ذلك باباً وسمته به، يأتي فيما بعد بعون الله. ولكن على الطبيب أن يوسع خلقه، ويحتمل من المرضى ضَجَرَهم، وأي كلام سمعه منهم بغير تحصيل لم يحفل به، ولكن عليه أن يحصل من جميع ما يسمعه ما ينتفع به في برء المريض، وما سوى ذلك لا يفكر به، وليس ينبغي للطبيب أن يمنع المريض من كثرة ما يشتكيه، فيظهر ضَجَراً من ذلك، لأنه ربما أوردَ في كلامه علامات يستدل منها الطبيب على ما ينتفع به، ويستشهد بها على صحة مرضه.

وينبغي للطبيب أن تكون فيه رحمة، ولا يتم ذلك إلا بتقى وخوف من الله جلّ وعز، وإذا كان الطبيب كذلك لم يسمع منه إلا بالصدق، ولم يفعل إلا الخير مع سائر الناس كافة. وإذا فرغ من حوائج الناس، ثم أخذ في مصالح جسمه، من استحمام وأكل وشرب، فعليه أن يعدل ذلك لجسمه حسب ما يوافقه بالكمية والكيفية، وبحسب الزمان والمكان، وإن احتاج إلى الأكل مع غيره فلا يتبع في أكله وشربه محاب الأصحاب، بل يأخذ من كل أمر طبيعي بحسب الواجب، وبمقدار الحاجة لا بحسب اللّذّة، ويكون هو المعلم لغيره الصوابَ في ذلك، وليُجِدْ مضغَ ما يأكله، وليمتصَّ ما يشربه. والأحمد للطبيب أن لا يُجالِسَ شُرّاب النبيذ؛ لأنه يضيع زمانه، ويستشغل مكانه، وليحذر أيضاً مخالطة الأحداث، وكثرة المزاح، فإنه يبسط عليه

الجاهل والوَقّاح. ولا ينبغي للطبيب أن يُجاذب النساء، [لئلا يسقط عند العامة والرؤساء، ولا يصلح للطبيب كسب الأموال من التجارة] لئلا يقطعه عن العلم، ويكسبه الخسارة. ولا يصلح للطبيب التشاغل باللّعب والملاهي، لئلا يسخف ويصير واهياً، ولا يليق بالطبيب المَلَقُ؛ فإنه خُلُقٌ خَلَقٌ، ولا يحسن بالطبيب الحسد، فإنه يسقطه عن كل أحد(١٠٧).

ويتضح مما سبق الحرص على آداب السلوك في التعليم، وفي ممارسة المهنة منذ زمن طويل، وهو ما ينم على ارتباط وثيق بين الأداء والقيم الأخلاقية؛ فالعَالِمُ عليه التزام قواعد سلوكية، والطالب عليه مثل ذلك، ولممارس مهنة الطب قوانين صارمة يتقيد بها تبدأ بما يجب أن يكون عليه من حيث المظهر، وتنتهي بكيفية التعامل مع المرضى، وهي تصب جميعها في مصلحة المريض! فهو مُطالَبٌ بأن يصغي إليه، وأن يفحصه فحصاً جيداً، وألاّ يعطيه شيئاً إلا بعد الاستقصاء والبحث، وأن يحاول معالجته بالغذاء قبل وصف الدواء، كما يجب عليه أن يكتم أسرار المرضى.

ذلك ما كان عليه السلف من آداب السلوك، جُعِلَتْ في قواعد محددة ليُقْتَدَى بها، ولتكون منهجاً يُتَّبَعُ ويُحتذى.

الإطار المعرفي هو الأنموذج:

أما الإطار المعرفي، فإن ما كُتِبَ عن العلوم الدينية والإنسانيات والفلسفة والفنون كثيرٌ عرض له، وتحدث عنه، كل الذين ألموا بتاريخ الحضارة العربية الإسلامية، مع قليل كَتَبَ عن العلوم البحتة والتطبيقية، وبخاصة من الدارسين العرب؛ لذا فقد اختيرت لتكون أنموذج الإطار المعرفي مقاربة لروح العصر الذي نحن فيه، لأنها وقود حضارة اليوم

وركيزتها التي تقوم عليها .

لقد كان العطاء في هذا الإطار المعرفي ثرّاً غزيراً فيه إبداع وابتكار، وفيه تنظير وتجريب جاء ثمرة طبيعية لوفرة المادة العلمية المترجمة والمؤصلة التي ضمتها مراكز العلم؛ من مكتبات عامة، ومكتبات مدارس ومساجد، ومن مدارس شاملة ومتخصصة .

واتجاه المسلمين إلى ميادين العلم التطبيقي كانت تمليه أهداف دينية في بداياتها لأن :

هدف المسلمين الأول، من الاهتمام بهذه الموضوعات معرفة أسس تحديد المواقيت واتجاه القبلة، فاستطاعوا باستخدام الهندسة أن يحددوا اتجاه القبلة، وباستخدام الفلك أن يحددوا بداية شهر رمضان المبارك، ثم لم يقتصر المسلمون في تطبيق العلوم التي طوروها على مطالب العبادة، بل استخدموها في كل ما فيه خير للبشرية[١٠٨] .

وإشراق العلم وازدهاره في المجال العلمي يعودان إلى مرحلة مبكرة، ففي القرن الهجري الأول قاد خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان (ت ٨٤هـ، أو بعدها / ٧٠٣م)، حركة الترجمة العلمية عندما أمر «بإحضار جماعة من الفلاسفة اليونانيين ممن كان ينزل بمدينة مصر، وقد تَفَصَّحَ بالعربية، وأمرهم بنقل كتب الصنعة (= الكيمياء) من اللسان اليوناني والقبطي إلى العربي، وهذا أول نقل كان في الإسلام من لغة إلى لغة»[١٠٩] .

ويذهب بعض الباحثين إلى أنه :

يمكن اعتبار القرنين الثالث والرابع الهجريين (التاسع والعاشر الميلاديين) القرنين الذهبيين للرياضيين المسلمين الذين يدين لهم العالم بالكثير، لحفظهم التراث القديم وتطويره، ولابتكاراتهم الجليلة في وقت كانت فيه

أوروبا المظلمة قد أصيبت بانحطاط في دراسة الرياضيات. ولقد أكدت الأبحاث الحديثة المدى الكبير الذي يدين به العالم للعلماء المسلمين الذين حثوا على نمو المعارف بينما كانت أوروبا في ظلام دامس[١١٠].

ويؤكد ما ذهب إليه الباحث السابق بروز أعلام كبار في تلك الحقبة وضعوا مؤلفات في موضوعات علمية متنوعة، أشهرهم: أبو يوسف يعقوب ابن إسحاق بن الصباح بن عمران بن إسماعيل بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي، المتوفى سنة ٢٦٠هـ/٨٧٤م. قال عنه النديم (ت ٤٣٨هـ/ ١٠٤٦م): «فاضل دهره، وواحد عصره في معرفة العلوم القديمة بأسرها. ويُسَمَّى فيلسوف العرب، وكتبه في علوم مختلفة مثل: المنطق والفلسفة والهندسة والحساب والأرثماطيقي والموسيقى والنجوم..».

ومن مؤلفاته التي ذكرها النديم:

- رسالة في المدخل إلى الأرثماطيقي.
- رسالة في استعمال الحساب الهندي.
- رسالة في الإبانة عن الأعداد التي ذكرها فلاطن في كتابه السياسة.
- رسالة في تأليف الأعداد.
- رسالة في استخراج الخبيء والضمير.
- رسالة في النسب الزمانية.
- رسالة في أن العالم وكل ما فيه كُرِّيٌّ الشكل.
- رسالة في أن الكرة أعظم الأشكال الجرمية.
- رسالة في تسطيح الكرة.
- رسالة في اختلاف المناظر.
- رسالة في تقريب وتر الدائرة.

- رسالة في تقسيم المثلث والمربع وعملهما.
- رسالة في شروق الكواكب وغروبها بالهندسة.
- رسالة في البراهين المساحية لما يعرض من الحسابات الفلكية.
- رسالة في اختلاف مناظر المرآة.
- رسالة في صنعة الأسطرلاب.
- رسالة في استخراج الساعات على نصف كرة بالهندسة.
- رسالة في عمل الساعات على صفيحة تُنْصَبُ على السطح الموازي للأفق خير من غيرها.
- رسالة في الصور.
- رسالة في تناهي جرم العالم.
- رسالة في مائية الفلك واللون اللازم اللازوردي المحسوس من جهة السماء.
- رسالة في كيفية الدماغ.
- رسالة في علة الجذام وأشفيته.
- رسالة في الأعراض الحادثة من البلغم وعلة موت الفجأة.
- رسالة في قدر منفعة صناعة الطب.
- رسالة في أن رؤية الهلال لا تُضبط بالحقيقة وإنما القول فيها بالتقريب.
- رسالة في مطرح الشعاع.
- رسالة في سرعة ما يُرى من حركة الكواكب إذا كانت في الأفق وإبطائها كلما علت.
- رسالة في بطلان قول من زعم أن جزءاً لا يتجزأ.
- رسالة في علة النوم والرؤيا وما ترمز به النفس.
- رسالة في العلة التي فيها يبرد أعلى الجو ويسخن ما قرب من الأرض.

- رسالة في الكواكب الذوابة.
- رسالة في علة البرد المسمى برد العجوز.
- رسالة في استخراج بُعد مركز القمر من الأرض.
- رسالة في تلويح الزجاج.
- رسالة فيما يُصبغ فيعطي لوناً.
- رسالة في أنواع السيوف والحديد.
- رسالة في أنواع النحل وكرائمه.
- رسالة في كيمياء العطر.
- رسالة في المد والجزر.
- رسالة في الحشرات.
- رسالة في علم حدوث الرياح في باطن الأرض المحدثة كثير الزلازل والخسوف.
- رسالة في علة الرعد والبرق والثلج والبرد والصواعق والمطر[١١١].

ويتبين من أعمال الكندي أنه كان عالماً موسوعياً، درس كثيراً من الظواهر الطبيعية ووضع مؤلفات فيها.

ومن العلماء الموسوعيين الذين ظهروا في القرن الثالث الهجري أبو الحسن ثابت بن قرة بن مروان بن ثابت الصابئ الحراني المتوفي سنة ٢٨٨هـ/ ٩٠١م، ومن مؤلفاته:

- حسابُ الأَهِلَّة.
- رسالة في سنة الشمس.
- رسالة في استخراج المسائل الهندسية.
- رسالة في الأعداد.

– رسالة في الحصى المتولد في المثانة.

– رسالة في وجع المفاصل والنقرس.

– رسالة في السبب الذي من أجله جُعِلَتْ مياه البحار مالحة.

– رسالة في الجدري والحصبة.

– رسالة في البياض الذي يظهر في البدن.

– رسالة في كتاب إبطال الحركة في فلك البروج(١١٢).

ومن علماء القرن الرابع الهجري الموسوعيين: محمد بن محمد بن يحيى بن إسماعيل بن العباس المعروف بأبي الوفاء البُوزْجاني، المتوفى سنة ٣٨٨هـ/ ٩٩٨م، ومن مؤلفاته:

– ما يحتاج إليه العمال والكتاب من صناعة الحساب.

– تفسير كتاب الخوارزمي في الجبر والمقابلة.

– تفسير كتاب ذيوفنطس في الجبر.

– تفسير كتاب أبي حسن في الجبر.

– كتاب استخراج ضلع المكعب.

– كتاب معرفة الدائرة من الفلك.

– كتاب الكامل في حركات الكواكب(١١٣).

واهتم العلماء العرب في تلك الفترة المبكرة بالرياضيات، وتُفَصِّلُ يُمنى الخولي ما قاموا به قائلة:

تظل الرياضيات أعلى مدارج العقل العلمي، وأرقى أشكال التفكير المنطقي المنظم والمدخل الحق للطرح العلمي. وقد لعب العرب دوراً كبيراً في تاريخ الرياضيات ومسارات تطورها، وعلى مفترق الطرق بين الحساب والجبر والهندسة. لذلك يجمل بنا أن نتوقف هنيهة إزاء الرياضيات العربية،

خصوصاً أنها تبلور إلى أي حد كان العلم العربي استيعاباً وتمثلاً لروافد العلم القديم الشرقية والأوروبية على السواء، أو الهندية والإغريقية، ثم دفعاً لمسيرة التقدم العلمي، وإلى الدرجة التي تضع الرياضيات العربية على مفترق الطرق كما ذكرنا.

وبصفة عامة أخذ العرب بتصنيف الإغريق للمباحث الرياضية، فانقسمت الرياضيات العربية إلى أربعة علوم أساسية، هي: الحساب، والهندسة، والفلك (علم الهيئة)، والموسيقى، وتتفرع فروعاً عدة، ويعد الجبر - إنجاز الرياضيات العربية الأعظم - امتداداً أو فرعاً للحساب.

لم يكن للعرب قبل الإسلام باع في العلوم الرياضية. الرياضة ليست كالشعر، بل هي كالفلسفة، أي: نتيجة مباشرة لمعلول مستحدث هو الثورة الثقافية العظمى التي أحدثها الإسلام، ثم تعاظمت بفعل عوامل عدة سوف نشير إليها، فسارت الرياضيات في الحضارة الإسلامية بالمرحلتين التاريخيتين اللتين مرت بهما الإنجازات المستحدثة للعقلانية العربية، أي مرحلة الترجمة والنقل، ثم مرحلة الإسهام والإبداع.

بدأت المرحلة الأولى حين أمر الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور بترجمة «السدهانات» أي «مقالة الأفلاك» التي عرفها العرب باسم «السندهند»، وهي أكبر موسوعة هندية في الحساب والفلك والتنجيم، ومن وضع براهما جويت، وتتألف من جزأين، أحدهما عن الأزياج أي: سير الكواكب التي نستخرج منها جداول التقاويم، والآخر عن الوسائل الحسابية لهذه الجداول التي فتحت أمام العرب آفاق الحساب وحساب المثلثات. وقد حملها إلى بغداد عام ١٥٣هـ/ ٧٧٠م العالم الهندي كنكه، فترجمها إلى العربية يعقوب بن طارق (ت ١٧٩هـ/ ٧٩٦م) وإبراهيم بن حبيب الفزاري المنجم

(ت ١٦٠هـ/ ٧٧٧م) . كانت «السدهانات» أو «السندهند» فاتحة الاتصال بالرياضيات الهندية، التي كانت بدورها العلة المباشرة لنشأة الرياضيات العربية، وتنامت فيما بعد عن طريق الاتصال المباشر بالحضارة الهندية، خصوصاً على يدي اثنين من أكبر الرياضيين العرب، هما: الخوارزمي والبيروني، وكلاهما أتقن اللغة السنسكريتية، وزار الهند.

لكن لم تشفِ «السندهند» غليل العقلية العربية الناهضة المتشوفة آنذاك، فأمر جعفر البرمكي بترجمة كتاب «أقليدس» ليكون أول ما تُرجم من كتب اليونان، وأيضاً البوابة العظمى التي دخل منها العقل العربي الإسلامي إلى عالم الهندسة، ليبدأ عصر ازدهار الرياضيات العربية.

فقد اهتم الإسلاميون بالرياضيات أكثر من اهتمامهم بسواها من مباحث العلوم العقلية، وانشغلوا بموقعها في النسق المعرفي. فقد وضعها الكندي - أول الفلاسفة الإسلاميين - مدخلاً للعلوم، فتسبقها جميعاً، حتى إنه جعل المنطق ذاته يأتي بعد الرياضيات، التي جعلها جسراً للفلسفة. وللكندي رسالة في أنه «لا تُنال الفلسفة إلا بالرياضيات»، وله من الكتب والرسائل أحد عشر في الحساب، وثلاثة وعشرون في الهندسة، فضلاً عن تسعة عشر في النجوم.

وإذا كان ابن سينا - الشيخ الرئيس - يضع المنطق في المدخل ثم الطبيعيات، وبعدها تأتي الرياضيات، وأخيراً الإلهيات، فهذا يعكس مسار العقل وتدرج خطاه، فقد اهتم بالرياضيات، أكثر من الكندي، وصنف علومها إلى علوم الرياضة الرئيسية، وهي: العدد والهندسة والهيئة (الفلك) والموسيقى، وتتشعب عنها علوم الرياضة الفرعية. فعن العدد يتفرع الجمع والتفريق والحساب الهندي، وعلم الجبر والمقابلة، وعن

الهندسة يتفرع علم المساحة، وعلم الحيل المتحركة، وعلم جر الأثقال، وعلم الأوزان والموازين، وعلم الآلات الجزئية، وعلم المناظر والمرايا، وعلم نقل المياه. أمَّا علم الهيئة فيتفرع عنه علم الأزياج والتقاويم، ومن فروع علم الموسيقى اتخاذ الآلات الغربية.

وفي كل حال سلَّم التراث الإسلامي بالعلوم الرياضية بوصفها مبرهنات يقينية لا بد أن تحتل موقعها بدقة في بنية العقل. وحتى الإمام الغزالي حين صب جام غضبه على العقلانية وعلوم العقل، استثنى الرياضيات، وقال إن أعظم جناية على الإسلام الظن بأنه ينكر الرياضيات، فظلت الرياضيات دائماً لا معنى لإنكارها ولا للمخالفة فيها بتعبير الغزالي.

على أي حال، أدى اهتمام الإسلاميين بالرياضيات، وإعلاء شأنها إلى تناميها على أيديهم تنامياً يصعب تفسيره فقط بهذه النظرة الداخلية للنسق المعرفي، فثمة عوامل خارجية في الحضارة الإسلامية دفعت إلى هذا، منها اهتمام العرب وأسلافهم العتيق بالتجارة وحساب الأنصبة والأرباح في البضائع والبيوع. وكمثال على مشاكل التجارة العربية التي احتاجت في حلها إلى عقلية رياضية متطورة: تَنَاقُصُ قيمة الجارية كلما تقدمت في العمر وحساب ثمنها، ثم نظام المواريث الإسلامي المعقد، وأيضاً تعاظم جحافل الجيوش الجرارة، وتوزيع رواتبها وغنائمها وحساب نفقاتها، ثم الرخاء الاقتصادي والتراكم المالي الذي تلا تكوين الإمبراطورية الإسلامية، ومشاكل حساب أنظمة الجزية والخراج والضرائب والزكاة. هذا فضلاً عن مشاكل عمليات المساحة وتقسيم الأراضي وتشييد المدن(١١٤).

وبرع العرب في علم الشفرة أو ما كان يطلق عليه: **علم التعمية**، ودرس هذا العلم من المعاصرين محمد المراياتي، ويحيى مير علم، ومحمد

الطيّان، وأظهروا تفوق العرب فيه، وأشرفوا على نشر نصوص تراثية في هذا العلم، منها: رسالة أبي يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي في استخراج المعمى، ورسالة ابن عدلان (ت ٦٦٦هـ/ ١٢٦٨م) في حل التراجم التي كتبها للملك الأشرف، ومفتاح الكنوز في إيضاح المرموز لعلي بن الدريهم (ت ٧٦٢هـ/ ١٣٦١م) ومقاصد الفصول المترجمة عن حل الترجمة لإبراهيم بن محمد بن دنينير (ت ٦٢٧هـ/ ١٢٢٩م)[١١٥].

وتميزت مجموعة من الأسر باشتغال أفرادها بالعلوم التجريبية، والبراعة فيها، وألفوا كتباً مميزة تداولها الناس من بعدهم، منها: أسرة آل شاكر الذين برعوا في الهندسة والمساحة. قال الذهبي في ترجمة محمد بن موسى ابن شاكر (ت ٢٥٩هـ/ ٨٧٣م):

محمد بن موسى بن شاكر صاحب الهندسة، أخو أحمد والحسن، كان أبوهم من رؤوس أئمة الهندسة، وكذلك بنوه...

ولهم كتاب في «الحِيَل» فيه عجائب وغرائب...

وكان المأمون يعتمد عليهم في الرصد ومساحة الدنيا.

ويقال إن «كتاب الحيل» لأحمد، وكتاب «الجزء» لمحمد، وكتاب «أولية العالم» لمحمد، وكتاب «حركات الفلك» له، وكتاب «المدور المستطيل» لحسن، وكتاب «الشكل الهندسي» لمحمد. وهم الذين حسبوا أن دور الكرة مسافة أربعة وعشرين ألف ميل، ومجموع ذلك ثلاث مئة وستون درجة[١١٦].

وكانت المشاركة من علماء عاشوا مراحل الازدهار الحضاري كبيرة وواسعة، ولاسيما في ميدان الطب الذي حظي برعاية الخلفاء والحكام ليكون عاملاً على توفير خدمة صحية للأفراد من مختلف الطبقات،

فجاءت فيه مصنفات متنوعة؛ فأبو جعفر أحمد بن محمد بن أحمد بن السيد الغافقي (ت بعد ٥٦٠هـ/ بعد ١١٦٥م)، كان من أكابر علماء الأندلس، وضع مصنفاً في الأدوية:

لا نظير له في الجودة ولا شبيه له في معناه، قد استقصى فيه ما ذكره ديسقوريدس والفاضل جالينوس بأوجز لفظ وأتم معنى، ثم ذكر بعد قوليهما ما تجدد للمتأخرين من الكلام في الأدوية المفردة، أو ما ألم به واحد منهم وعرفه فيما بعد؛ فجاء كتابه جامعاً لما قاله الأفاضل في الأدوية المفردة ودستوراً يُرجع إليه فيما يُحتاج إلى تصحيحه منها[١١٧].

ومن العلماء البارزين في مجال الطب: أبو سعيد اليمامي (ق ٥هـ/ ١١م) «كان مشهوراً بالفضل والمعرفة، متقناً لصناعة الطب، جيداً في أصولها وفروعها، حسن التصنيف، له مؤلفات منها: شرح مسائل حنين، ومقالة في امتحان الأطباء، وكيفية التمييز بين طبقاتهم»، وابنه: أبو الفرج ابن أبي سعيد اليمامي (ق ٥هـ/ ١١م) «كان فاضلاً في الصناعة الطبية، متميزاً في العلوم الحكمية، اجتمع بالشيخ الرئيس ابن سينا، وجرت بينهما مسائل كثيرة في صناعة الطب وغيرها... له رسالة في مسألة طبية دارت بينه وبين ابن سينا»[١١٨].

وشكلت أسرة ابن زهر الأندلسية حلقة متواصلة من العلماء الذين أكبوا على خدمة علم الطب بالتجريب والتصنيف، ومزاولة المهنة لخدمة الناس، فكان أولهم: أبو مروان عبدالملك ابن الفقيه محمد بن مروان بن زُهر الإيادي الإشبيلي، ومن بعده جاء ابنه أبو العلاء زهر بن عبدالملك بن محمد (ت ٥٢٥هـ/ ١١٣١م) الذي وضع جملة من المصنفات الطبية، من بينها: كتاب الخواص، كتاب الأدوية المفردة، كتاب الإيضاح بشواهد

الافتضاح في الرد على ابن رضوان فيما رده على حنين بن إسحق في كتاب المدخل إلى الطب، كتاب حَلُّ شكوك الرازي على كتب جالينوس، كتاب النكت الطبية»[١١٩]. ثم كان أبو مروان عبدالملك بن زهر بن عبدالملك (ت ٥٥٧هـ/١١٦٢م)، وله من الكتب المصنفة في هذا الموضوع: «كتاب التيسير في المداواة والتدبير، وكتاب الأغذية، وكتاب الزينة، ومقالة في علل الكلى، ورسالة كتب بها إلى بعض الأطباء بأشبيلية في علتي البرص والبهق...». وأعقب أولئك جميعاً الحفيد أبو بكر محمد بن عبدالملك بن زهر (ت ٥٩٥هـ/١١٩٩م)، وبعده جاء ابنه أبو محمد عبدالله بن الحفيد أبي بكر محمد (ت ٦٠٢هـ/١٢٠٥م)[١٢٠].

وقبل الغافقي وآل زهر كان أبو بكر الرازي (ت ٣١١هـ/٩٢٣م) رائد مرحلة التأصيل في مجال الطب التي أعقبت مرحلة الترجمة والنقل، وفي هذه المرحلة أصبحنا، كما يقول ماكس مايرهوف «نجد عوضاً عن المجموعات المأخوذة من المصادر العتيقة موسوعات منتظمة صُنِّفَتْ فيها معارف الأجيال السابقة تصنيفاً دقيقاً، ووضعت مقابلها المعلومات الجديدة»[١٢١]. ويعتقد مايرهوف: «أن أعظم أثر طبي للرازي وربما كان أوسع ما توصل إلى كتابته رجلُ طِبٍّ، هو كتاب (الحاوي في الطب)، الذي يتضمن في الواقع كل ما توصل إليه الطب السرياني والعربي من معرفة واكتشافات»[١٢٢].

ويوضح مايرهوف منهج الرازي الذي مكنه من وضع هذا الكتاب فيقول: «لا شك في أن الرازي كان يجمع في حياته الآراء والمعلومات من كتب الطب التي كان يعكف على قراءتها والنظر فيها، فيدرجها جنباً إلى جنب مع تجاربه الطبية، يجمعها كلها في أواخر أيامه ويعمل منها هذا

الكتاب المدرسي العظيم»(١٢٣).

التنوع الثقافي والعلم التطبيقي:

كان علماء العرب المتخصصون في العلوم التجريبية التطبيقية على دراية واسعة بعلوم الدين والفقه واللغة والأدب، يهتمون بها جنباً إلى جنب مع المعرفة العلمية التطبيقية؛ فالطبيب إفرائيم بن الزَّفَّان، أبو كثير اليهودي المصري (ت قريباً من ٤٨٠هـ/١٠٨٧م) من أمهر تلامذة علي بن رضوان، كان واسع الثقافة يدل على ذلك أنه «خلف من الكتب ما يزيد على عشرين ألف مجلد»(١٢٤).

ولاشك أن مثل تلك المكتبة الكبيرة لا بد أن تكون حاوية لكثير من الفنون والمعارف المتداولة في ذلك العصر، وليس كتب الطب أو العلوم التطبيقية وحدها.

وبلغ أبو الصلت أمية بن عبدالعزيز بن أبي الصلت الأندلسي (ت ٥٢٩هـ/١١٣٥م) «في صناعة الطب مبلغاً لم يصل إليه غيره من الأطباء، وحصل من معرفة الأدب ما لم يدركه كثير من سائر الأدباء، وكان أوحد في العلم الرياضي، متقناً لعلم الموسيقى وعمله، جيد اللعب بالعود. وكان لطيف النادرة، فصيح اللسان، جيد المعاني، ولشعره رونق»(١٢٥).

ولُقِّبَ الطبيب أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد الأموي المعروف بابن أندراس (ت ٦٧٤هـ/١٢٧٥م) بالفقيه الحكيم لأنه:

تبسط للطب طبيباً، باحثاً جيداً، وله معرفة بعلم العربية، وله شركة في أصول الدين جيدة، ويشارك مع هذا في فنون أخرى غير هذه مشاركة حسنة، وكانت له حدة ذهن وجودة وتبسط لإقراء الطب والعربية. وكان حاذقاً في عربيته، قرأتُ عليه (أي ابن الغبريني) أرجوزة ابن سينا قراءة

إتقان وجودة وبيان، وكان يحضر لذلك نبهاء الطلبة، ويجري فيها من الأبحاث ما تعجز الكتب عنه. وحضر لمجالس من القراءة عليه القاضي الجليل أبو عبدالله بن يعقوب.. والفقيه الحكيم أبو بكر ابن القلاس (١٢٦).

ونشير هنا إلى ما كان عليه حنين بن إسحاق، وثابت بن قرة، وآل شاكر، وآل زُهر، والفارابي، وابن سينا وغيرهم من الذين مهروا في علوم نظرية وتجريبية، وتمكنوا من اللغة العربية أداة لتأليف مصنفاتهم العلمية.

وفي هذا الصدد نجد ما يؤكد العلاقة الوثيقة بين البناء المعرفي النظري والعلم التطبيقي، وهو ما غاب في عصور الأمية؛ فأفقد العلم التجريبي عدته الأساسية وارتباطه بالثقافة العربية الإسلامية؛ فشاع القول بعدم ملاءمة العربية لاستيعاب العلوم التجريبية.

ويوضح باحث معاصر في دراسة له عن تاريخ الرياضيات التفاعل الإيجابي للغة العربية مع العلوم، فيذكر كيف أنها استوعبت لغة الحساب والجبر والهندسة وحساب المثلثات وغيرها:

ولم يفكر أحد في أن تكون لغة العلم غير العربية مع وجود السريانية والفارسية واليونانية، فصارت اللغة العربية لغة العلم على مستوى العالم، ومنذ القرن الحادي عشر [الميلادي] حتى نهاية الخامس عشر [الميلادي] صار من لا يعرف العربية في أوربا لا يُعَدُّ من أهل العلم (١٢٧).

والمؤسف ما نراه اليوم من تحول إلى اللغات الأخرى، وبخاصة اللغة الإنجليزية لتعليم العلوم البحتة والتطبيقية بحجة قصور العربية وعدم ملاءمتها، وهي حجة ساقطة ركيزتها المنهج الهش المتبع في تدريس العربية.

وضوح لغة العلم:

كانت لغة العلم مبهجة، واضحة الدلالات في القرون الأولى، تنم على

تعمق في التجريب، وتُفْصِحُ عن رغبة في إشاعة معارف نافعة للإنسان، ترتكز على تحقيق دقيق للمعلومة، وتقتصد في العبارات، وتبتعد عن الغموض والإبهام، كما هو واقع العلم المعاصر، فهذا أبو بكر الرازي يُعَرِّفُ مرض النقرس قائلاً:

هو مرض يعرض في مفاصل القدمين، يؤلم ألماً شديداً، ويصير بالإنسان إلى أن يعوقه عن المشي والتصرف بالحركات. والفرق بينه وبين وجع المفاصل - إذا كان حدوثه في المفاصل - أن وجع المفاصل يعم مفاصل البدن كلها، والنقرس إنما يخص القدمين، فإذا انتشرت الآفة في اليدين والرجلين معاً إلى درجة تألم فيها المفاصل، كان ذلك وجع المفاصل، وكذلك إن خصت الآفة اليدين دون الرجلين(١٢٨).

ويبين الكندي سبل فك الشفرة، أو ما كان يُعرف بالمعمى على النحو الآتي:

فمما نحتال به لاستنباط الكتاب المُعَمَّى إذا عُرف بأي لسان هو أن يوجد من ذلك اللسان كتابٌ قدر ما يقع في جلد أو ما أشبهه، فنعدُّ ما فيه من كل نوع من أنواع حروفه، فَتُكْتَبُ على أكثرها عدداً: الأول، والذي يليه في الكثرة: الثاني، والذي يلي ذلك في الكثرة: الثالث، وكذلك حتى نأتي على جميع أنواع الحروف. ثم ننظر في الكتاب الذي نريد استخراجه فَنُصَنِّفُ أيضاً أنواعَ صُوَرِهِ، فننظر إلى أكثرها عدداً فَنَسِمُهُ بِسِمَةِ الحرف الأول، والذي يليه في الكثرة، فنسمه بسمة الحرف الثاني، والذي يليه في الكثرة فنسمه بسمة الحرف الثالث، ثم كذلك حتى تنفد أنواع صور حروف الكتاب المعماة التي قُصد لاستنباطها، ولأنه قد يعرض في بعض الأوقات أن يكون المعمى قليلاً لا يحيط بأن تدور فيه صور الحروف

كلها، ولا تصدق فيه الكثرة والقلة لقلته، فإن الكثرة والقلة في الحروف إنما تصدق وتصح في الكلام الذي يكثر ليكافئ المواضع فيه في الكثرة والقلة، فإنه إن قل في موضع من الكتاب نزع منه الحروف وقصر عن مرتبته في العدد كثر في موضع آخر (١٢٩).

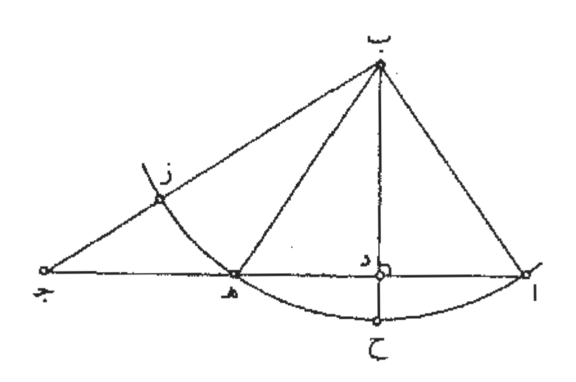
ويستخدم الحسن بن الهيثم لغة واضحة في تعريف الأشكال الهلالية كما يأتي:

كل مثلث قائم الزاوية، ويكون ضلعاه المحيطان بالزاوية القائمة مختلفين، ويخرج من زاويته القائمة عمود على قاعدته التي هي وتر الزاوية القائمة، فإن نسبة القسم الأصغر من قسمي القاعدة إلى جميع القاعدة هي أصغر من نسبة الزاوية التي يوترها الضلع الأصغر من زوايا المثلث إلى زاوية قائمة، وإن نسبة القسم الأعظم من قسمي القاعدة إلى جميع القاعدة هي أعظم من نسبة الزاوية التي يوترها الضلع الأعظم من زوايا المثلث إلى زاوية قائمة، مثال ذلك: أ ب ج مثلث، زاوية أ ب ج منه قائمة، وضلع أ ب أصغر من ضلع ب ج، وخرج فيه عمود ب د.

فأقول: إن نسبة د أ إلى أ ج أصغر من نسبة زاوية أ ج ب إلى زاوية قائمة، وإن نسبة د ج إلى ج أ، أعظم من نسبة زاوية ب أ ج إلى زاوية قائمة.

برهان ذلك: أن نجعل د هـ مثل د أ، ونصل ب هـ، فيكون ج ب أعظم من ب هـ، و ب هـ أعظم من ب د، لأن زاوية ب د ج قائمة، ونجعل نقطة ب مركزاً، ونديرببعد ب هـ قوساً من دائرة، فهي تقطع خط ب ج وتقع خارجاً عن خط ب د، فلتكن القوس ز هـ ح فيكون نسبة مثلث ب ج هـ إلى مثلث ب هـ د أعظم من نسبة قطاع ب ز هـ إلى قطاع ب هـ ح، وبالتركيب يكون نسبة مثلث ب ج د إلى مثلث ب د هـ أعظم من نسبة قطاع ب ز ح إلى قطاع

ب ح هـ فيكون نسبة خط ج د إلى خط د هـ أعظم من نسبة زاوية ح ب ز إلى زاوية ح ب هـ، وهـ د مثل د أ، وزاوية د ب هـ مثل زاوية د ب أ؛ فبالعكس يكون نسبة د أ إلى أ ج أصغر من نسبة زاوية أ ب د إلى زاوية أ ب ج، وزاوية أ ب د مثل زاوية أ ج ب، وزاوية أ ب ج قائمة. فنسبة د أ إلى أ ج أصغر من نسبة زاوية أ ج ب إلى زاوية قائمة.



وأيضاً فلأن نسبة ج د إلى د أ أعظم من نسبة زاوية ج ب د إلى زاوية أ ب د يكون بالعكس نسبة أ د إلى د ج أصغر من نسبة زاوية أ ب د إلى زاوية د ب ج، وبالتركيب يكون نسبة أ ج إلى ج د أصغر من نسبة زاوية أ ب ج إلى زاوية د ب ج؛ فبالعكس يكون نسبة د ج إلى ج أ أعظم من نسبة زاوية ج ب د إلى زاوية ج ب أ وزاوية ج ب د مثل زاوية ب أ ج؛ فنسبة د ج إلى ج أ أعظم من نسبة زاوية ب أ ج إلى زاوية قائمة، وذلك ما أردنا أن نبين(١٣٠).

وكما طبيب أسنان بارع معاصر يحدثنا حنين بن إسحاق عن الكيفية التي نحافظ بها على الأسنان، فيقول:

أول ما ينبغي أن يتجنبه من أراد حفظ أسنانه وأن تبقى سليمة: فسادُ الطعام والشراب في المعدة... والثاني... الالحاح على القيء سيما ما كان منه على حموضة وفساد من الطعام والشراب الذي يتقيأ... والثالث مما ينبغي أن

يتجنب في ذلك إدمان مضع الأشياء المتينة العلكة، مثل: الناطف والتين والتمر... والأشياء الصلبة... مثل: الخبز اليابس والبلوط والطعام، ومما يُكْسَرُ لِيُمْضَغَ، مثل: اللوز والفستق، فإن هذه الأشياء كلها مما تزعزع أصول الأسنان، وتحدث لها حركة، حتى إنها ربما قلعتها وكسرتها، وربما كسرت الشظايا منها. والرابع مما ينبغي أن يحذر في ذلك، كل ما يُضَرِّسُ، مثل: الحصرم وحمَّاض الأترج. والخامس أن يتجنب الشيء البارد المفرط البرد والحار، ولاسيما البارد، مثل: الماء البارد والثلج، والفواكه المبردة... سيما بعد تناول الطعام الحار. والسادس: كل طعام يطفو على المعدة أو سريع العفونة، مثل: الألبان والشوابير والكوامخ والجبن والبصل والسمك المالح... وما أشبه ذلك. والسابع أن يبقى فيما بينها شيء من الطعام، فينبغي أن يُتَلَطَّفَ لتنقية الأسنان مما يبقى بينها، من غير أن تُتكأ اللثة بالعنف عليها في استعمال الخلال، فإن ذلك مما يضر بالأسنان وينبغي أن يُتَجَنَّبَ ويُحْذَرَ. فمن تفقد هذه الوجوه التي وُصِفَتْ كلها وحَذِرَها فهو خليق بأن لا يحتاج؛ بإذن الله، مع ذلك إلى استعمال شيء آخر في بقاء سلامة أسنانه، ولا يحتاج إلى تدبير آخر(١٣١).

ويتحدث إسحاق بن علي الرهاوي عن الرئة ودورها فيذكر أن:

من الأعضاء الخوادم للأعضاء الشريفة النافعة في بقاء الحي: الرئة، فإنه عضو له منافع، منها: صون القلب والترويح عنه لإنفاء بخار الحرارة النارية التي فيه، ولاستجلاب الهواء الصافي البارد إليه، ولتصفية حرارته، كالذي تفعله المروحة من استجلاب الهواء إلى النار لتنفي عنها ما اجتمع عليها من الدخان والرماد، فيصفو بذلك، كذلك تفعل الرئة، ولذلك خُلقت إسفنجة خفيفة. ولشرف نفعها أُحْرِزَتْ بصونها بسور يحيط بها، مركب من عظام

وعضل وأغشية وغير ذلك وهو الصدر، ولها من المنافع لِلْحَيِّ أنها مع الصدر أكثر الأسباب في تَوَلُّدِ الصوت وكونه[١٣٢].

ويناقش أبو الحسن أحمد بن محمد الطبري في كتابه (**المعالجة البقراطية**) أنواع نزول الماء في العين، وخلاف الأوائل فيه، فيقول :

اعْلَمْ أن حد نزول الماء أن يقال : رطوبة تحول بين الطبقة الجليدية وبين نفوذ النور في ثقب الضبية، وتجد أيضاً بأن يقال : رطوبة غليظة خارجة عن الطبيعة، تسكن بين غشاء العنكبوتية والطبقة الضبية، ويقال أيضاً : إنها رطوبة غليظة تقوم بإزاء ثقبة الناظر فتمنع البصر من النفوذ، ويقال أيضاً : رطوبة غليظة تضر بأفعال العين كلها وتحض الجليدية بالإضرار فيها[١٣٣].

ويناقش مؤلف مجهول (ق ٨هـ) أمراض الجواد العربي، نجتزئُ بعض ما أورده فيما يأتي :

علامة الصداع : أن ترى الدابة منكس الرأس، لا يستطيع رفع رأسه ولا بصره، عيناه تجري دموعاً، ولا يغمضهما، ولا يعتلف، ولا يربض إلا بمشقة، ويبقى على هذه الصفة دائماً، ويظهر الدم في عروق عينيه في بياضهما . . .

علامة وجع الكبد : وهو أن تراه يتشمم، ويلتفت إلى موضع وجعه، وتشهد في فِيهِ يبوسة، ولسانه خشن وارم، فإذا صُرِع تمعك على الجانب الذي يشتكيه، وربما وَرِمَتْ خاصرته اليمنى، وله نفس خبيث . . .

علامة وجع الكساح : وهو أن يمد رقبته، وتنتصب أذناه لا يقدر على وضعهما . . عرق الأذنين، مغموم الشفتين، لا يقدر على فتح فيه ولا يستطيع تحريك لسانه، ولا يعتلف ولا يشرب، ولا يلتفت فإن مشى توقى بيديه، ويجر حوافره . . . ويعسر بوله، وإذا ربض يستند إلى مؤخره

ليقوم فلا يقدر، ثم يقعد مثل الكلب، فإذا أصابه ذلك بهذه العلامات لم يكد يبرأ...

علامة الهتك في الرئة: وهو أن يتنفس الدابة نفساً ثقيلاً، وتخرج منه ريح حارة جداً(١٣٤).

تلك اللغة العلمية التي تنم على معرفة تجريبية تآكلت مع القرون لتحل مكانها، في فترات الأمية، لغة يغلب عليها الاسترسال المفضي إلى جهل، يَسِمُ أدبيات عبثية لا طائل من ورائها، سقيمة في مضامينها، تسببت في إلغاء العقل، وقتل الإبداع.

الاعتراف بالآخر واحترام الإنسان:

أتيح المجال لغير العرب والمسلمين ليشاركوا في مجالات التنمية والبناء، وكانت لهم اليد الطولى في المجال العلمي على وجه الخصوص؛ فبرز منهم أعلام حظوا بتقدير كبير. ففي القرنين الثاني والثالث الهجريين برزت أسماء من مثل: يحيى بن البطريق، ويوحنا بن ماسويه، وحنين بن إسحاق، وثابت بن قرة الحراني الصابئ، وأسرة جبرائيل وأولهم: جورجيوس بن جبرائيل الذي كان مقرباً من الخليفة أبي جعفر المنصور، ونقل له كتباً كثيرة من كتب اليونانيين إلى العربية(١٣٥)، ثم بختيشوع بن جورجيوس، وجبرائيل بن بختيشوع، وبختيشوع بن جبرائيل.

وفي فترات تالية نجد أسماء من مثل:

اليبرودي، واسمه أبو الفرج جورجس بن يوحنا بن سهل بن إبراهيم (ت ٤٢٧هـ/ ١٠٣٥م)، وكان «من النصارى اليعاقبة، وكان فاضلاً في صناعة الطب، عالماً بأصولها وفروعها، معدوداً من جملة الأكابر من أهلها والمتمرنين من أربابها، دائم الاشتغال، محباً للعلم، مؤثراً للفضيلة»(١٣٦).

وأبي عمران موسى بن ميمون بن يوسف بن إسحاق القرطبي (ت ٦٠١هـ/ ١٢٠٤م) «يهودي، عالم بسنن اليهود، ويعد من أحبارهم وفضلائهم، وكان رئيساً عليهم في الديار المصرية، وهو أوحد زمانه في صناعة الطب، وفي أعمالها، متفنن في العلوم، وله معرفة جيدة بالفلسفة. وكان السلطان الملك الناصر صلاح الدين يرى له ويستطبه، وكذلك ولده الملك الأفضل علي... قال القاضي السعيد بن سناء الملك يمدح الرئيس موسى:

أرى طِبَّ جالينوس للجسم وحده

وطبُّ أبي عمران للعقل والجسم

فلو أنه طَبَّ الزمانَ بعلمه

لأبراهُ من داء الجهالة بالعلم

ولو كان بدرُ التَّمِّ من يستطبُّه

لَتَمَّ له ما يدعيه من التَّمِّ

وداواه يوم التم مِنْ كَلَفٍ به

وأبرأه يوم السرار من السقم(١٣٧)

ويهودي آخر هو **الموفق أبو البركات بن شعيا**، يثني عليه ابن أبي أصيبعة، فيقول: «مشكور الأعمال في صناعة الطب»(١٣٨).

والأسعد المحلي، يعقوب بن إسحاق (آخر ق ٦هـ/ آخر ١٢م) «يهودي من مدينة المحلة من أعمال ديار مصر، متميز في الفضائل... من المشهورين في صناعة الطب والخبيرين بالمداواة والعلاج»(١٣٩).

ومن مشاهير الأطباء غير المسلمين الذين حظوا بالتقدير والاحترام: **نسطاس بن جريج** (ق ٤هـ/ ١٠م)، «كان نصرانياً عالماً بصناعة الطب

وكان في دولة الإخشيد بن طغج»[١٤٠]، **وسعيد بن البطريق** (ت ٣٢٨هـ/ ٩٤٠م)، «كان طبيباً مشهوراً عارفاً بعلم صناعة الطب وعملها متقدماً في زمانه، وكانت له دراية بعلوم النصارى ومذاهبهم»[١٤١]، **وأبو البيان بن المدور** الملقب بالسديد (ت ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م) «وكان يهودياً، قَرَّاءً، عالماً بصناعة الطب حسن المعرفة بأعمالها، وله مجربات كثيرة، وآثار محمودة»[١٤٢]، **والرئيس هبة الله** (ت بعد ٥٨٠هـ/ بعد ١١٨٤م) «كان إسرائيلياً، فاضلاً، مشهوراً بالطب، جيد الأعمال، حسن المعالجة»[١٤٣].

تُظْهِرُ الأسماء السابقة جميعها، سماحة أهل القرون الأولى من العرب والمسلمين في التعامل مع غير المسلمين، وتُبَيِّنُ ما حظوا به من تقدير واحترام في مجتمعاتهم. وكان إفساح المجال لكل موهوب والاعتراف بفضل المبدع انعكاساً لحقيقة نراها اليوم ماثلة للعيان لدى الأمم المتقدمة؛ فالبناء الحضاري للدول المهيمنة اليوم على العالم، مثل: الولايات المتحدة الأمريكية يشارك فيه الصيني، والفيتنامي، والهندي، والسنغالي، والعربي، والمسلم، واليهودي. المقياس هو الاستفادة من ناتج ما يقدمه.

ولم يكن احترام الآخر - غير المسلم - وقفاً على المجال العلمي؛ بل هو من المُسَلَّمَاتِ في الإسلام بشكل عام، فالأمر بالحفاظ على حقوق غير المسلمين وحمايتهم منصوص عليه في القرآن والسنة، ومن النماذج التطبيقية ما يرويه المروذي من أنه رأى طبيباً نصرانياً يخرج من عند أحمد ابن حنبل ومعه راهب، وأن الطبيب النصراني بَيَّنَ أن الراهب سأله «أن يجيء معه ليرى أبا عبدالله». ويذكر المروذي أيضاً أنه أدخل «نصرانياً على أبي عبدالله، فقال له: إني لأشتهي أن أراك منذ سنين، ما بقاؤك صلاح

للإسلام وحدهم، بل للخلق جميعاً، وليس من أصحابنا أحد إلا وقد رضي بك»[١٤٤] . فأين موقف أحمد بن حنبل أحد أكبر علماء الإسلام من مواقف المتشددين المتأخرين الذين أشاعوا الكراهية، وبثوا البغضاء ضد غير المسلمين، جهلاً بروح التسامح التي يحث عليها الإسلام ويدعو إليها؟!

الاهتمام بالصناعة والحِرَف:

يشهد الموروث الضخم من المصنعات التي تحفل بها المتاحف والمجموعات الخاصة لهواة الآثار الإسلامية، المنحدرة من القرون الإسلامية الأولى على ازدهار الصناعات بأنواعها المختلفة في أرجاء العالم الإسلامي من مثل: الأسلحة، والأواني، وأدوات الزراعة، والساعات الشمسية، وصناعة الورق والجلود، وأدوات الطب، وأدوات الزينة، والمباخر، وسك العملة، والمنسوجات والملابس. ولا يكاد متحف عالمي يخلو من بعض هذه الأنواع، ولا يمضي يومٌ إلا ونسمع عن قطع من الآثار الإسلامية تُباع في المزادات، يُغَالَى في أثمانها، وتتهافت المؤسسات والأفراد على شرائها، وهي في مجموعها توضح اهتمام المسلمين بالعمل المهني.

وتبين العمارة، ممثلة في المساجد، والقصور، والخانات، والأسواق، والسدود والقنوات، هِمَّةً عالية تستند إلى علمٍ وقوانين في التشييد والبناء.

وتدلل الأعمال الحرفية والصناعية العربية والإسلامية على استفادة من الأمم الأخرى في تشكيل الأعمال؛ ممزوجة بإبداع وأصالة محلية، مستوحاة من الهيئات الإسلامية نفسها. يقول يوسف هل:

أقر الإسلام فضل العمل والكسب من ذات اليد، وترتب على ذلك أنه حيثما وجد المسلمون شيئاً جديداً اجتهدوا في أن يتعلموه ويصنعوه بأنفسهم. ومن أمثلة ذلك أنه تصادف أن سمعوا بفن صناعة الورق في

طرف قَصِيٍّ من أطراف الإمبراطورية الإسلامية، يحتمل أن يكون في الصين نفسها؛ فاستحوذ ذلك على خيالهم، ولم يلبثوا أن أنشأوا في السنوات الأولى من العصر العباسي مصنعاً للورق في سمرقند، يحتمل أن أصحابه كانوا من الصينيين، ولكن ما كاد العرب يتعلمون هذه الصناعة حتى بدأوا تجارب لإنتاجه من الكتان والخِرَق. وفي سنة ٧٩٤/٧٩٥م ظهرت في بغداد أولى مصانع الورق، وبدأ استخدام الورق في دواوين الدولة. ثم انتشرت مصانع الورق بالتدريج في أنحاء الإمبراطورية، وأنتجت أنواعاً جديدة منه، مثل ورق الحرير، وورق الكتابة، والورق المقوى وغير المقوى، والورق الناعم والخشن، والأبيض والملون. وكان ذلك من حسن طالع الفنون والآداب، إذ وُجِدَتْ بانتهاء عهد البردي والرق مادةٌ أرخص وجديدة للكتابة(١٤٥).

ومن الحرف الأخرى التي اشتهرت: صناعة العطور «وإعداد الروائح العطرية من الورد والنيلوفر المنثور وأزهار البرتقال والمسك والزهور، إلى غير ذلك. ويعطينا الدمشقي (؟!) معلومات مفصلة عن هذه الصناعة في المناطق المجاورة لدمشق»(١٤٦).

ومن الأعمال الجليلة في ميدان الصناعة: الاهتمام بعلم الساعات، فقد وضع فخر الدين رضوان بن محمد بن علي بن رستم ابن الساعاتي (ت نحو ٦١٧هـ/ نحو ١٢٢٠م) كتاباً بعنوان **علم الساعات والعمل بها**، وَضَّحَ فيه كيفية صنع الساعات، وبدأه بسرد أسماء الآلات مثل: الجزعة، وأنبوب الجزعة، وصفيحة الجزعة، وموري الجزعة، وموري النظير، والصينية التي على حرفها أسماء البروج كما تدور، والأنبوب الواسع الأنثى الذي في الصينية، والأنبوب الذكر الذي في صفيحة الجزعة، والأنبوب المعوج،

وثقب الأنبوب، وضرس الأنبوب... إلى غير ذلك من الآلات الدقيقة التي تتركب منها الساعة.

ثم شرع في وصف كل آلة: فالجزعة «هي الجسم المثقوب من جزع أو عقيق أو ذهب أو نحاس، أو غيره من الأجسام، ومنها يزج الماء. وأنبوب الجزعة «هو الأنبوب البارز عن صفيحة الجزعة قليلاً، وهو مركب فيها وعليها، نافذ من جانب الجزعة إلى الأنبوب المعوج، ملحوم من الجانبين، جيد الهندام، مستدير وفي داخله زيك ملحوم بدائر الأنبوب توضع الجزعة فوقه راكبة عليه، ثم يذاب الشمع ويقطر فيما بين أجزائها التي فيها الخلل فيمنع من أن يقطر منها الماء»[١٤٧].

ثم يوضح صورة كل جزئية منها بالشكل، مثل: صورة صفيحة الجزعة، والأنبوب الذكر، والمعوج، والموريان، وثقب الأنبوب الذكر[١٤٨].

ويمضي المؤلف في تحديد الكيفية التي تتضع عليها الجزئيات حتى تتكون الساعة. ومثل هذا الكتاب كثير في التراث العربي الإسلامي؛ مما يقدم الدليل على عقلية علمية نشيطة تسعى لخدمة الإنسان وتوفير الوسائل التي تعينه في حياته اليومية، نابعة من توجيه ديني يحث على التفكير والعمل، فالقرآن الكريم:

يضع نفس القدر من التشديد على التسخير (التقنية)، وعلى التفكير (العلم)، أي نفس القدر من التشديد على السيطرة على الطبيعة بواسطة المعرفة العلمية، وعلى توحيد المعرفة. والقرآن يضرب لنا مثلي داود وسليمان في سيطرتهما على تقنيات عهديهما، إذ يقول عن داود: ﴿أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سبأ: ١١]، وعن سليمان: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ

عَيْنَ الْقِطْرِ﴾ [سبأ : ١٢]، وهذا في تفسيري المتواضع السيطرة على آلات الصناعة الثقيلة في ذلك الزمن(١٤٩).

الاحتساب والصيدلة:

وإذا كان الحديث السابق يقدم لنا رؤية عن دور المسلمين في التأسيس لصناعات تقنية متقدمة؛ فإن كتب التراث تحفل بما يبين انتشار الحِرَف والمهن في المجتمع العربي؛ من مثل: الصيادلة، والعطارين، والصبّاغين، والصاغة، والنحاسين، والحدادين، والبياطرة، وصُنّاع الحلويات، والخياطين. وارتباط ألقاب أصحاب هذه المهن بأسماء أعلام من العرب، أمرٌ توضحه مشهور كتب التراجم والرجال، ولم يفت أهل ذاك الزمان أن المهن معرضة للغش والتدليس؛ مما يسبب الأذى لأفراد المجتمع؛ فكان أن جُعِلَ للحسبة دورٌ في ضبط أحوالها والتأكد من سلامة ناتجها. ومثل هذا التوجه في ذلك الزمن البعيد مما يؤكد رقي المجتمع العربي وعنايته بالإنسان، والحرص على مصالحه والسعي لتحقيق رفاهيته.

ولتوضيح دور الحسبة في مراقبة المهن والحرف نقتصر على مثال واحد، وهو الحسبة على الصيادلة، بعرض نَصٍّ لعبدالرحمن بن نصر الشيزري، المتوفى سنة ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م، جاء فيه:

تدليس هذا الباب والذي بعده كثير، لا يمكن حصر معرفته على التمام؛ فرحم الله من نظر فيه، وعرف استخراج غشوشه، فكتبها في حواشيه تقرباً إلى الله تعالى، فهي أضر على الخلق من غيرها، لأن العقاقير والأشربة مختلفة الطبائع والأمزجة، والتداوي على قدر أمزجتها؛ فمنها ما يصلح لمرض ومزاج، فإذا أضيف إليها غيرها أحرفها عن مزاجها

فأضرّت بالمريض لا محالة، فالواجب على الصيادلة أن يراقبوا الله عز وجل في ذلك.

وينبغي للمحتسب أن يخوفهم ويعظهم وينذرهم العقوبة والتعزير، ويعتبر عليهم عقاقيرهم في كل أسبوع. فمن غشوشهم المشهورة أنهم يَغِشُّون الأفيون المصري بشياف ماميتا، ويغشونه أيضاً بعصارة ورق الخس البري، ويغشونه أيضاً بالصمغ. وعلامة غشِّه أنه إذا أذيب بالماء ظهرت له رائحة كرائحة الزعفران، وإن كان مغشوشاً بالماميتا، وإن كانت رائحته ضعيفة، وهو خشن، كان مغشوشاً بعصارة الخس، والذي هو مُرٌّ صافي اللون ضعيف القوة، يكون مغشوشاً بالصمغ. وقد يغشون الراوند الصيني بنبتة يقال لها راوند الدواب، تنبت بالشام. وعلامة غشه أن الراوند الجيد هو الأحمر الذي لا رائحة له، ويكون خفيفاً، وأقواه الذي يسلم من السوس، وإذا نُقِعَ في الماء كان في لونه صفرة، وما خالف هذه الصفة كان مغشوشاً بما ذكرناه.

وقد يغشون الطباشير بالعظام المحروقة في الأتاتين، ومعرفة غشها أنها إذا طُرِحَتْ في الماء رسب العظم وطفا الطباشير. وقد يغشون اللبان الذكر بالقلفونية والصمغ، ومعرفة غشه أنه إذا طُرح في النار التهبت القلفونية ودخنت وفاحت رائحتها. وقد يغشون التمر هندي بلحم الإجاص. وقد يغشون الحضض بعكر الزيت ومرائر البقر في وقت طبخه. ومعرفة غشه أنه إذا طرح منه شيء في النار، فإن الخالص يلتهب، ثم إذا أطفيته بعد الالتهاب يصير له رغوة كلون الدم، وأيضاً فإن الجيد منه أسود، ويُرَى داخله ياقوتي اللون، وما لا يلتهب وما لا يرغي يكون مغشوشاً بما ذكرناه.

وقد يغشون القسط بأصول الراسن. ومعرفة غشه أن القسط له رائحة، وإذا

وضع على اللسان يكون له طعم، والراسن بخلاف ذلك. وقد يغشون زغب السنبل بزغب القلقاس، ومعرفة غشه أنه بوضعه في الفم يغشي ويحرق. وقد يغشون الأَفْرِبْيُونَ بالباقلاء اليابس المدقوق. وقد يغشون المصطكى بصمغ الأبهل، ومنهم من يغش المقل بالصمغ القوي، ومعرفة غشه أن الهندي تكون له رائحة ظاهرة إذا بُخِّرَ به، وليس فيه مرارة. والأفتيمون الإقريطشي يغشونه بالشامي، وليس بضار. ويغشونه أيضاً بزغب البِسْبَايِج. ومنهم من يغش المحمودة بلبن اليتوع المجمد، ومعرفة غشها أن توضع على اللسان، فإن قرصته فهي مغشوشة. ومنهم من يغشها أيضاً بنشارة القرون، وتُعْجَنُ بماء الصمغ على هيئة المحمودة، ومنهم من يغشها بدقيق الباقلاء ودقيق الحمص، ومعرفة غش ذلك كله أن الخالصة صافية اللون مثل الغرى، والمغشوشة بخلاف ذلك، وقد يغشون المُر بالصمغ المنقوع في الماء، وَصِفَةُ غشه أن الخالص يكون خفيفاً ولونه واحداً، وإذا كُسِرَ ظهر فيه أشياء كشكل الأظفار ملساء، تشبه الحصى وتكون له رائحة طيبة، وما كان منه ثقيلاً ولونه لون الزفت فلا خير فيه. ومنهم من يغش قشر اللبان بقشور شجر الصنوبر. وصفة غشه أن يلقى في النار، فإن التهب وفاحت له رائحة طيبة فهو خالص، وإن كان بالضد فهو مغشوش، ومنهم من يغش المرزنجوش ببذر الحندقوق.

وقد يغشون الشمع بشحم المعز وبالقلفونية. وقد يذرون فيه عند سبكه دقيق الباقلاء أو الرمل الناعم، أو الكحل الأسود المسحوق؛ ثم يُجْعَلُ ذلك بطانةً في الشمعة ثم يغشى بالشمع الخالص، ومعرفة غشه أنك إذا أشعلت الشمعة ظهر فيها ذلك. وقد يغشون الزنجار بالرخام والقلقند، ومعرفة

غشه أن تبل إبهامك وتغمسها فيه، ثم تدلك بها السبابة؛ فإن نعم وصار كالزبد فهو خالص، وإن ابيضّ وتحبب فهو مغشوش. وأيضاً يُترك منه شيء بين الأسنان، فإن وجدته كالرمل فهو مغشوش بالرخام، وأيضاً تُحمى صفيحة في النار، ثم يُذَرُّ عليها فإن احمرَّ فهو مغشوش بالقلقند، وإن اسودَّ فهو خالص.

وقد يختارون من الإهليلج الأسود إهليلجاً أصفر، ويبيعونه مع الكابلي، ويختارون من الإهليلج الأصفر المعصب حباشة الكابلي ويبيعونه مع الكابلي. وقد يرشون الماء على الخيار شُنبر، وهو ملفوف في الأكسية عند بيعه، فيزيد رطله نصف رطل. ومنهم من يأخذ اللّك ويسبكه على النار ويخلط معه الآجُرّ المسحوق والمغرة، ثم يعقده ويبسطه أقراصاً، ثم يكسره بعد جفافه ويبيعه على أنه دم الأخوين. ومنهم من يدق العلك دقاً جريشاً، ثم يجعل فيه شيئاً من الجاوشير ويطبخه على النار في عسل النحل، ويلقي فيه شيئاً من الزعفران، فإذا غلي وأرغى، طرح فيه العلك، وحرّكه إلى أن يشتد، ثم يعمله أقراصاً إذا برد، ويكسره ويخلط معه الجاوشير فلا يظهر فيه.

وأمّا جميع الأدهان الطبية وغيرها فإنهم يغشونها بدهن الخل، بعد أن يغلي على النار، ويُطرح فيه جوز ولوز مرضوض ليزيل رائحته وطعمه، ثم يمزجونه بالأدهان. ومنهم من يأخذ نوى المشمش والسمسم ثم يعجنهما بعد دقهما ويعصرهما ويبيع دهنهما على أنه دهن لوز. ومنهم من يغش دهن البلسان بدهن السوسن، ومعرفة غشه أن يُقطَّرَ منه شيء على خرقة صوف ثم يُغسل، فإن زال عنها ولم يؤثر فيها فهو خالص، وإن أثر فيها

كان مغشوشاً. وأيضاً فإن الخالص منه إذا قُطِّرَ في الماء ينحل ويصير في قوام اللبن، والمغشوش يطفو مثل الزيت ويبقى كواكباً فوق الماء (١٥٠).

إن النص السابق يوضح المدى البعيد للرقي العلمي والمهني الذي وصل إليه المجتمع العربي، ويؤكد أن الاحتساب - أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - لم يكن يقتصر على أمور الدين فحسب؛ بل كان يغطي كل جوانب الحياة بما فيها هذا الجانب العلمي، وهو صناعة الأدوية وبيعها، وهو ما يعني أن بعض أهل الحسبة كانوا من المتخصصين في الأدوية والعقاقير، وهم الذين كانوا يكشفون الغش والزيف في الأدوية وأصناف العلاج.

فوائد استرجاع الماضي العلمي:

ومن كل ما مضى عن مرحلة الإشراق والنهوض العلمي نستخرج دروساً وعبراً توصل إليها أحد الباحثين العرب، وأجملها في نقاط هي كما يأتي:

١ - المكانة العالية للعلم في الخطاب الديني الإسلامي، ونظرة الإسلام إلى العلم، وحَثُّهُ على طلبه والتزود به، ومخاطبته للعقل، وتقديره للعلماء، ودعوته إلى التفكر والتأمل في أسرار الخلق والمخلوقات، وما تمخض عن ذلك من أخلاقيات وسلوكيات اقترنت بها أساليب التعامل مع العلم والعلماء، وما فرضته من أخلاقيات في ممارسة المهن العلمية لتلك العلوم، أضافت بُعداً جديداً إلى النتاج العلمي العربي والإسلامي، وشكلت الحافز الأساس للعطاء العلمي العربي، وأعطت أنموذجاً مثالياً في التكامل والتوائم والتوفيق بين الفكر والتطبيق العملي لتلك العلوم.

٢ - جو التسامح والتعايش المشترك بين مكونات المجتمع الإسلامي، الذي كان سائداً في الفترة الذهبية من تاريخ العرب الحضاري، الذي حفز

المشاركة الجماعية للعلماء - على اختلاف انتماءاتهم الدينية والعرقية والثقافية - في تطوير الحركة العلمية العربية وتبوئها مكانة دولية متقدمة؛ الأمر الذي يعطينا القدوة والأنموذج في التعامل والتكامل والتعايش مع الآخر، والاستفادة من التنوع الثقافي والقومي للأمة، وتوجيه طاقاته الإبداعية لتأسيس انطلاقة علمية عربية معاصرة، في إطار مشروع نهضوي ينقلنا من حالة السكون والركود التي نعانيها إلى حركة ديناميكية لا تدع الزمن والتراث وسائر المكونات الحضارية تفلت من بين أيدينا.

٣- الانتماء الصادق إلى الوسط بأبعاده الزمانية والمكانية، ومعطياته البيئية والاجتماعية والثقافية والتقنية، والالتزام بالقيم والمُثل الموجهة للسلوكية الاجتماعية للمجتمع الإسلامي.

٤- دور الحكام في تشجيع الحركة العلمية (المنصور والرشيد والمأمون والمتوكل وغيرهم)، وجمع الكتب وترجمتها، وإنشاء خزانة الحكمة، التي أعاد إنشاءها المأمون وطورها إلى مركز للبحث هو بيت الحكمة المشهور. فمن يتتبع تاريخ الحركة العلمية العربية لا تفوته ملاحظة دور السلطة السياسية في تهيئة الوسائل المادية للبحث العلمي، وتهيئة الباحثين لتحويل المبادرات الفردية إلى حركة علمية ساهم في خلقها أصحاب بيوت الحكمة في بغداد والقاهرة. فقد احتل العلماء العرب درجات سامية لدى الخلفاء والأمراء والحكام الذين لم يبخلوا على العلم ورجال العلم، وكانت أعظم هوايات الخلفاء والأمراء اقتناء رجال العلم وضمهم إلى حاشيتهم وتكريمهم.

٥- ارتباط العلم باحتياجات المجتمع؛ بمعنى تسخير العلم للوصول إلى

حلول علمية لمسائل تثيرها الممارسة الاجتماعية من مادية وثقافية.

٦- أهمية الترجمة في تحقيق نقلة علمية نوعية للعلم العربي ساهمت في إثرائه وتطويره ونقله وانتشاره، حيث كانت هذه الترجمة تتم على يد المبدعين من كبار العلماء في عصرهم كثابت بن قرة مثلاً، وهو أحد كبار علماء الرياضيات الذي كان يترجم عن اليونان طبقاً لحاجيات البحث العلمي الفعال الذي انخرط به شخصياً، حيث كان يترجم مثلاً كتاب المخروطات لأبلونيوس من أجل خدمة أبحاثه في الرياضيات، وعندها استطاع أن يحقق اكتشافات ضخمة. وكذلك الحال بالنسبة لقسطا بن لوقا فهو مترجم وباحث وعالم في الوقت ذاته، يوظف الترجمة لخدمة مشروعه في الكشف والبحث. وتعتبر الترجمة من أهم الدروس التي يمكن أن نستقيها من خلال قراءتنا لتراثنا العلمي؛ حيث يترتب علينا استلهام تجربة السلف في هذا المجال، وتوظيفها في خدمة الحاضر، ورسم سياسة توثق الصلة بين الترجمة والبحث العلمي.

٧- تكامل العلاقة بين العلم واللغة، ومشاركة العلم في إثراء اللغة العلمية وتطويرها، فعندما قام العلماء العرب في القرن الثالث الهجري بالترجمة - من اليونانية خاصة - خلقوا لغة علمية أصيلة بمفردات وتراكيب وتعابير جديدة أثرت في اللغة العربية، وكان من الممكن استغلالها في تعريب العلم الحديث، وفي توحيد المصطلحات بين البلاد العربية(١٥١).

ويذهب رشدي راشد إلى أن البحث المتعمق في تاريخ العلوم العربية: يقود إلى تجديد حقل تاريخ العلوم نفسه، فهذا البحث يؤدي إلى تجديد المعطيات والمفاهيم والمناهج؛ أعني يحث على المساهمة الفعالة في إنماء هذا

الحقل المعرفي والمشاركة في تقدمه. والتقدم في هذا الدرب يحتاج إلى مؤسسات بحثية وتعليمية مهيئة ورشيدة، أرجو أن تسمح الظروف بإنشائها في الأقطار العربية، وسيكون لهذه المؤسسات فوائد أخرى لا أهدف إلى الكلام عنها، أعني تهيئة التحديث العلمي نفسه وتهيئة وسائله وقيمه من جهة، والتعرف على الذات من جهة أخرى[١٥٢].

ويؤكد سليم الحسني أن الاهتمام بالتراث العلمي العربي يهدف إلى:

- إثارة الانتباه إلى الألف سنة من التراث الإسلامي.
- إيجاد تفهم وقبول لإسهامات المسلمين في تطوير العلوم والتقنية المعاصرة على مستوى العالم.
- ترسيخ ركائز البحث عن قواعد مهنية نموذجية في العلوم والتقنية بين الشباب المسلمين وغير المسلمين.
- تعزيز المفاهيم العلمية والتقنية، كطريقة إيجابية بناءة للتعبير عن المعتقد بديلاً عن الانغلاق الديني والتطرف.
- الربط بين موضوعات في تاريخ العلوم والصناعة والفنون والتطورات المعاصرة[١٥٣].

وقد انطلق الحسني من هذه الأهداف في كتاب: **ألف اختراع واختراع: تراث الإسلام في عالمنا**، الذي أشرف على تحريره، واحتوى على مادة علمية غزيرة تدل على مدى إسهام المسلمين في التقدم العلمي الإنساني.

إن ما ننتهي إليه في هذا القسم من الكتاب هو أن العرب عاشوا القرون الأولى حياة ارتكزت على العلم والمعرفة، وأن اهتمامهم بالعلوم الطبيعية والتطبيقية كان بالغاً؛ بحيث برز أعلام كبار في الرياضيات، والفيزياء،

والكيمياء، والهندسة، والطب، والصيدلة، والفلك. فاقوا من جاء بعدهم، وغلب على مسلكهم احترام أصحاب الديانات الأخرى؛ فأتاحوا لهم المشاركة في بناء المجتمع؛ فظهر منهم أعلام، ووصل بعضهم إلى رتب عالية في دواوين الحكم، كما أنهم وضعوا قوانين وضوابط للسلوك والآداب في التربية والتعليم والطب والمهن، ولم يَتَلَوَّنْ فكرهم بخرافة التقديس للأحياء أو الأموات.

كان العلم هو مدار حياتهم، وكان الإبداع مقصدهم وغاياتهم، وهو ما أخذ يخفت ويتبدد في مراحل أخرى من التاريخ العربي، عندما شاع التقديس، وكثر أدعياء الولاية... وتمدد نفوذ التصوف؛ فركن أفراد المجتمع إلى الاسترخاء في أحضان الغيب، يتوجهون إلى منقذين من البشر - سواء كانوا أحياءً أم أمواتاً - يدعونهم مع الله، يستجيرون بهم، ويطلبون عونهم ومددهم، ويصغون إلى دعاواهم التي كانت - في أغلبها - انتهازية هدفها الكسب المادي والمعنوي، مسهمين في انحطاط المجتمع العربي وتخلفه، وهو ما سنراه في القسم الثاني.

هوامش
القسم الأول

١- Mackensen, Ruth. S "Arabic books and the libraries in the Umayyad Period" **American Jounerl of Semetic Languages and Literatures** 23, 24 (1936-1937) pp. 112-124.

٢- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد (ت ٣٥٦هـ/ ٩٦٧م) / **الأغاني** بتصحيح: أحمد الشنقيطي، القاهرة: محمد أفندي ساسي المغربي، مطبعة التقدم، ١٣٢٣هـ، ٤ / ٥١.

٣- تتناثر المعلومات عن هذه المؤسسة ومكتبتها في مصادر كثيرة، وقد وضع كتاباً عنها: سعيد الديوه جي عنوانه: **بيت الحكمة**، ط٢، الموصل: المؤلف، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

٤- ابن جنيد، يحيى محمود / **الوقف وبنية المكتبة العربية.. استبطان للموروث الثقافي**، ط٢ منقحة ومزيدة، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص٤٨.

٥- الرفاعي، أحمد فريد (١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م) / **عصر المأمون**، القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م، ص٣٧٥.

٦- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٨م) / **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ١٢ / ٤٠٠.

٧- ابن جنيد: **الوقف وبنية المكتبة العربية**، ص٥٣.

٨- السابق، ص ص٥٤-٥٨.

٩- السابق، ص ص٥٣-٥٤.

١٠- السابق، ص ص٥٩-٦٣.

١١- واسرشتاين، ديفد: «مكتبة الحكم الثاني.. المستنصر وثقافة إسبانيا الإسلامية»، ترجمة وتعليق: عبدالرحمن العكرش، **مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية**، مج١، ع١ (المحرم - جمادى الآخرة ١٤١٦هـ/ يوليو - ديسمبر ١٩٩٥م)، ص١٣.

وتراجع تعليقات المترجم التي أثرت الدراسة الأصلية بإضافات وتصويبات.

١٢- العماد الأصفهاني، محمد بن صفي الدين محمد (ت ٥٩٧هـ)/ **خريدة القصر وجريدة العصر: في ذكر فضلاء أصفهان**، تحقيق: عدنان محمد الطعمة، طهران: آينة ميراث (مرآة التراث)، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ١/ ٢٨٤.

١٣- لمزيد من المعلومات انظر: بوزيان، بنعلي محمد: «خزانة بني عبدالجبار بفجيج، دار العدة»، **دعوة الحق**، ع٢٤٨ (شعبان ١٤٠٥هـ/ مايو ١٩٨٥م).

١٤- أنشئت هذه المكتبة في عام ٣٨١هـ/ ٩٩١م، وضمت عشرة آلاف مجلد، وبقيت سبعين سنة. انظر: ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م)/ **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، حيدرآباد الدكن: دائرة المعارف العثمانية، ١٣٥٩هـ، ٨/ ٢٢.

١٥- ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٣م)/ **البداية والنهاية**، ط٢، بيروت: مكتبة المعارف، ١٩٧٧م، ١٢/ ٨٥.

١٦- الإسنوي، جمال الدين عبدالرحيم بن الحسن بن علي (ت ٧٧٢هـ/ ١٣٧٠م)/ **طبقات الشافعية**، تحقيق: عبدالله الجبوري، الرياض: دار العلوم، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ٢/ ٢٨٤.

١٧- سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قز أوغلي بن عبدالله (ت ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م) / **مرآة الزمان في تاريخ الأعيان**، حيدرآباد الدكن: دائرة المعارف العثمانية، ١٣٧٠هـ/١٩٥١م، ج٨، ق١/ ٤٢١-٤٢٢.

١٨- ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٩م) / **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، تحقيق: محمد سيد جاد الحق، القاهرة: دار الكتب الحديثة، د. ت، ٢/ ٤٧٤.

١٩- معروف، ناجي (ت ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م) / **تاريخ علماء المستنصرية**، بغداد: المؤلف (ساعدت جامعة بغداد على طبعه)، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م، ص ص٥٩-٦٠.

٢٠- ابن كثير: **البداية والنهاية**، ١١/ ٣١٢. وقد نقضنا قول ابن كثير في هذا الأمر. انظر كتابنا: **الوقف وبنية المكتبة العربية**، ص٨١.

٢١- السخاوي، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن (ت ٩٠٢هـ/ ١٤٩٧م) / **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، بيروت: دار مكتبة الحياة، د. ت، ٥/ ١٤٣-١٤٤.

٢٢- ياقوت الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبدالله (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م) / **كتاب معجم البلدان**، تحقيق: محمد أمين الخانجي، القاهرة: محمد أمين الخانجي (مطبعة السعادة)، ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م، ٨/ ٣٦.

٢٣- ابن حجر العسقلاني: **الدرر الكامنة**، ٢/ ٢٥٠-٢٥١.

٢٤- الأشرف الغساني، عماد الدين أبو العباس إسماعيل بن العباس بن علي (ت ٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م) / **العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في**

طبقات الخلفاء والملوك، تحقيق: شاكر محمد عبدالمنعم، بيروت: دار التراث العربي، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، ص٤٥٨.
٢٥- ابن كثير: **البداية والنهاية**، ١٣/ ١٧٢.
٢٦- مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب (ت ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م)/ **تجارب الأمم**، القاهرة: شركة التمدن الصناعية، ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م، ٢/ ٢٤٦. ونص الخبر: «فكان في جملتها خزانة كتبه، وفيها خمسة عشر ألف مجلد سوى الأجزاء والمشرس غير المجلد».
٢٧- ابن كثير: **البداية والنهاية**، ١١/ ١٩.
٢٨- ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبدالملك بن مسعود (ت ٥٧٨هـ/ ١١٨٣م)/ **كتاب الصلة**، القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦م (تراثنا، المكتبة الأندلسية، ٤)، ٢/ ٦٩٢.
٢٩- السخاوي: **الذيل على رفع الأصر أو بغية العلماء والرواة**، تحقيق: جودة هلال ومحمد محمود صبيح، القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، د. ت، ص١٥٥.
٣٠- ابن كثير: **البداية والنهاية**، ١٣/ ١٨١.
٣١- السابق، ١٣/ ٣٤٢.
٣٢- الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ٢٣/ ٢٢٧.
٣٣- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م)/ **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، بيروت: دار المعرفة، د. ت، ١/ ٢٤٨.
٣٤- الخزرجي، علي بن حسن بن أبي بكر بن الحسن بن وهّاس (ت ٨١٣هـ/ ١٤١١م)/ **العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية**، تحقيق: محمد

بسيوني عسل، لندن: أوقاف ذكرى مستر جب (القاهرة: مطبعة الهلال)، ١٣٢٩هـ/١٩١١م، ١/٣٥٧.

٣٥- الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ٢٢/١٣٧.

٣٦- السابق، ٢٢/٢٤٧.

٣٧- ابن حجر: **الدرر الكامنة**، ٢/٢٨١.

٣٨- ابن قاضي شهبة، تقي الدين أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر (ت ٨٥١هـ/١٤٤٨م)/ **تاريخ ابن قاضي شهبة**، تحقيق: عدنان درويش، دمشق: المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، ١٩٩٤م، ٢/٣٣٣.

٣٩- طاشكبري زاده، أحمد بن مصطفى بن خليل (ت ٩٦٨هـ/١٥٦١م)/ **مفتاح السعادة ومصباح السيادة**، تحقيق: عبدالوهاب أبو النور وكامل البكري، القاهرة: دار الكتب الحديثة، ١٩٦٨م، ١/١٢١.

٤٠- الغزي، نجم الدين محمد بن محمد (ت ١٠٦١هـ/ ١٦٥١م)/ **الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة**، تحقيق: جبرائيل سليمان جبور، بيروت: محمد أمين وشركاه، ١٩٤٥م، ٢/١٨٩.

٤١- المحبي، محمد أمين بن فضل الله بن محب الله بن محمد (ت ١١١١هـ/ ١٦٩٩م)/ **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**، بيروت: دار صادر، د. ت (مصورة عن نسخة المطبعة الوهبية في مصر عام ١٢٨٤هـ).

٤٢- ابن كثير: **البداية والنهاية**، ١٤/٢٠.

٤٣- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبدالقادر (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م)/ **كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، طبعة جديدة بالأوفست، بيروت: دار صادر، د. ت، ص٣٦٣.

٤٤- السنيدي، عبدالرحمن علي / **نظام الملك ودوره في الازدهار الحضاري للدولة السلجوقية ٤٥٦-٤٨٥هـ = ١٠٦٣-١٠٩٢م**، رسالة ماجستير بإشراف محمد مسفر الزهراني ومحمد فتحي الريس، الرياض: قسم التاريخ والحضارة بكلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص ص١٤٨-١٤٩.

٤٥- لمزيد من المعلومات عن هذه المدرسة، انظر: **تاريخ علماء المستنصرية** لناجي معروف.

وأورد السيوطي عن هذه المدرسة معلومات نقلاً عن ابن واصل نصها:

«وقال ابن واصل: بنى المستنصر على دجلة من الجانب الشرقي مدرسة ما بُني على وجه الأرض أحسن منها، ولا أكثر منها وقوفاً، وهي بأربعة مدرسين على المذاهب الأربعة، وعمل فيها مارستاناً [مستشفى]، ورتب فيها مطبخاً للفقهاء، ومزملة للماء البارد، ورتب لبيوت الفقهاء الحُصْرَ، والبُسُطَ، والزيت والورق، والحبر، وغير ذلك.. وللفقيه بعد ذلك في الشهر دينار، ورتب لهم حماماً، وهو أمر لم يُسبق إلى مثله. [السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م) /**تاريخ الخلفاء**، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، ط٢، القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٥٩م، ص٤٦١].

٤٦- ابن كثير: **البداية والنهاية**، ١٣ / ١٣٩.

٤٧- السباعي، مصطفى (١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م) / **من روائع حضارتنا**، ط٢، بيروت: دار الإرشاد، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، ص١٣٢.

٤٨- الإسنوي: **طبقات الشافعية**، ص٢٤٢.

٤٩- ابن كثير: **البداية والنهاية**، ١٣ / ١٠٨.

٥٠- المقريزي: **المواعظ والاعتبار**، ٢ / ٣٦٥.
٥١- السابق، ٢ / ٣٦٦.
٥٢- السابق، ٢ / ٣٦٧.
٥٣- ابن فهد، النجم عمر بن محمد بن محمد (ت ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م) / **إتحاف الورى بأخبار أم القرى**، تحقيق: فهيم شلتوت، مكة المكرمة: مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، ١٩٨٤م، ٣ / ٦٠.
٥٤- الإسنوي: **طبقات الشافعية**، ٢ / ٢٦.
٥٥- السخاوي: **الضوء اللامع**، ٥ / ١٠٣-١٠٤.
٥٦- ابن فهد: **إتحاف الورى**، ٣ / ٣٠٦.
٥٧- الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبدالرحمن الداراني (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م) / **عيون التواريخ**، تحقيق: نبيلة عبدالمنعم داود وفيصل السامر، بغداد: وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٨٤م، ١١ / ١٨٣.
٥٨- ابن الديبع الشيباني، عبدالرحمن بن علي بن محمد (ت ٩٤٤هـ/ ١٥٣٧م) / **الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار زبيد**، تحقيق: محمد عيسى صالحية، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص٢٧٤.
٥٩- الخزرجي: **العقود اللؤلوية**، ٢ / ٢٣.
٦٠- السابق، ١ / ٤٣٠.
٦١- السابق، ٢ / ١١٨.
٦٢- السابق، ٢ / ١١٨-١١٩.
٦٣- السابق، ٢ / ٧٥.

٦٤- السابق، ٢/ ٦١-٦٢.

٦٥- النعيمي الدمشقي، عبدالقادر بن محمد بن عمر (ت ٩٢٧هـ/ ١٥٢١م)/ **الدارس في تاريخ المدارس**، تحقيق: جعفر الحسني، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٨٨م، ١/ ١٢٩-١٥٠.

٦٦- السابق، ١/ ١٥٢-١٥٧.

٦٧- السابق، ١/ ١٧٧-٢١٦.

٦٨- السابق، ١/ ٢١٦-٢٢٥.

٦٩- السابق، ١/ ٤٩٨-٥٠١.

٧٠- السابق، ١/ ٥٢٢-٥٢٦.

٧١- السابق، ١/ ٥٢٦-٥٢٩.

٧٢- السابق، ١/ ٥٣٠-٥٣٧.

٧٣- السابق، ٢/ ٢٩-٦٤.

٧٤- ابن شداد، جمال الدين أبو عبدالله محمد بن علي بن إبراهيم (ت ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م)/ **الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة (جزء تاريخ مدينة دمشق)**، تحقيق: سامي الدهان، دمشق: المعهد الفرنسي للدراسات العربية، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م، ص ص٢٦٥-٢٦٦.

٧٥- غنيمة، محمد عبدالرحيم/ **تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى**، تطوان: معهد مولاي الحسن، ١٩٥٣م، ص١١٨.

٧٦- الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ٢١/ ٣١٥.

٧٧- عيسى، أحمد (ت ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م)/ **تاريخ البيمارستانات في الإسلام**، ط٢، بيروت: دار الرائد العربي، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ص٣٨-٣٩.

٧٨- غنيمة: **تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى**، ص ص٢٠٣-٢٠٤.

٧٩- الذهبي: **تاريخ الإسلام، ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ٢/١٠٢٥-١٠٢٦.

٨٠- ابن كثير: **البداية والنهاية**، ٩/٤٧.

٨١- الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ١٥/٢٦٤، وترجم لها ابن كثير في البداية والنهاية تحت اسم: سُتيته بنت القاضي أبي عبدالله بن إسماعيل المحاملي، أم عبدالواحد، وقال عنها: «كانت من أعلم الناس في وقتها بمذهب الشافعي، وكانت تفتي به مع الشيخ أبي علي ابن أبي هريرة».

٨٢- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبدالكريم (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م)، **الكامل في التاريخ**، بيروت: دار صادر، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ١٠/٦٩.

٨٣- ابن جنيد، يحيى محمود: «كريمة المروزية عالمة مكة في القرن الخامس الهجري»، **الفيصل**، س١، ع١٠ (ربيع الثاني ١٣٩٨هـ/ مارس - أبريل ١٩٧٨م)، ص٢٩.

٨٤- ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨١م)/ **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، [١٩٧١م] ٢/٤٧٧.

٨٥- الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ٢٠/٥٤٢.

٨٦- ابن الدُّبَيْثِي، أبو عبدالله محمد بن سعيد بن يحيى (ت ٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م)/ **ذيل تاريخ مدينة السلام**، تحقيق: بشار عواد معروف، بغداد: وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، ١٩٧٩م (سلسلة كتب التراث، ٢٨٤)، ٢/٨٥.

٨٧- السابق، ٢/١٠٦.

٨٨- ابن العمادية، منصور بن سليم بن منصور الإسكندراني، وجيه الدين (ت ٦٧٣هـ/ ١٢٧٥م)/ **ذيل تكملة الإكمال**، تحقيق: عبدالقيوم عبد رب النبي، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، معهد البحوث الإسلامية، ١٤١٩هـ، ١/١٨٦.

٨٩- السابق، ١/٢٠٥.

٩٠- السابق، ١/١١٤.

٩١- السابق، ٢/٥١٧.

٩٢- السخاوي: **الضوء اللامع**، ١٠/٢٥٩.

٩٣- الغبريني، أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبدالله (ت ٧٠٤هـ/ ١٣٠٤م)/**عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تحقيق: رابح بو نار، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر [١٣٨٩هـ/ ١٩٧٠م]، ص ص٧٨-٧٩.

٩٤- ابن قاضي شهبة: **تاريخ ابن قاضي شهبة**، ٢/٥٧٨-٥٧٩.

٩٥- ابن العراقي، ولي الدين أبو زرعة أحمد بن عبدالرحيم بن الحسين (ت ٨٢٦هـ/ ١٤٢٣م)/ **الذيل على العبر في خبر من غبر**، تحقيق: صالح مهدي عباس، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص١٩٩.

٩٦- المقريزي: **درر العقود الفريدة في تراجم الأعلام المفيدة**، تحقيق: محمود الجليلي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ١/٥٨١.

٩٧- السابق، ١/٢٦٧.

٩٨- مرداد، عبدالله بن أحمد أبي الخير (ت ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م)/ **المختصر**

من كتاب نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر، اختصار وترتيب: محمد سعيد العامودي، وأحمد علي، الطائف: نادي الطائف الأدبي، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ١/١٩٥.

٩٩- السابق، ٢/٣٤٠.

١٠٠- السابق، ١/١٠٢.

١٠١- السابق، ١/١٠٢-١٠٣.

١٠٢- السابق، ١/١٠٢.

١٠٣- السابق، ١/١٤٨.

١٠٤- السمعاني، أبو سعد عبدالكريم بن محمد بن منصور (ت ٥٦٢هـ/١١٦٧م) / **كتاب أدب الإملاء والاستملاء**، تحقيق: أحمد محمد عبدالرحمن محمود، جدة: المحقق، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ١/١٨٣-٢٤٣.

١٠٥- السابق، ٢/٤٨١-٥٩١.

١٠٦- صاعد بن الحسن، أبو العلاء الطبيب (ت بعد ٤٦٤هـ/ بعد ١٠٧٢م) / **التشويق الطبي**، تحقيق: مريزن سعيد عسيري، الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص ص٨١-٨٨.

١٠٧- الرهاوي، إسحاق بن علي (ق ٤هـ/ ق ١٠م) / **أدب الطبيب**، تحقيق: مريزن سعيد عسيري، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ص ص١٥٧-١٦٢. وما بين الحاصرتين [ ] سقط من النص المطبوع، واستُدرك من المخطوطة.

١٠٨- الدفاع، علي عبدالله / **العلوم البحتة في الحضارة العربية الإسلامية**، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص١٩.

ولمزيد من المعلومات عن تاريخ العلوم في الحضارة العربية، انظر على سبيل المثال:

- عمر فروخ / **تاريخ الفكر العربي**، بيروت: المكتب التجاري، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م.
- فؤاد سزكين / **محاضرات في تاريخ العلوم**، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
- أحمد الشيراوي / **الاتصالات والمواصلات في الحضارة الإسلامية**، لندن - قبرص: رياض الريس للكتب والنشر، ١٩٩٢م.
- عبدالأمير المؤمن / **مكانة الفلك والتنجيم في تراثنا العلمي**، دبي: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
- أحمد فؤاد باشا: «تراثنا العلمي ورحلته إلى الغرب»، **تراثيات**، ع١ (يناير ٢٠٠٣م)، ص ص٤٤-٥٥.
- كمال حسن البتانوني: «مناهج العلماء المسلمين في دراسة العقاقير والنباتات الطبية»، **تراثيات**، ع١ (يناير ٢٠٠٣م)، ص ص٥٦-٨٧.

١٠٩- الذاكري، محمد فؤاد / **طب الأسنان والجراحة الفموية في الحضارة العربية الإسلامية**، دمشق: وزارة الثقافة، مديرية إحياء نشر التراث العربي، ٢٠٠٦م، ص٩٧.

١١٠- شوقي، جلال، وعلي عبدالله الدفاع / **العلوم البحتة في الحضارة العربية الإسلامية**، الجزء الأول، نيويورك: دار جون وايلي وأبنائه، ١٩٨٥م، ص٢٢.

١١١- النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد (ت ٤٣٨هـ/ ١٠٤٧م)/ **كتاب الفهرست**، تحقيق: رضا - تجدد، طهران: [١٣٩١هـ/ ١٩٧١م]، ص ص٣١٥-٣٢٠.

ومن أعمال الكندي المهمة: رسالته في اللثغة، حققها: محمد حسان الطيان، ونشر دراسة عنها بعنوان «رسالة يعقوب الكندي في اللثغة»، في مجلة **التاريخ العربي**، العدد الثاني (ربيع ١٤١٧هـ/١٩٩٧م) في الصفحات من ١٧٣ إلى ١٨٥.

١١٢- النديم: **الفهرست**، ص٣٣١.

١١٣- السابق، ص٣٤١.

١١٤- الخولي، يُمنى طريف: **فلسفة العلم في القرن العشرين**، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، سلسلة عالم المعرفة، ٢٦٤، ص ص٣٨-٤٠.

وضع عدنان جواد الطعمة سلسلة خاصة بفهارس المخطوطات العربية في الرياضيات، بدأها بمخطوطات برلين، نشره سنة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، وضم تعريفاً بثماني وأربعين مخطوطة مفردة، ومخطوطات أخرى ضمن مجاميع من المخطوط رقم ٤٩ إلى ٦٦. واحتوى الفهرس على لوحات كثيرة لمخطوطات في الرياضيات.

١١٥- **سلسلة علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب**، (الأجزاء ١- ٦)، إعداد: محمد مراياتي، ويحيى مير علم، ومحمد حسان الطيان، الرياض: مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية، ومركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

١١٦- الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ١٢/ ٣٣٨-٣٣٩.

١١٧- ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس (ت ٦٦٨هـ/ ١٢٧٠م) / **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، تحقيق: نزار رضا، بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٦٥م، ص ص٥٠٠-٥٠١.

١١٨- السابق، ص٣٢٢-٣٢٣.

١١٩- السابق، ص٥١٧.

١٢٠- السابق، ص٥٢١، ٥٢٨.

١٢١- مايرهوف، ماكس (١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م): «العلوم والطب» في: **تراث الإسلام**، تأليف جمهرة من المستشرقين بإشراف سير توماس أرنولد، عربه وعلق حواشيه: جرجيس فتح الله، ط٣، بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٨، ص٤٦٣.

١٢٢- السابق، ص٤٦٤.

١٢٣- السابق، ص ص٤٦٤-٤٦٥.

١٢٤- الذهبي: **تاريخ الإسلام**، ١٠/ ٤٥٩.

١٢٥- ابن أبي أصيبعة: **عيون الأنباء**، ص٥٠١.

١٢٦- الغبريني: **عنوان الدراية**، ص١٠١.

ومن أبرز الفقهاء الذين كان لهم باع طويل في العلوم: ابن رشد الحفيد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد، المتوفى سنة ٥٩٥هـ (١١٩٨م)، الذي تولى القضاء في أشبيلية عاصمة الأندلس في عهد الموحدين، ثم في قرطبة عاصمة الخلافة الأموية، وكان مستشاراً وطبيباً لدى يوسف بن عبدالمؤمن. كتب عنه دراسة واسعة موثقة محمد بن شريفة، رصد فيها تاريخه من خلال المصادر

التي تحدثت عنه، ولعل من أهم ما ناقشه في الكتاب مسألة إحراق مؤلفات ابن رشد، فذكر أن ذلك غير صحيح، أو أنه لا يؤخذ على عمومه، ويستدل على ذلك بوجود عدد من النسخ الخطية لبعض مؤلفاته في مكتبات في الشرق والغرب، منها ما يرقى إلى عصر ابن رشد، أو ما يقرب من عصره من مثل نسخة مكتوبة من الكليات في سنة ٥٨٣هـ، موجودة في Sacr Monte في غرناطة، انظر: [محمد بن شريفة/ **ابن رشد الحفيد سيرة وثائقية**، الدار البيضاء: المؤلف، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م].

١٢٧- نصير، عبدالمجيد: «منعطفات مهمة في تاريخ الرياضيات، الحلقة الثامنة، الرياضيات العربية الإسلامية»، **المجلة الثقافية**، ع٢٧ (١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م)، ص٢٣٤.

١٢٨- الرازي، أبو بكر محمد بن زكريا (ت بين ٢٩٣-٣٢٠هـ/ بين ٩٠٦-٩٣٢م)/ **مقالة في النقرس**، تحقيق: يوسف زيدان، الإسكندرية: مكتبة الإسكندرية، ٢٠٠٣م (النشر التراثي متعدد اللغات II)، ص١٦.

١٢٩- الكندي، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن الصباح (ت نحو ٢٦٠هـ/ نحو ٨٧٣م): «رسالة في استخراج المعمى» في **سلسلة علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب**، ١/ ١٢١.

١٣٠- Rashed, Roshdi. **Les mathematiques infinitesimales** du IXe au XIe Siecle Volume 11, Ibn Al-Haytham.- London: Al-Furqan Islamic Heritage Foundation, 1993, p p 104-107.

انظر: الملحق رقم (١) نص رسالة ثابت قرة.

١٣١- حنين بن إسحاق، أبو زيد العِبادي (ت ٢٦٠هـ/ ٨٧٣م)/ **في حفظ**

الأسنان واللثة واستصلاحها، تحقيق: محمد فؤاد الذاكري، حلب: دار القلم العربي، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م (روائع الطب الإسلامي، ١)، ص ص٣١-٣٤.

وانظر عن حنين بن إسحاق: [أحمد بن محمد الدبيان/ **حنين بن إسحاق: دراسة تاريخية ولغوية**، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م]. وهو دراسة في مجلدين، الأول: جاء في ٣٢٦ صفحة، والثاني: في ٧١٥ صفحة، احتوى الأول على ثبت بآثاره العربية والسريانية والمترجم إلى العربية وإلى السريانية في الصفحات من ١٢٨ إلى ١٧٤.

١٣٢- الرهاوي: **أدب الطبيب**، ص١٥٥.

١٣٣- الطبري، أحمد بن محمد (ت بعد ٣٦٦هـ/ بعد ٩٧٦م) في كتاب: **أمراض العين ومعالجتها في كتابي المعالجات البقراطية، وفردوس الحكمة**، تحقيق: محمد رواس قلعه جي، ومحمد ظافر الوفائي، لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م (سلسلة التراث الطبي الإسلامي - علم الكحالة، ١١-١٢)، ص ص٢١٢-٢١٣.

١٣٤- **الجواد العربي، في الفروسية وتربية الخيل وبيطرتها** لمؤلف مجهول (كتبه بخط يده سنة ٧٥٧هـ ببغداد)، تحقيق: محمد ألتونجي، الكويت: مركز المخطوطات والتراث والوثائق، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م (قسم الخيل الأصيل والفروسية وأدواتها، ١)، ص ص١٢٨-١٣٤.

١٣٥- ابن أبي أصيبعة: **عيون الأنباء**، ص١٨٣.

١٣٦- السابق، ص٦١٠.

١٣٧- السابق، ص ص٥٨٢-٥٨٣.

١٣٨- السابق، ص٥٨٣ .

١٣٩- السابق، ص٥٨٣ .

١٤٠- السابق، ص٥٤٤ .

١٤١- السابق، ص٥٤٥ .

١٤٢- السابق، ص٥٧٩ .

١٤٣- السابق، ص٥٨٠ .

١٤٤- الذهبي : **سير أعلام النبلاء**، ١١ / ٢١١ .

١٤٥- هل، يوسف / **الحضارة العربية**، ترجمة : إبراهيم أحمد العدوي، القاهرة : دار الهلال، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م (كتاب الهلال، ٣٤٢)، ص١٠٧ .

١٤٦- السابق، ص ص١٠٧-١٠٨ .

١٤٧- ابن الساعاتي، فخر الدين رضوان بن محمد بن علي بن رستم (ت نحو ٦١٧هـ/ نحو ١٢٢٠م) / **علم الساعات والعمل بها**، تحقيق : محمد أحمد دهمان [دمشق : المؤلف، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م]، ص٣٩ .

١٤٨- السابق، ص ص٤٠-٤١ .

١٤٩- عبدالسلام، أحمد : «التفكير (العلم) والتسخير (التقنية) دعوة لإقامة أمة العلم في الإسلام »، **مجلة المجمع العلمي العراقي**، مج٣٣، ج٢، ٣ (رجب ١٤٠٢هـ/ نيسان (أبريل) ١٩٨٢م)، ص١٦٢ .

١٥٠- انظر النص في كتاب : **تاريخ الصيدلة والعقاقير في العهد القديم والعصر الوسيط** لشحاته قنواتي، القاهرة : دار المعارف، ١٩٥٩م، ص ص١٧٩-١٨٣ . نقلاً عن كتاب : نهاية الرتبة في طلب الحسبة للشيزري، تحقيق : السيد الباز العريني، القاهرة، ١٩٤٦م، ص٤٢-٤٧ .

١٥١ـ لولح، علاء الدين: «التراث العلمي العربي: أهميته، منهجية قراءته وأساليب التعامل معه» في: **أبحاث المؤتمر الثامن والعشرين لتاريخ العلوم عند العرب، المنعقد في جامعة حلب: ٢٥-٢٧ حزيران (يونيو) ٢٠٠٧م**، حلب: جامعة حلب، معهد التراث العلمي العربي، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ص٧١٨ـ٨٢٠. وانظر: ياسين خليل: «مفهوم التراث العلمي العربي»، **المورد**، مج ١٨، ع٣ (خريف ١٩٨٩م)، ص ص٣٦ـ٤٠.

١٥٢ـ راشد، رشدي: «حول تاريخ العلوم العربية»، **المستقبل العربي**، س٢١، ع٢٣١ (آيار/ مايو ١٩٩٨م)، ص٢٩.

وللوقوف على إسهام العرب في المجال العلمي ودورهم الريادي فيه، انظر:

- لطف الله قاري/ **إضاءة زوايا جديدة للتقنية العربية الإسلامية**، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
- محمد يوسف حسن، وعدنان باقر النقاش: «أثر الفكر العربي الإسلامي في تقدم علوم الأرض»، **المورد**، مج ١٢، ع١ (ربيع ١٩٨٣م)، ص ص٢ـ٢٥.
- سلمان قطاية: «النقد عند علي بن رضوان»، **المورد**، مج١٢، ع٢ (صيف ١٩٨٣م)، ص ص٤٥ـ٥٨.
- غسان محمد السبتي وإبراهيم جواد الفضلي: «المنقول والمدلول في الأفكار والمعارف الجيولوجية عند العرب»، **المورد**، مج١٣، ع١ (ربيع ١٩٨٤م)، ص ص٣ـ١١.
- ناصر حسين صفر: «رحلة تأريخية مع تصانيف النباتات الطبية عند العرب»، **المورد**، مج ١٨، ع١ (ربيع ١٩٨٩م)، ص ص١٢٦ـ١٣٦.

- محمد، محمود الحاج قاسم «ماذا أضاف العرب لعلم الصيدلة»، المورد، مج٢، ٣ (١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م)، ص ص٤٩-٥٣.
- فريلي، جون/ مصباح علاء الدين، **كيف وصلت العلوم الإغريقية إلى أوربا عبر العالم الإسلامي**، ترجمة: سعيد محمد الأسعد، ومروان البواب، بيروت: دار الكتاب العربي، ٢٠١٠م.

١٥٣- **1001 Inventions: Muslim Heritage In our World**, Chief Editor Salim T S Al-Hassani, Co-Editors Elizabeth Woodeork and Rebah Saoud, Manchester: Foundation For Science Technology and Civilisation, 2006, p9.



القسم الثاني
الانحدار في وحل الخرافة

بذور السقوط:

تسلل دعاة التخلف إلى المشهد العلمي التنويري منذ العصور المتقدمة، ولكن لم يُكْتَبْ لدعواتهم الانتشار، فظل فعلهم مندساً خافتاً لقوة القاعدة العلمية، ورَفْضِ المجتمع لطروحاتهم الداعية إلى الركون والاسترخاء. ومع تراجع الحفاظ على نقاء العقيدة، وضعف الاهتمام بالتوحيد، وقلة العناية بالإبداع الفكري، نفشت بذور السقوط على يد غلاة التصوف، ودعاة الدروشة والشعوذة، ومُدَّعِي العلم الذين راوحوا مكانهم باجترار القديم؛ اختصاراً وتحشية، والخوض في تأليف موضوعات هامشية لا نفع من ورائها.

وإذا كان من الصعب تحديد بداية مرحلة السقوط فإن شواهد تغلغلها تعود إلى قرون متداخلة، أجمل جعفر بن ثعلب [أو: تغلب] بن جعفر الأدفوي المتوفى سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٦م صورتها في عصره في أبيات منها:

إن الدروسَ بِمِصْرِنا في عَصْرنا
طُبِعَتْ على لَغَطٍ وفرْطِ عياطِ
ومباحثٍ لا تنتهي لنهايةٍ
جدلاً ونَقْلِ ظاهرِ الأغلاطِ
ومُدرِّسٍ يُبدي مباحثَ كُلُّها
نشأت عن التخليطِ والأخلاطِ
ومحدِّثٍ قد صار غايةُ علمهِ
أجزاءَ يرويها عن الدِّمياطي

وفـلانةٍ تروي حـديثـاً عـاليـاً
وفـلانٍ يروي ذاك عن أسـبـاطِ
والفـرقُ بين عُـرَيْرِهِم وعُـذَيْرِهم
وافْـصِحْ عن الخـيَّـاطِ والحنَّاطِ
والفـاضلُ النَّحـريرُ فـيـهم دَأْبُهُ
قـولُ أرسطاطاليس أو سُـقـراطِ
وعلومُ دين اللَّهِ نادت جـهـرةً
هذا زمـانٌ فـيـه طيٌّ بسـاطي
وَلَّى زَمـانِي وانقَـضَتْ أربابُهُ
وذهابُهم من جـملة الأشـراطِ(١)

وإذا كان ذلك حظ العلم في مرحلة التراجع؛ فإن المجتمع نفسه أخذ في الانحدار نحو هاوية التقديس الأعمى الذي تفشت نماذجه في القرن التاسع الهجري من مثل حُطيبة، وكان عامياً سقيم العقل، ترجم له المقريزي فقال:

حُطيبة واسمه أحمد:

مجذوبٌ، رأيته بدمياط وللناس فيه اعتقاد، وهو عاري البدن، بادي العورة، يهذي في حديثه، ولا يعي لما يفرط من لسانه، والناس تغشاه من كل جهة، وتأتيه من النواحي، ويتفاءلون بما يلقيه عليهم من الكلام، ويترجُّون بركة رؤيته، ويخشون بادرته(٢).

أما قمة العبث بالعقل، وذروة الجهل والأمية فنجدها في قصة محمد الدَّمْدَمَكيِّ التي تمثل أحط درجة من درجات التهاوي في أوحال الخرافة المناهضة لصفاء العقيدة، الموضحة لخمول دور المصلحين وانغماس أعلام كبار في الترويج لها. تلك القصة العبثية يوردها المؤرخ المقريزي معتقداً

فيها مصدقاً لها، ونصها كما يأتي:

محمد الدَّمْدَمكيُّ

شخص قاعدٌ في مغارة بجبل قريب من إقليم شروان، وعليه ما يستره من الثياب، وفوق رأسه قَلَنْسُوَة تغطي عينيه، والناس يدخلون عليه أفواجاً ليروه، فإذا قربوا منه وصلُّوا على رسول الله ﷺ حَرَّكَ رأسه. ويَزْعم من يَرِدُ علينا من تلك البلاد أن خبر هذا الشخص عندهم مقطوع بصحته لعظيم شُهرته، وأنه مات في حدود سنة ست وثلاثين وثلاث مئة، وأنه باق من ذلك العهد إلى يومنا هذا، وهو سنة ثلاث وأربعين وثماني مئة على ما وَصَفْتُ لم يزل الآخر ينقلُ خبره عن الأول. ولـمَّا قَدِمَ عَليٌّ الـمُقْرئُ المحدِّثُ الفاضل حُسين بن حسن بن حُسين بن عليّ بن محمد بن حسن بن أحمد الفتحي الشِّيرازي الفقيه الشافعي سألْتُه عنه فأخبرني أن جماعة يَثِقُ بهم حَدَّثوه أنهم دخلوا على الدَّمْدَمكيِّ هذا ورأوه كما وصفت.

وأخبرني قاضي القُضاة محب الدين أبو الفضل أحمد ابن شيخنا جلال الدين نصر الله بن أحمد بن محمد بن عمر الشُّشْتَري البغدادي الحنبلي، قراءةً عليَّ من كتابه، ثم دفعه إليَّ فكتبته بنصه، قال: حَكَى لي الشيخ شمس الدين محمد بن محمد بن موسى القطماوي العُمَرِيُّ الحلبي، والشيخ الصالح جمال الدين محمود بن عمر بن يوسف الخليفة بزاوية العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه التي بسمرقند، الـمُقيم الآن بزاوية تقي الدين بالرُّمَيْلة أنَّ بقرية تُسمى مازرا بالقرب من مدينة شماخي بالشروانات رجلاً ميتاً كان اسمه الشيخ محمد الدَّمْدَمكي مات من مدة تزيد على أربع مئة سنة، وأنه جالسٌ على هيئة جُلوس التَّشَهُّد في الصَّلاة مُستقبلَ القِبلة في مغارة حجارة شمالي قرية مازرا المذكورة، وأن الناس

يزورونه أفواجاً، وهو مشهور هناك على هَيْئته، وإذا صُلّيَ على النبي ﷺ عنده يَميلُ إلى بَيْن يدَيْه وإلى خلفه، وعلى رأسه قَبَعٌ بايَزِيدي، وعليه خِرْقةٌ بيضاء مُضربة بايَزِيدية بزِيقٍ مُدوّر، وفي كل سنة تَبلى الخِرْقة التي عليه كما تبلى ثيابُ الحيِّ، وتُؤخذ من عليه، ويُوجد فيها قَمْلٌ ويُلْبَس غيرها، ويَتَبرَّكُ الـمُلوك بالخرقة التي تُؤخذ من عليه. وسَبَبُ ذلك دَعْوة شيخه الشيخ إبراهيم المازرائي، وذلك أن شيخه المذْكور كان كُلَّما يتفقَّده يجدُه في العبادة مُنْعزلاً عن الناس في المغارة التي هو فيها الآن، فزاره بعض الأيام قريبَ وقت الظُّهْر، فقال له الشيخ إبراهيم: قُمْ أَذِّن، فقال: دَمْدَمكي، أي: اصبر سُوَيْعة. فكرَّر عليه الشيخُ الأمْرَ بالأذان وهو يُجيبه بقوله: دَمْدَمكي، إلى أن دخل وقت الظهر فوثب الشيخ محمد على قدميه قائماً وأذَّنَ، فقال له شيخه: أنت دَمْدَمَكي، أي: ساعاتي، فقال الشيخ محمد لشيخه الشيخ إبراهيم: ضَعْ رِجْلَكَ على قَدَمي اليُمْنَى وانظر نحو السماء، ففعل ذلك ونَظَر إلى السماء، فَرأى باباً مفتوحاً في السَّماء، ورَأى ديكاً قد فَرشَ أجنحته وهو يُؤذِّن، فقال لشيخه: أنا ما أُؤذِّن في الأَوْقات الخمسة إلا على أذان هذا الدِّيك، فقال له شيخه المازرائي: لا أَبْلاكَ الله، أو لا تَبْلَى، فاستجاب الله دعاءَ شيخه فيه، فلهذا لم يَبْلَ بعد موته، رحمةُ الله عليهما. وقَصَدوا دَفْنه مرات فما تَمكَّنوا من ذلك؛ حتى إن شخصاً هَجَمَ عليه مرةً ليأْخذَهُ ويَدْفِنَهُ فخرجت يَدٌ من على يمين الشيخ فلَكَمَتْهُ فوَقَع مَيِّتاً.

وذكر لي الـمُخْبِران المذكوران أن تَمُرْلنك قصد أخذه ودَفْنَه في التُّراب كما يُدْفَنُ غيره من الأنبياء والأولياء، فأُرْسلَ عليه مطرٌ عظيمٌ وبَردٌ عظيمٌ أهلك من عَسْكره خلقاً عظيماً حتى صار تَمُرْلنك يَتمرَّغ في الأرض ويقول:

التَّوْبة يا شيخ محمد التَّوْبة. وهذا من العَجَائب[٣].

كان تغلغل مثل هذه الخرافة وتفشيها في المجتمع ناتجاً من الموقف السلبي للعلماء والحكام الذين لم يؤدوا واجباً حتمياً كان عليهم القيام به، وهو الإنكار بالقوة؛ لأن التهاون والانسياق مع مواقف العامة هو ما جعل من تقديس الأفراد سِمَةً في مجتمعات إسلامية كثيرة. وليس ببعيد عن القصة العبثية السابقة، خَبَرٌ يقدم صورة واقعية لما كان يجري في الاحتفال بالمولد عند ضريح البدوي في طنطا بمصر في القرن نفسه، ونص الخبر كما يقدمه شاهد عيان هو إبراهيم بن عمر البقاعي (ت ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م) أنه:

في يوم الجمعة تاسع عشر شهر ربيع الآخر [سنة ٨٦٠هـ] هذا سافر الأمير بُردبك الدويدار في البحر إلى مولد النبي ﷺ الذي يُعْمَلُ بمقام الشيخ أحمد البدوي في قرية طندتا من الغربية، وسألني في الذهاب معه، فاشترطتُ عليه إزالة ما يقدر عليه من المناكر، فأجاب وتوجهنا في سبع عشرة سفينة، وكان معه الشرف الأنصاري وشاهين الساقي الطواشي، وجمع من الفقهاء والترك وغيرهم، فوصلنا إلى زفتا يوم الأحد حادي عشرى الشهر، ثم توجهنا على الخيل فوصلنا إلى قرية نفيا صبح يوم الاثنين ثاني عشريه، فندب القُرّاء الذين معه، فقرأوا في مقام الشيخ قمر الدولة كثيراً من القرآن، وعمل به مَولِداً، ثم توجه إلى طندتا صبح الثلاثاء ثالث عشريه، فإذا هناك من جموع الناس ما لا يحصيه إلا الله، وإذا هم يشدون إليه الرحال، ويأتون في المحامل؛ بل والمحفات، وذلك أمرٌ عظيم في الدين وفتنة كبيرة، وإذا هناك من الفساد بالفسق بالنساء والصبيان وغير ذلك من المحرمات أمورٌ عظيمة، وقد جرت عادتهم السيئة، أن يتسوق القبائل من العرب بخيولهم ويلعبون برماحهم لعباً يسمونه البرجاس، فربما

قُتِلَ منهم الجماعة، فنادى الأمير حال وصوله بفعل الخيرات، وترك المنكرات، وأن من عُثر عليه بمحرم حَلَّ به ما يستوجبه من العقاب، وأمر بإبطال البرجاس، وشرع كل يوم ينادي بذلك، ويُعَظِّمُ النكير على من يفعل منكراً، فلم يتجاهر أحد بشيء من ذلك. وكانت عادتهم أن يأتي النساء إلى خانات هناك، ويأتي الكاشف بتلك البلاد، فتدخل جماعته فيفسقون في تلك النساء، ويجلسون على أبواب تلك الخانات يحمونهن ممن ينكر، فيصير الفسق جهاراً، فحصل بحلول الأمير رفع ذلك، ووعد أنه لا يُمَكِّن منه ما دام قادراً على إبطاله. وكان كل يوم يأخذ القراء الذين معه، ويذهب إلى المقام، فيقرأون إلى العصر أو المغرب، ثم ينصرف والناس يزدادون إلى أن ملأوا الفضاء، وكانوا عدد الحصا. وكان جماعة المتفَقِّرة الجهلة يأتون ومع كل واحد منهم عصى غليظة جداً فيرقصون بها كل يوم وقت العصر، ويكون لهم ضجيج في الطرق والمقام ترتج منه الأرض، فلما كان يوم الخميس تكامل جمعهم، فأتوا من البرية وقد هاجوا بزعمهم، وتواجدوا، فمن كان منهم معه عصى فهي معه، ومَن لم يكن معه عصى كسر مما مر عليه من الشجر فرعاً عظيماً فأتى به يحمله حتى يكون صحن المقام كأنه بُستان، ويكون لهم من الرقص بذلك والضجيج أعظم من كلّ يوم. ويوجد في هذه الأيام في الجبَّانة التي هناك موتى على ظهور القبور ممن كان دُفن قبل ذلك على هيئات مختلفة، يدَّعون أن الأرض نبذتهم، لكونهم كانوا يُنكِرون على طريقتهم، وأنهم يغيبون في الأرض بعد انقضاء المولد، يختدعون بذلك من لا عقل له، وهم غالب الناس. وأنا والله لا أشك أنهم هم الذين يخرجونهم، إلى غير ذلك من المناكير التي تصدر منهم قبحهم الله، وسدَّد من يسعى في إزالة ذلك. وقد كنت سعيت في إزالته في سنة

إحدى [و] خمسين بعد أن أفتى جميع العلماء بتحريم ذلك، وشدَّدُوا النكير فيه، وألزمهم شيخنا، شيخ الإسلام ابن حَجَر بالكفر، لأمور يقولونها في حضور المولد من ثواب يرتبونه عليه، وأمور يختلقونها، وأبطله الملك الظاهر جقمق، ثم سعوا فيه بإعانة الدويدار الثاني دُولات باي المؤيدي وأعادوه وآذوا كل من سعى في إبطاله أذًى بالغاً.

وأُخبرنا: أنهم يذهبون يوم الجمعة إلى الجامع قُدَّام شيخهم الذي يسمونه الخليفة بِعِصِيِّهم وأسلحتهم فأراحنا الله من ذلك، ولم نحضره، وسافرنا قبل الصَّلاة من هذا اليوم، وهو سادس عشري الشهر إلى زفتا، ثم [انحدرنا] إلى المنصورة(٤).

ما يحدث عند ضريح البدوي لا يختلف كثيراً عما يحدث عند مقام سانتا فاتيما أو القديسة فاطمة في قرية معزولة من قرى البرتغال، أورد خوزيه ساراماغو الروائي البرتغالي صورة لما يجري هناك على لسان بطل روايته «سنة موت ريكاردوريس» الذي ذهب لمقابلة محبوبته مرساندا فقال:

مالت الشمس، ولكن الحرارة لم تهبط في الفناء الذي لم يعد يمكن وضع إبرة فيه. الحشد ما زال يتلاصق في دفق متصل، جريان يبدو من بعيد بطيئاً. بعضهم من هذا الجانب، ما زال يحاول أن يكسب أفضل الأمكنة، يجب أن يكون هذا صحيحاً في الجانب الآخر. تبين لريكاردوريس الذي ذهب ليقوم بجولة، فجأة وجود حج آخر، حج التجارة والتسول، وإذا لم يكن جديداً فهو أكثر جلاء فجأة. هناك فقراء يتسولون ومتسولون، التمييز ليس شكلياً فقط ويجب احترامه بدقة، ذلك أنه إذا تسول الفقير، فإن المتسول يجعل من التسول بالمقابل نمط حياته، وليس نادراً أن نرى بعضهم يغتني بهذه الطريقة. تقنيتهم هي نفسها، وعلمهم أيضاً، الأول

ينتحب، الثاني يتوسل ممدود اليد، والطريقتان معاً في بعض الأحيان، وهي ذروة مسرحية يصعب جداً أن تقاوم. صدقة صغيرة، إذا كان لديك قلب، الله إلهنا سيعوض عليك، أشفق على الأعمى المسكين، أشفق على الأعمى المسكين، آخرون يعرضون ساقهم المغطاة بالقروح، ذراعهم المشوهة، ليست تلك التي نبحث عنها، وفجأة، وكما لو أن أبواب الجحيم قد فُتحت، إن مثل هذه المسوخ لا يمكن أن تنبثق إلا من الجحيم. سمعت أغنية كئيبة تئن، في حين كان باعة اليانصيب يصرخون بالأرقام الرابحة، بلغت الجلبة حداً توقفت معه اندفاعة الصلوات في منتصف طريقها إلى السماء، أحدهم قطع صلاته الربانية ليجس الثلاثة آلاف وستمائة وأربعة وتسعين، ممسكاً بيد خفية المسبحة، ويروز بالأخرى البطاقة كما لو كان يقدر في الوقت نفسه وزنها وحظوظها. يُخْرِجُ من المنديل الإيسكودوسات المطلوبة ويستأنف - بمزيد من الأمل - صلاته حيث تركها، أعطنا خبزنا اليومي. الآن جاء دور باعة الأغطية وربطات العنق والمناديل والسلال، والعاطلين عن العمل الذين يبيعون - وحول ذراع كل منهم عصابة - بطاقات بريدية، أي أن الأمر لا يدور حول بيع فعلاً، يعطونهم المال أولاً، وبعد ذلك فقط يعطون البطاقة، هذه أفضل طريقة وجدوها للمحافظة على كرامتهم، فهؤلاء المساكين ليسوا متسولين، وإذا كانوا يجمعون الإعانات فلأنهم عاطلون عن العمل، هذه العصابات فكرة ممتازة. فضلاً عن ذلك، كلمات «عاطل عن العمل» تبرز كاملة وبحروف بيضاء على عصابة النسيج الأسود، يمكن هكذا أن يُروا عن بعد، هذا يسهل التعداد ويمنع من نسيانهم. الأسوأ هم الباعة المتجولون، إنهم عديدون إلى حد ينتهون معه، إلى إيذاء سلام النفوس

وتعكير صفاء المكان . تجنب ريكاردوريس المرور قريباً منهم لأنهم موهوبون في أن يضعوا تحت أنفك أطباقاً مزينة بصور العذراء، تماثيل صغيرة، كميات من المسابح، دستات من الصلبان، ألوفاً من الميداليات الصغيرة، قلوب يسوع، قلوب مريم المضطرمة، عشاءات سرية، صور ميلاد، زهور فيرونيك، وفي كل سنة في ذكرى يوم الظهور، الرعاة الصغار الثلاثة، جاثين، مضمومي الأيدي، أحدهم صبي لا يذكره كتاب القديسين، وليس موضع بحث أن يطوّب قديساً، لأنه فوجئ سابقاً وهو يرفع تنانير البنات . كل أعضاء هذه الأخوية التجارية يزأرون كمن به مس، الويل ليهوذا الذي سيسرق فنه المداهن زبون التاجر المجاور، ستار الهيكل سيتمزق، الشتائم واللعنات سوف تنهال على رأس غير النزيه والأمين، لا يتذكر ريكاردوريس أنه قد سمع في البرازيل أو هنا سابقاً، قداساً أطيب مذاقاً، هذا الفرع من الفن الخطابي تطور تطوراً عظيماً .

فاطمة، جوهرة الكاثوليكية الثمينة، تشع بكل نيرانها، نيران العذاب بالنسبة للذين يكون خلاصهم الوحيد هو المجيء إلى هنا كل سنة، ينتظرون دورهم، نيران الإيمان السامي والمتضاعف، نيران المحبة عامة، نيران الإعلان لبوفريل، نيران صناعة الكتافيات وأشباهها، نيران الخردوات، الوشم والنسج، نيران الحانات، نيران الأشياء المفقودة والمستعادة بالمعنيين الحقيقي والمجازي، هذا ما يبعث الهمة في ريكاردوريس فيما يتعلق بالبحث، إنه يبحث، يبقى أن نعرف ما إذا كان سيجد . سبق وزار المستشفى، واجتاز كل المعسكر، اجتاز السوق في كل الاتجاهات، وها هو ينزل الآن إلى الفناء الصاخب، يغوص في الجمهرة الكثيفة ليحضر

التمارين، التدريبات العملية على الإيمان، للصلوات المؤثرة، لهذه الوعود المحققة على الركب، في حين أن التائبة المسنودة من تحت إبطيها، برضفتيها الداميتين، تنهار من الألم والنشوة غير المحتملة. ولاحظ إذّ ذاك أن المرضى قد غادروا المستشفى وحُملُوا ورُتِّبوا في طوابير، من أجل أن يستطيع تمثال السيدة العذراء المغطى بزهور بيضاء أن يمر وسطهم، مضت نظرات ريكاردوريس من وجه إلى آخر، كانت تبحث ولا تجد، كحلم معناه الوحيد على وجه الدقة، أن لا معنى له أبداً، كما عندما يحلم المرء بطريق دون بداية، بظِلٍّ على الأرض لا جسد ينتجه، بكلمة يلفظها الهواء، والهواء يحلها. الأناشيد بسيطة، كلها من مقام سول ومقام دو، إنها جوقة أصوات مرتعشة، حادة، تتوقف باستمرار لتعود حالاً في الثالث عشر من آيار في كوفادا إيريا، عندما يحل الصمت فجأة، يغادر التمثال كنيسة الظهورات الصغيرة مسبباً القشعريرة للجمهور، الشعر ينتصب، ما فوق الطبيعي أتى على الانبثاق ويهب على مائتي ألف رأس، سوف يجري شيء ما حتماً. المرضى الذين لهم خشوع صوفي يمدون مناديل، سبحات، مداليات يأخذها الشمامسة، يمسون بهذه الأشياء التمثال، قبل أن يردوها للبؤساء الذين يستمرون في التوسل، يا سيدتنا عذراء فاطمة أعيدي لي الحياة، يا سيدتنا عذراء فاطمة اجعليني أمشي، يا سيدتنا عذراء فاطمة اجعليني أرى، يا سيدتنا عذراء فاطمة اجعليني أسمع، يا سيدتنا عذراء فاطمة اشفيني، يا سيدتنا عذراء فاطمة، يا سيدتنا عذراء فاطمة، يا سيدتنا عذراء فاطمة، البكم لا يطلبون شيئاً، يكتفون بالنظر، إذا كانت لهم عيون بالتأكيد، عبثاً نصب ريكاردوريس أذنه، إنه لم ينجح في سماع يا سيدتنا

عذراء فاطمة ألقي نظرتك على ذراعي اليسرى، واشفيني إذا استطعت، إنك لن تجرب الرب إلهك، ولا العذراء أمه، وبعد التفكير في كل شيء، يجب أن لا تطلب شيئاً، بل أن تقبل، هذا ما يأمر به الخشوع لله، فهو وحده يعلم ما يناسبنا(٥).

وينشط اليافعي المتوفى سنة ٧٦٨هـ/١٣٦٦م في سرد صور عبثية عن أشخاص يَعُدُّهُم من الأولياء ينسب إليهم أفعالاً وأقوالاً تتنافى مع جوهر العقيدة، ترسخ التخاذل وتدعو إلى التقديس، تقتل روح العمل والإبداع وتتعامل مع غيبيات منكرة، ومن ذلك ما يرويه عن الخضر أنه قال:

كنت بصنعاء باليمن في مسجد عبدالرزاق الواعظ، وكان من أكابر العلماء والأولياء، أسمع منه ما يقول، فنظرت إلى شاب منفرد بناحية المسجد، مختلٍ بنفسه، واضعاً رأسه بين ركبتيه، فأتيت إليه ووكزته، وقلت: يا هذا لم لا تحضر مجلس عبدالرزاق وتسمع منه ما يقول، فقال: قد سمعتُ من الله عز وجل. فأدهشني ذلك، فقلت له: إن كنتَ صادقاً فمن أنا؟ فقال: إن صحت فراستي فأنت الخضر عليك السلام، ثم غاب عن بصري فلم أره، نفعنا الله تعالى به آمين(٦).

وينقل عن عبدالعزيز الدريني (ت ٦٩٧هـ/١٢٩٨م) حكاية نصها:

كنت سائحاً في جماعة من أصحابي فانتهينا إلى قبر في بعض البراري، كنت أعرف صاحبه، وكان من أولياء الله تعالى، فجلست عند قبره أبكي، فسألني بعض أصحابي عن ذلك فقلت: اتفق لي مع صاحب هذا القبر حكاية عجيبة، وذلك أنه عرضت لي حاجة في بعض البلاد فسافرت لها فأدركتني الصلاة، فعدلت عن الطريق إلى المسجد الذي كان يصلي فيه، فصليت خلفه فإذا هو يلحن في قراءته فتشوش بالي من ذلك، وقلت في

نفسي سراً: أقيم عند هذا الفقير أعلمه، وأترك حاجتي فهذا أولى. فلما سلّمنا من الصلاة التفت إليَّ وقال: يا عبدالعزيز الحق حاجتك التي جئت بطلبها، وما عليك من اللحن والتعليم؛ فتعجبت من مكاشفته عليَّ، وخرجت في الحال مسرعاً إلى حاجتي كما أشار؛ فلما دخلت البلد وجدت صاحبي الذي عنده حاجتي يريد السفر ورجله في الرّكاب كما قال، فلما رآني ترجل وترحب بي وقضى حاجتي، وسافرت فازددت تعجباً من ذلك، فما لبث إلا مدة يسيرة وتوفي إلى رحمة الله تعالى وهذا قبره رضي الله عنه آمين[٧].

ومن الحكايات السريالية في الكتاب ما يُروى عن جوهر المشهور المدفون بعدن أنه:

كان مملوكاً فَعُتِقَ وكان يبيع ويشتري في الأسواق، إلا أنه كان يحضر مجالس الفقراء ويعتقدهم اعتقاداً شديداً. وكان رجلاً أمّياً، فلما حضرت وفاة الشيخ العارف بالله تعالى الشيخ سعد الحداد شيخ الطريقة بعدن المدفون بها، اجتمعت عليه الفقراء وقالوا: يا سيد من يكون شيخاً بعدك، فقال: الذي يقع على رأسه الطائر الأخضر في اليوم الثالث بعد موتي، عند اجتماع الناس والفقراء عند قبري فيكون هو الشيخ عليكم. ثم توفي الشيخ إلى رحمة الله تعالى، فاجتمع الفقراء عند قبره ثلاثة أيام ينتظرون ما وعدهم الشيخ رضي الله تعالى عنه. فبينما هم كذلك إذا بالطير الأخضر قد وقع قريباً منهم وارتفع، فصار كل من الفقراء يتمنى أن يكون هو الموعود به، فبينما هم منتظرون الوعد الكريم، وما يكون فيه من تقدير العزيز العليم، إذا بالطائر قد وقع على رأس جوهر، ولم يكن يخطر له ذلك، ولا لأحد من الفقراء، فقام الفقراء يزفونه إلى الزاوية وينزلونه منزلة

الشيخ، فبكي جوهر وقال: كيف أصلح لذلك، وأنا رجل سوقي، ولم أكن أعرف طريقة الفقراء، وعليّ تبعات، وبيني وبين الناس معاملات، فقال الفقراء: هذا أمر من الله عز وجل، فالله يتولاك ويعينك ويعلمك وهو يتولى الصالحين. فقال لهم جوهر: فأمهلوني حتى أمضي إلى السوق وأبرأ من حقوق الناس فأجابوه لذلك. فذهب إلى السوق ووفّى كل ذي حق حقه ورجع إلى الفقراء وترك السوق، ولزم الزاوية والفقراء، وصار جوهراً كاسمه، وله من الكرامات والفضائل ما يطول ذكره؛ فسبحان المنان الكريم ذي العرش العظيم. فصار على العبادة حتى مات رضي الله عنه[٨].

ومن قصص الأولياء التي تتجاوز الأساطير وتثير الخيال ما يورده **الشعراني** في ترجمة **أبي مدين شعيب المغربي** (ت بعد ٥٨٠هـ/ بعد ١١٨٤م)، أن الوحوش كانت تذل له، وأنه «مر يوماً على حمار والسبع قد أكل نصفه، وصاحبه ينظر إليه من بعد، .. فذهب بصاحب الحمار إلى الأسد، وقال: أَمْسِكْ بأذنيه واسْتَعْمِلْهُ مكان حمارك حتى يموت، فركبه واستعمله سنين حتى مات»[٩].

وكان **يكنور بن خضر أبو يعزى المغربي** من أولياء المغرب، وهو شيخ أبي مدين، له كرامات، منها ما رواه تلميذه أبو مدين، أنه زاره ذات مرة في الصحراء «وحوله الأُسد والوحوش والطير تشاوره على أحوالها، وكان الوقت وقت غلاء، فكان يقول لذلك الوحش: اذهب إلى مكان كذا وكذا فهناك قُوتُك، ويقول للطير مثل ذلك فتنقاد لأمره، ثم قال: يا شعيب إِن هذه الوحوش والطيور أحبت جواري فتحملت ألم الجوع لأجلي»[١٠].

ولشمس الدين الحنفي (ت ٨٤٧هـ/١٤٤٣م) قدرة على مخاطبة الأشجار، كما فعل مرة مع شجرة توت كانت في خلوته أراد أن يباسطها

فقال لها: «يا توتة حدثيني حدوثة، فقالت بصوت جهوري: «نعم إنهم لما زرعوني سقوني، فلما سقوني أسست، فلما أسست فرعت، فلما فرعت أورقت، فلما أورقت أثمرت، فلما أثمرت أطعمت. قال الشيخ... فكان كلامها سلوكاً لي، وقد حصل لي بحمد الله ما قالت التوتة»(١١).

ويورد الشعراني قصة يدلل بها على ما كان يملكه **محمد بن أحمد الفرغل** (ت بعد ٨٥٠هـ/ بعد ١٤٤٦م) من قدرات خارقة كونه ولياً من أولياء الله محورها أن تمساحاً خطف ابنة شخص يدعى مخيمر النقيب، فذهب يبكي إلى الفرغل فقال له:

اذهب إلى الموضع الذي خطفها منه، وناد بأعلى صوتك: يا تمساح تعال كَلِّمْ الفرغل. فخرج التمساح من البحر، وطلع كالمركب، وهو ماش، والخلق بين يديه جارية يميناً وشمالاً إلى أن وقف على باب الدار، فأمر الشيخ... الحداد بقلع جميع أسنانه، وأمره بلفظها من بطنه، فلفظ البنت حية مدهوشة، وأخذ على التمساح العهد أن لا يعود يخطف أحداً من بلده ما دام يعيش، ورجع التمساح ودموعه تسيل حتى نزل البحر...»(١٢).

ومن الكرامات الأخرى التي ينسبها إليه أن راهباً دخل عليه «فاشتهى عليه بطيخاً أصفر في غير أوانه، فأتاه به، وقال: وعزة ربي لم أجده إلا خلف جبل قاف»(١٣)، ومن الكرامات المزعومة لفرغل أنه قال لرجل:

زوجني بنتك، فقال: مهرها غال عليك، فقال: كم تريد؟ فقال: أربعمائة دينار، فقال: اذهب إلى الساقية وقل لها: قال لك الفرغل: املئي قادوس ذهب وقادوس فضة، فملأت له قادوسين، فلم يزل هو وذريته مستورين ببركة الشيخ حتى ماتوا»(١٤).

ويذكر الشعراني أن الفرغل كان يقول: «كثيراً كنت أمشي بين يدي

الله تعالى تحت العرش، وقال لي كذا، وقلت له كذا، فكذبه شخص من القضاة فدعا عليه بالخرس، فخرس حتى مات»[١٥].

أمَّا الولي **علي المليجي** فقد استطاع مرة إعادة دجاجة مذبوحة إلى الحياة. فحسب ما يرويه الشعراني أن الولي **عبدالعزيز الدريني** زار الولي علي المليجي، فذبح له دجاجة، أكلها، وقال: «لسيدي علي: لابد أن أكافئك، فاستضافه يوماً، فذبح لسيدي علي فرخة فتشوشت امرأته عليها، فلما حضرت قال لها سيدي علي: هش، فقامت الفرخة تجري، وقال: يكفينا المرق ولا تتشوشي»[١٦].

ويورد **أبو علي الحسن بن محمد الكوهن المغربي** (ت بعد ١٣٤٧هـ/ بعد ١٩٢٨م) كرامات لأولياء من منسوبي الطريقة الشاذلية منهم: **تاج الدين النخال** (ت ٨٢٤هـ/ ١٤٢١م)، الذي دخل مرة على امرأته ليخبرها أن السلطان سيكون ضيفه الليلة، فقالت له:

«يا سيدي الحال فقير، وما عندنا شيء، فقال لها: انظري تحت هذه المخدة، فنظرت فإذا هي بنهر يجري ذهباً، فقالت له: ما لنا بالذهب، فقال لها: هاتي الحلة التي عندك، وضعي فيها قليلاً من الماء والنخالة، ففعلت، فوضعها على النار، وصار يغليها حتى حضر السلطان وأتباعه، فغرف منها أربعين طبقاً، كل طبق لون، واستحسن السلطان وأتباعه لذة هذا الأكل، فسألوه عنه، فقال رضي الله عنه: إنها ماء ونخالة»[١٧].

وبلغ من أمر النخال أنه ادعى معرفته بأزقة السموات السبع أكثر من أزقة الأرضين، وأنه ما ترك بقعة فيهن إلا وله فيها ركعة، وكان يقول: «من جاء إِليَّ عامداً متعمداً لا ينوي في نهاره إلا زيارتي غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وقد سألت ربي في ذلك، فأجابني إلى ذلك»[١٨]. كما كان

يقول: «إن حصلت لك شدة وكنت في أي جهة فتوجه إلى مصر، وقل يا شيخ تاج الدين يا نخال. فإن كنتُ في المشرق، أو في المغرب آتيك بأسرع ما يمكن»[١٩]. والنخال هنا يؤدي دور الإله سبحانه وتعالى، فهو يغفر الذنوب، ويحضر لمن يستغيث به.

ويغرق مؤلف طبقات الشاذلية في الدعوة إلى التقديس عند الحديث عن الصوفي **شمس الدين الحنفي**، فيذكر أن على مسجده تجليات ونفحات، تعطره روائح المسك والكافور، وليس على المكروب إلا أن يقصد ضريحه ثلاثة أيام متوالية بعد صلاة الصبح فتُقضى حاجته في الحال[٢٠].

أمَّا **عبدالعزيز الدباغ** (ت ١١٣١هـ/١٧١٩م) «وكان... أمياً لا يقرأ ولا يكتب» فبسبب صحبته للولي أحمد بن عبدالله وكان من أهل الدائرة، ورجال الديوان: «أطلعه الله سبحانه وتعالى على أسرار القرآن، حتى حل مشكلاته، وفك طلاسم آياته ونطق بالمغيبات، وشاهد أسرار الملكوت، وجالت روحه في ميدان الجبروت، وظهرت له كرامات، ونطق بسائر اللغات، ودانت له ملوك الأرض»[٢١].

ولولي متأخر هو: **سلامة حسن الراضي** قدرات خارقة، فهو يعيد البصر للكفيف، ويحيي الميت، ويظهر حالما يستغاث به لنجدة المستغيث كما في الحكاية الآتية: «كان بعض إخوان جزيرة ميت عقبة أرمد العينين، وفيما هو جالس بمنزله يتأوه، سمع امرأة تقول: مدد يا أبا حامد، منادية شيخنا، فقال: **أمال، إحنا ما لنا؟** فما أتم الكلمة حتى انشقت الحائط، ودخل منها شيخنا، وقال له: **نعمل لكم إيه في اعتقادكم؟** ثم مسح على عينيه فبرئ لوقته»[٢٢].

وبلغ من أمر أحد الأولياء المتأخرين وهو **أحمد الطيب بن البشير**

(ت ١٢٣٩هـ/١٨٢٣م)، الادعاء بأنه أعرف برسول الله ﷺ من بعض من حضره وصَحِبَهُ، وأنه ﷺ «كان يقول له: أنت وابني إبراهيم كهاتين ويشير بسبابته الوسطى، ويقبله بين عينيه. وكان يدخل في جوف النبي ﷺ فيشرب من بحار نبوته»[٢٣]، أمَّا ولده قطب الصوفية نور الدايم فكان يكلم الموتى[٢٤].

ويترجم **أحمد الحضراوي** (ت ١٢٣٧هـ/١٩٠٦م) **لعبد الحي الدوكي المكي المجذوب**، فيذكر أنه «ولي من أولياء الله بإجماع جملة من المسلمين، له كرامات عظيمة وأحوال مع الله تعالى جميلة»، أمَّا دلائل ولاية الدوكي فأهمها أنه كان يمشي عرياناً مرة، وأخرى يكشف عن عورته للناس؛ كما فعل عندما قابل والي جدة **محمد حسيب باشا** خارجاً من المسجد الحرام بعد صلاة الفجر فكشف عن عورته «فأمر القوات أن يحبسوه. فلما بات الباشا تلك الليلة، رأى في المنام ما أزعجه، ورأى الشيخ عبدالحي بنفسه يقول له: إن لم تفكني الساعة وإلا ترى ما ترى، فأطلقه ورتب له جملة مرتبات»[٢٥]. والعجيب في الأمر أن كشف العورة على هذه الصورة القبيحة عُدَّ من كرامات الأولياء عند كثير ممن ترجم لهم من أشاعوا هذه المفاسد، مثل: الشعراني والطعمي وغيرهما.

وناقش عمر فروخ مسألة المجاذيب من مُدَّعِي الكرامات؛ فذهب إلى القول بأن روايتها «لا تدل على حالة طبيعية في الراوين على الأخص، ولا في المتظاهرين بها، إنها بلا ريب حالة مرضية ذات عوامل معينة، وليست حالة نفسية فحسب»[٢٦]. وجعلهم على ثلاثة أقسام:

أولاً: المتظاهرون بالجذب، وهم في الحقيقة ممثلون مقتدرون، كانوا يخفون في تظاهرهم هذا أهدافاً دينية في الأقل أو سياسية في الأكثر، لقد كانوا

يتظاهرون بالجذب إما لينجوا من قبضة القانون، أو ليقاوموا المماليك الشراكسة في مصر، وأكثر هؤلاء كانوا في ذلك الحين في مصر [أي في القرنين التاسع والعاشر الهجريين].

ثانياً: الذين كانت تحدث لهم أزمات نفسية عادة أو أعراض مرضية دورية، فيفقدون شيئاً من إرادتهم، وضبط أنفسهم، فإذا أُحدثت لهم هذه الأحوال أتوا بأعمال جنونية، فإذا سُرِّي عنهم عادوا أشخاصاً ذوي أحوال طبيعية وسلوك عاقل.

ثالثاً: الذين تطورت فيهم تلك الأعراض من أحوال نفسية أو مرضية دورية إلى مرض دائم لازمهم مدى الحياة، سواء أصحب جنونهم هذا هدوء واكتئاب في الأكثر، أم صحبه هياج وأذى للناس في الأقل(٢٧).

ويُجْمِلُ أسباب الجذب من الناحية الطبية في ثلاثة أدوار، أولها: الهذيان – أو الجنون على سبيل المجاز – بأن يتوهم الإنسان آراء خاطئة، ترسخ في ذهنه على أنها صحيحة، فيعمل على تنفيذها، متظاهراً بالجنون لشعوره بالنقص، ومن ثم استغلال شيء من الإرادة لتمويه هذا النقص. والدور الثاني: هو دور اللامبالاة بالأقوال والأفعال، فيصدر عنه كلامٌ خارج حدود اللياقة والمنطق والمناسبة والحاجة، أو يأتي بأفعال منافية للعرف الاجتماعي. وفي الدور الأخير: نجد فقدان الإرادة بالكلية، فينفعل المصاب حينئذ انفعالاً طبيعياً كالحيوانات فينفر أو يهيج أو يؤذي كما تفعل الحيوانات تماماً. ويعيد فروخ كل ذلك إلى أسباب مرضية بسبب الإجهاد الجسدي أو التسمم الداخلي الناتج من ترسب سموم الميكروبات المختلفة في الأعصاب؛ خاصة بعد الاعتلال بأمراض معينة كالسفلس والسل وداء الجنب(٢٨).

ويحفل كتاب «جامع كرامات الأولياء» **ليوسف بن إسماعيل النبهاني**

(ت ١٣٥٠هـ/١٩٣٢م) بخرافات عجيبة، هي، في عرف النبهاني، من الكرامات الدالة على الولاية، منها: أن **شمس الدين محمد الحفني الخلوتي** (ت ١١٩٣هـ/١٧٧٩م)، كان مع أحد أتباعه في مركب في نهر النيل قاصدين زيارة البدوي، فاجتازا الطريق بمركب قد وقفت في الرمل وتعب أصحابها في خلاصها، فقال لصاحبه ممازحاً: «عقلي يقول لي أَحْضِرْ بركتك لخلاص هذه المركب»، فقال صاحبه: «إن يكن ثم نافلة فهذا وقتها، فرفع يديه، وهو يضحك، وقال: يا بركتي احْضَرِي وخَلِّصِي المركب! فإذا بالمركب سائرة من غير معين»[٢٩].

ومن الكرامات التي أوردها **لأبي أحمد الأندلسي**، ما يرويه نقلاً عن أبي العباس الحرار أنه طلبه يوماً فجاء إليه الحرار فوقف على رأسه وبيده قدوم. يقول الحرار: «فصار يهدم فيَّ وأنا أشهد أعضائي تتفرق على الأرض حتى وصل إلى كعبي، ثم بناني عضواً عضواً من كعبي إلى دماغي»[٣٠].

أمَّا الولي علي صاحب البقرة، فيذكر النبهاني نقلاً عن البكري أنه زار مرقده، وسأل عن سبب تسميته بذلك، فقيل له: بأنه كانت له بقرة يحرث عليها فأراد أن يحلبها في بعض الأيام، فقالت له: «يا شيخ علي إما حليب، وإما حراث، فأتى بها واستنطقها عند أهل القرية، فقالت مثل المقالة الأولى، فقال لها: اذهبي فلا حليب ولا حراث، ثم سقط ميتاً، وسقطت هي أيضاً، فَدُفِنَا في محل واحد، وقبراهما مقصودان للزيارة، وقد زرناهما في غير هذه المرة مع زمرة من الإخوان، وحصل لنا الحظ التام»[٣١].

وحتى لا يلتبس الأمر على المطالع فإن البكري يؤكد أن قبر الولي وقبر بقرته صارا مقصداً للزيارة، مما يعني أن البقرة نفسها صارت من الأولياء.

وأفرد النبهاني ترجمة مطولة لشيخه **علي العمري** ضَمَّنَها كراماته،

نجتزئ منها ما يأتي :

(شيخنا الشيخ علي العمري) الشاذلي الطرابلسي، أشهر أولياء هذا العصر، وأكثرهم كرامات وخوارق عادات من جميع أصنافها. ولد في دمشق، وهو من سلالة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان والده الشيخ مصطفى العمري هو أيضاً من أكابر الأولياء أصحاب الكرامات المشهورة والمناقب المأثورة.

أمَّا كراماته رضي الله عنه، فَحَدِّثْ عن البحر ولا حرج، ما رأت عيني ولا سمعت أذني بوليٍّ من أولياء الله في هذا الزمان أو قبله بمئات من السنين أصدر الله على يده من الكرامات وخوارق العادات ما أصدره على يد شيخنا هذا الشيخ علي العمري، من جهة كثرتها، ومن جهة غرابتها، ومن جهة أنواعها، ولا أظن أن مشاهير الأولياء كالأقطاب الأربعة وغيرهم صدر على يدهم من الكرامات أكثر وأغرب مما صدر على يده رضي الله عنه.

وها أنا أذكر شيئاً من كرامات سيدي الشيخ عليّ العمري المذكور مما شاهدته بنفسي أو حدثني به من شاهده، فمنها: أني في أول اجتماعي به في اللاذقية وأنا رئيس محكمة الجزاء فيها سنة ١٣٠٢ رأيت منه إقبالاً خصني به دون سائر الجلساء من البشاشة والترحيب وتوجيه الكلام إليَّ، وصار يحدثني بأمور هي من أحوالي الخفية ونياتي المطوية التي لا يطلع عليها أحد غيري، وكنت أسمع بولايته فتحققتها بنفسي، ورأيت أن ما أجراه معي من هذه المحادثات هو من نوع الكرامات، فأحببته حباً شديداً بحيث صار يصعب عليَّ فراقه.

ومن كراماته الباهرة رضي الله عنه: ما أخبرني به رجل من اللاذقية كان يتردد إليَّ كثيراً فيها، واسمه أبو أحمد محمد البيرقدار، وقد توفي إلى

رحمة الله عن نحو الثمانين سنة، قال لي: قد توجهت مع الشيخ علي العمري حينما كان مقيماً في هذه البلدة إلى بستان فيه بركة ماء، وكنا جماعة نتنزه فيه مع الشيخ، وكنا نشاهد منه كرامات كثيرة، فمن أعجبها: أنه رمي بنفسه بملابسه في بركة ماء، فدهشنا لذلك ووقفنا ننتظر خروجه فلم يخرج، وطال الوقت فخفنا عليه الهلاك وصرنا نناديه من البركة، فأجابنا من جانب البستان، فتوجهنا إليه على الصوت، فلما رأيناه صار يضحك وقال: أنا هنا.

ومن كراماته أيضاً: ما أخبرني به محمد بك المذكور أيضاً قال: سكنت في طرابلس مدة من الزمان، وشكوت إلى الشيخ حاجتي إلى المال في بعض الأحيان، وكنت معه على شاطئ البحر، فأخذ من الماء بحفنته فإذا هو دراهم، فقال: خذ؛ فَزَهَّدَنِي الله به وامتنعت، فرماه في الماء.

ومنها: ما أخبرني به محمود آغا المذكور أيضاً قال: كنت مع الشيخ على شاطئ البحر المالح فعطشت، فلما علم مني ذلك أخذ من ماء البحر بكفيه وقال لي: اشرب، فشربت ماءً عذباً حلواً ليس فيه شائبة الملوحة.

ومن كراماته رضي الله عنه: ما أخبرني به الحاج إبراهيم المذكور، قال: دخلت في هذا النهار إلى الحمام مع شيخنا الشيخ علي العمري ومعنا خادمه محمد الدبوسي الطرابلسي، وهو أخو إحدى زوجات الشيخ، ولم يكن في الحمام غيرنا، قال: فرأيت من الشيخ كرامة من أعجب خوارق العادات وأغربها، وهي أنه أظهر الغضب على خادمه محمد هذا وأراد أن يؤدبه، فأخذ الشيخ إحليل نفسه بيديه الاثنتين من تحت إزاره فطال طولاً عجيباً بحيث أنه رفعه على كتفه وهو زائد عنه، وصار يجلد به خادمه

المذكور والخادم يصرخ من شدة الألم، فعل ذلك مرات ثم تركه، وعاد إحليله إلى ما كان عليه أولاً. ففهمت أن الخادم قد عمل عملاً يستحق التأديب فأدَّبه الشيخ بهذه الصورة العجيبة. ولما حكى لي ذلك الحاج إبراهيم حكاه بحضور الشيخ وكان الشيخ واقفاً، فقال لي الشيخ: لا تصدقه وانظر، ثم أخذ بيدي بالجبر عني ووضعها على موضع إحليله فلم أحس بشيء مطلقاً، حتى كأنه ليس برجل بالكلية.

ومنها: أني رأيته مراراً كثيرة يتناول أركيلة التنباك أو سيكارة التتن فيشرب منها قليلاً، ثم يعطيها إلى صاحبها فيرى رائحتها كالمسك، وهذا صار منه في الكثرة كأنه من الأمور العادية بحيث أنه لا يُظَنُّ أنه كرامة.

ومن كراماته: ما أخبرني به بعض الثقات من أهل طرابلس - وأظنه الحاج محمد الدبوسي - قال المخبر: كان في طرابلس رجل من الشباب قليل الحياء معجباً بإحليله فكان يمازح الشيخ مزاحاً بارداً، فإذا رآه يضع ذلك الشاب يده على إحليل نفسه ويقول له: هل عندك مثل هذا؟ فكان الشيخ يضحك من ذلك، فلما تكرّر هذا الأمر مرة بعد أخرى من ذلك الشاب لقيه مرة فقال له مثل ما يقول، فضربه الشيخ عليه بيده وقال له: اذهب، فذهب كأنه امرأة لم يتحرك له شيء. فحزن ذلك الرجل حزناً شديداً من هذا الأمر، وأرسل زوجته بهدية للشيخ من سُكَّرٍ وغيره، فأخذتها وتوجهت إلى دار الشيخ فقبلها منها، وشرط عليه أن يتأدب ويستحي بعد الآن، فقبلت امرأته ذلك الشرط، فقال لها: اذهبي فقد حصل المقصود، فذهبت وزال ذلك العارض عن زوجها ولم يتعرّض إلى الشيخ بعد ذلك.

ومن كراماته الباهرة رضي الله عنه: أنه كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ولم

يتعلم قط القراءة والكتابة، ومع ذلك فكان عند الاحتياج يكتب ما شاء في اللغة العربية وغيرها، وقد رأيت بخطه بيتين من الشعر الفارسي في حائط بيت الحاج إبراهيم الطيارة.

ومن كراماته رضي الله عنه: أنه كان يأخذ العود من الأرض أو يأتي به شخص له فيضعه في فمه ويخرجه ويكتب به ما شاء بالحبر الأسود أو الأحمر أو غير ذلك من الألوان. أما أنا فقد شاهدته مراراً كثيرة يكتب بريقه الحبر الأسود بالعود. وسمعت ممن رآه يكتب بالألوان الأخرى وفي ريقه ونفسه سرّ عظيم، فإنه يكحل به كحلاً حاداً خفيفاً أو ثقيلاً بحيث أن درجة الألم فيه لمن يكحله تكون بقدر ما يريد شدة أو خفة، ويعطر به بأنواع العطر بالرائحة التي يريدها وأنواع الطعوم المرارة أو غيرها. ومن أعجب أسرار ريقه أنه حينما يريد أن يخرج من العصا حربة يمسحها بريقه، ويفعل بها ما يريد[٣٢].

إن معجزات العمري التي أثبتها النبهاني في كتابه «جامع كرامات الأولياء»، والكرامات الأخرى التي وردت في كتب طبقات الأولياء لا تختلف كثيراً عن ألاعيب المشتغلين بتحضير الأرواح والعلاج الروحي، كما نجد ذلك في مجلة (عالم الأرواح، مجلة العلم الروحي الحديث)، التي أصدرها **أحمد فهمي أبو الخير** سنة ١٩٤٧م في مصر.

ومما ورد فيها تحت عنوان «موتى يعزفون على البيانو ويرقصون»، أن هيلين ملر كريمة الدكتور هـ. ف. ملر الطبيب الجراح ببلدة أُودِسَّا الأمريكية في ولاية تكساس تجسدت مراراً. ففي المرة الأولى خرجت من الخباء الذي يقام عادة في أحد أركان الحجرة لتجلس فيه الوسيطة، وتقدمت هيلين الروح المتجسدة إلى أبيها باسطة ذراعيها، وهي تقول: أبي

أنا هيلين، وهأنذا ظهرت لك أخيراً، ويتطور الأمر في جلسة أخرى عندما يدور حوار بين الأب وروح ابنته فيسألها: إذا جئت لك ببيانو ووضعته في حجرة مسز هاوود فهل تستطعين العزف عليه؟ فتجيبه أنها ستحاول، وفي اليوم التالي يحضر لها بيانو، وبعد مجهود استطاعت أن تعزف لحنين، وفي جلسات أخرى يتعدى الأمر إلى رقص على أنغام الألحان.

ويسرد **حليم دموس** في حلقات نشرت على صفحات عالم الأرواح معجزات الدكتور داهش الوسيط الروحي المشهور؛ فالمعجزة المئة والسادسة عشرة تتحدث عن مسبحة أعطاها صاحبها لأحد أقاربه في كربلاء، فطلب من داهش أن يحضرها له في بيروت، فرد عليه داهش، إنها قد أصبحت في جيبه الآن، وأن عليه أن يمد يده ليخرجها، فأدخل الرجل يده إلى جيبه فوجد المسبحة التي أراد استحضارها(٣٣).

ومعجزات داهش المزعومة كثيرة لا تختلف عن معجزات الأولياء وأصحاب الكرامات السابقين، وهي - في مجملها - ألعاب سحرية لا علاقة لها بدين أو عقيدة. وقد ناقش مسألة تحضير الأرواح والمعجزات التي تُنسب إلى ممارسيها فؤاد صَرُّوف قائلاً:

دُعِينا في الشتاء الماضي لمشاهدة بعض أعمال الأوروبيين الذين يَدَّعُون استحضار الأرواح ومناجاتها، والذي دعانا قص علينا من أفعالهم ما يفوق التصديق، ولو صدق واحد منها لثبت أن الأرواح تُسْتَحْضَرُ حقيقةً وتفعل ما يُنسب إليها من الأفعال. فلم يصدق كاتب هذه السطور أقواله لكثرة ما شاهد من أفعال هؤلاء الدجالين، ولكن أحد العلماء الفضلاء، وهو من أوسع سكان هذا القطر علماً وأدقهم بحثاً، أراد أن يمتحن ذلك بنفسه فزار أولئك الأوروبيين ذات ليلة، ورأى أعمالهم وعاد مقتنعاً أن روح أخيه أتته

من عالم الغيب وكلمته بأمور لا يعرفها سواه، وأنهم عملوا أعمالاً لا تُفَسَّرُ إلا بأن الأرواح حضرت وعملتها، وَلَجَّ علينا حتى نذهب معه لمشاهدة تلك الأعمال في ليلة أخرى، فذهبنا، وإذا كل الأعمال خداع وتدجيل وشعوذة، وكل ما فيها مما يعسر تفسيره إلا أن بعض الناس يذهلون عن أنفسهم أحياناً فيرون ويسمعون ما لا حقيقة له، ولكن إذا نبههم مُنَبِّهٌ إلى بعض ما في تلك الأعمال من خداع انتبهوا لها كلها وبطل ذهولهم. وهذا عين ما حدث تلك الليلة، فإن ذلك العالم خرج مقتنعاً أن الأعمال التي شاهدها في الليلتين من قبيل الخداع، وما أصابه أصاب كثيرين من أكبر علماء الأرض(٣٤).

وما أشار إليه صَرُّوف من خداع وتدجيل وشعوذة يمارسها محضرو الأرواح، تنطبق على ما نجده في أفعال الفرغل، والعمري، وغيرهما ممن صُنِّفُوا ضمن الأولياء وأصحاب الكرامات، وانطلت حيلهم على من شاهدهم من أفراد كانت لديهم قابلية تصديق الخرافة والإيمان بها، والاعتقاد أنها تدل على منزلة رفيعة للمخادع والمحتال عند الله – تعالى الله سبحانه عن ذلك علواً كبيراً –.

ولاشك أن نماذج الهراء السابقه؛ مما جمعه اليافعي والشعراني والمناوي والكوهن والطعمي والنبهاني؛ توضح ما انتهى إليه القوم من إسفاف ومجون لا نظير لهما، فقصصهم – في مجملها كما أشرنا – شعوذات وخدع، كما أن من بينها حكايات متوارثة عند شعوب الأرض، نجدها عند الوثنيين الأفارقة، وعند متحضري الفرس واليونان. ولا يخلو التراث الشعبي العربي المحلي في كل دولة عربية من قصص تقترب من القصص التي أوردها أولئك على أنها شواهد على الاستصفاء الإلهي للشخص المنسوبة إليه،

وعلى القدرات الخارقة التي يتمتع بها، وتؤهله ليصبح وليّاً له ضريح، وللضريح سادنٌ يتلقى النذور والهدايا من الفقراء والمساكين، وبالدرجة الأولى من منافقي الأثرياء.

وقد نرى في بعض خرافات إيسوب الوثنية اليونانية ما يربط بينها وبين خرافات كتب الكرامات والأولياء، وإن كانت خرافات إيسوب ذات قصد أخلاقي، فكل قصة فيها تعبر عن هدف وتقدم موعظة؛ ففي خرافة الجمل العربي أن جَمَّالاً عربياً فرغ من تحميل جمله ثم سأله: «أي الأمرين تفضل: أن تصعد في التل، أو تنحدر منه؟ فأجابه الجمل المسكين: لماذا أصعد أو أنحدر؟ هل سُدَّ طريق الصحراء المستوية؟»(٣٥)، وتذكرنا هذه الخرافة بكرامة الولي حسن صاحب البقرة حيث خيرته بقرته بين الحليب أو الحراث. وفي خرافة الرجل والأسد أن رجلاً وأسداً:

كانا يسيران معاً في أجمة، فأخذا يتجادلان أيهما يفوق الآخر في القوة والإقدام، وإنهما لكذلك إذ مَرَّا على تمثال منحوت في الصخر، يصور رجلاً يخنق أسداً، فأشار الرجل إلى التمثال وقال للأسد: أرأيت إلى شدة بأسنا، وكيف أن الإنسان يتغلب حتى على ملك الوحوش؟ فأجابه الأسد: إنما صَنَع هذا التمثال واحدٌ من بني الإنسان، ولو كنا نحن الأسود ننحت التماثيل لرأيت الرجل تحت كف الأسد(٣٦).

وتذكرنا الخرافة الأخيرة بقصة شعيب المغربي مع الأسد الذي أكل نصف الحمار. وفي كتب الأساطير والخرافات الأخرى الكثير من القصص التي لا تختلف عما يرد في تراجم المتصوفة والأولياء، وما يُنسب إليهم من خوارق يصر كتابها على أنها جزء من المعتقد الديني، والويل كل الويل لمن لا يصدقها.

ويغلو **محمد صادق قادري** في أمر عبدالقادر الكيلاني (أو الجيلاني) ويتجاوز كل الحدود لإعلاء شأنه، والحث على تقديسه؛ فيروي حكاية تنم على معارضته للأمر الإلهي وتعنته في رفضه متحدياً، حتى تراجع الله – سبحانه وتعالى عمَّا يأفكون – عما أمر به. يقول القادري :

ذكروا أنه كان رجل من مريديه يعتقد في حضرة الغوث الأعظم اعتقاداً جازماً، وصار فانياً في محبته، فلما توفي ودفنوه، جاء الملكان للسؤال فسألاه ما ربك، وما نبيك، وما دينك؟ فقال لهما : ما أعرف شيئاً إلا شيخي عبدالقادر، فتحير الملكان، فقالا : يا رب أنت أعلم أن عبدك فلاناً يقول كذا، فأمرهما بعذابه، فأرادا أن يعذباه، فظهر حضرة الغوث وقال لهما : إنه لا يعرف الله ورسوله ودينه لجهله أمر دينه فإنه يعرفني واقتدى بي، وأنا أعرف كل ما سألتماه عنه، فلأجلي لا تعذباه : فسألا الله تعالى، وقالا : يا رب أنت أعلم أن محبوبك ومجذوبك الغوث الأعظم السلطان محيي الدين عبدالقادر يقول كذا وكذا، فأمرهما الله بتعذيبه، فأرادا أن يعذباه، فأخذ الغوث مطرقتهما من أيديهما، وقال لهما : لا تقربا إليه فإن كثرة العشق في باطني لا تقاس بشيء؛ وإلا أحرق الجنة والنار بأن لا تكون راحة في الجنة ولا عذاب في النار، فجاءهما النداء من الله تعالى عفوت عنه، لا تعذباه[٣٧].

والعجيب أن يحاول مريدو عبدالقادر الجيلاني رفع شأنه بمثل هذه التجاوزات التي تخرجه كلية من دائرة الدين، فصورته هنا صورة وثني يعبد إلهاً يمكن للإنسان مجادلته والرد عليه؛ بل تهديده بإنهاء الجنة والنار والقضاء عليهما، مع أن الجيلاني (أو الكيلاني)، من الممكن ألاّ تكون له علاقة بهذه الحكايات التي اخترعها غلاة ابتعدوا عن روح الإسلام النقي.

ومن قصص القادري التي لا تخلو من طرافة، ويقترب فيها من قصص الخيال العلمي، ما ذكره من أن أحد خدم الكيلاني توفي فذهبت زوجته إليه:

فتضرعت والتجأت إليه، وطلبت حياة زوجها، فتوجه الغوث إلى المراقبة، فرأى في عالم الباطن أن ملك الموت عليه السلام يصعد إلى السماء ومعه الأرواح المقبوضة في ذلك اليوم، فقال: يا ملك الموت قف، وأعطني روح خادمي فلان، وسماه باسمه. فقال ملك الموت: أنا أقبض الأرواح بأمر إلهي، وأوديها إلى باب عظمته، كيف يمكنني أن أعطيك روح الذي قبضته بأمر ربي؟ فكرر الغوث عليه إعطاء روح خادمه فامتنع عن إعطائه، وفي يده ظرف مطوي كهيئة الزنبيل فيه الأرواح المقبوضة في ذلك اليوم، فبقوة المحبوبية جرَّ الزنبيل وأخذه من يده، فتفرقت الأرواح ورجعت إلى أبدانها(٣٨).

أما لو أن القادري قدم لنا النص السابق على أنه حكاية خيالية لغبطناه على سعة خياله، وإن كان سيؤاخذ على ابتعاده عن روح الإسلام، ولكنه يقدمه بوصفه حقيقة؛ فالكيلاني لديه قدرات مصدرها (قوة المحبوبية) مكنته من تحدي الله مرة أخرى، بل التفوق عليه - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً -.

إن الاستمرار في نشر كتب طبقات الصوفية والأولياء، والعمل على إشاعتها بين البسطاء من الناس، من أشد النكبات على الثقافة العربية الإسلامية، وهي عقبة في وجه مسيرة العمل البناء، وتخليص العقل العربي من بشاعة الخرافة؛ فالهراء المفجع الذي تمتلئ به يرسخ عقائد التصوف المبنية على الخبل والهوس؛ ويسوغ مناهجهم في العبادة، كما ينقل عبدالمنعم

الجداوي عن محمد جميل غازي، الذي يضرب مثلاً على ذلك بكتاب الطبقات الكبرى للشعراني، الذي عرض فيه لأولياء الصوفية وكراماتهم في حين أنه لا يضم سوى

الخرافة، والشذوذ الجنسي، والقذارة. ثم يدعونا [أي غازي] إلى جولة في هذا الكتاب لنرى الشعراني يصف أحد أوليائه، فيقول: وكان رضي الله عنه يلبس الشاش المخطط كعمامة النصارى، وكان دكانه منتناً قذراً، لأن كل كلب وجده ميتاً، أو خروفاً يأتي به، فيضعه داخل الدكان، فكان لا يستطيع أحد أن يجلس عنده. ثم يعقب فضيلته: بأن الشعراني لا يكتفي بهذا من كرامات سيده الشيخ فيضيف... أنه توجه إلى المسجد فوجد في الطريق مسقاة كلاب فتطهر فيها، ثم وقع في مَشَخَّةِ حمير. ثم يواصل قراءة ما جاء بكتاب الطبقات عما يقوله الشعراني عن أبي خوذه... وكان رضي الله عنه إذا رأى امرأة أو أمرد... راوده عن نفسه وحسس على مقعدته، سواء كان ابن أمير أو ابن وزير، ولو كان بحضرة والده أو غيره، ولا يلتفت إلى الناس. ويقرأ عما يتحدث به الشعراني عن سيده (على وحيش) فيقول: وكان إذ رأى شيخ بلد أو غيره ينزله عن الحمارة، ويقول له: أمسك رأسها حتى أفعل فيها، فإن أبى شيخ البلد تسمر في الأرض لا يستطيع أن يمشي خطوة. ويعقب فضيلته على ذلك بقوله: هذه بعض كرامات الصوفية المخففة التي تسمح الآداب العامة بذكرها دون أن نتعرض لنماذج أخرى فاضحة امتلأ بها كتاب الطبقات الكبرى للشعراني، وهو كتاب أطالب بإعدامه لما اشتمل عليه من خزي وتشويه للعقيدة(٣٩).

وإضافة إلى تقديس الأولياء والانصياع لمشايخ الطرق الصوفية الفاسدة،

شاعت ممارسات مخالفة لروح الإسلام تَنَبَّه لمخاطرها مصلحون أمناء منهم: **برهان الدين البقاعي**، الذي ألف رسالة في إنكار الذكر الجماعي الذي كان يُعمل به في المساجد، عَنْوَنَها بـ «إنارة الفكر بما هو الحق في كيفية الذكر»، يذكر في مقدمتها ما نصه:

فإني لما رجعت من مصر بعد طول الغيبة إلى دمشق، راجياً حُسن الأوبة بقلة المناكر، وكثرة الناصر، على الظالم الجائر، والجاهل الحائر، وجدتها قد تغير أهلها، وتبدلت صورتها وشكلها، فلا الخيام الخيام، ولا الأنام الأنام، دخل فيهم والله الدخيل، وكثر القال والقيل بكثير من الأباطيل وانتشر بغير دليل.

فوجدت في جامعها الأعظم قوماً يتحلَّقون ويهللون بصوت واحد، من بعد صلاة الجمعة إلى العصر، ذكراً يخرجونه عن وجهه إلى حيز المعصية بالأصوات المزعجة، والزعقات المرجفة المدججة، والقيام المصاحب بالوثب الفاحش، والدق بالأرجل على هيئة مهولة منكرة، وكيفية جداً غير مقبولة بحيث يزعج دكهم ووثبهم، ودقهم، وهم في الجامع من شرقيه، من بطرفه الآخر من غربيه، فلا يدعون مصلياً يعرف كيف يصلي، ولا ذاكراً يعي ما يذكر، ولا مدرساً يفهم ما يدرس، ولا تالياً يحفظ ما يتلو.

أخبرني أحد علماء البلدة أنه أراد وهو في أقصى الجانب الغربي من الجامع أن يقرأ سورة الكهف، فلم يقدر، قال: فسددت أذني بأصبعي فما أفاد ذلك، وما قدرت على القراءة، فقلت لبعض الوجهاء من قضاتهم فأرسل إليهم ليتركوا ذلك فما تركوه، فكررنا الإرسال فلم يُفد فطلبنا رأسهم، وهو شيخ لم يفده قدم السن إلا جهلاً، وقصوراً عن أن يكون لشيء من الخير أهلاً، فأراد جبر ما فاته من التقدم بالوجاهة بالرياء والتعظيم؛ فقلت

له: إمـا أن تقـرأ القـرآن، وإمـا أن تسكت؟ فلم يجب، وشـرع يجـادل بالباطل(٤٠).

ولا زالت مثل هذه الممارسات البغيضة تُمارَس في مساجد كثيرة في بلدان عربية وإسلامية دون أن يكون هناك ردع لممارسيها؛ فالمسجد وجد ليكون مكاناً لأداء الصلوات وللعبـادة في هدوء وسكينة، وليس لأداء رقصات جماعية.

وعَمَّقَ أفراد مفاهيم مخالفة للعقيدة مناهضة للتوحيد، وأسسوا لأفكار دخيلة مبنية على الخيال هدفها إغراق العقل في سفسطات تدور في محور التأسيس للفكر الاسترخائي عمدته لغة مبهمة. ورأس أولئك **محيي الدين أبو عبدالله محمد بن علي المعروف بابن عربي الحاتمي** (ت ٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م) في كتابه (**الفتوحات المكية**) الذي يمكن أن يُعَدَّ عملاً إبداعياً شائقاً، ولكن لا صلة له بحقائق الدين الإسلامي. ولقد توسع ابن عربي في تقديم قصص وحكايات وأساطير جعلها حقائق تعبر عن المكاشفة والتجليات.

من نماذجها: ما يرويه أنه خرج إلى السياحة بساحل البحر المحيط ومعه رجل ينكر خرق العوائد للصالحين، فدخل مسجداً خراباً ليصلي فيه هو وصاحبه صلاة الظهر:

فإذا بجماعة من السائحين المنقطعين، دخلوا علينا يريدون ما نريده من الصلاة في ذلك المسجد، وفيهم ذلك الرجل الذي كلمني على البحر الذي قيل لي إنه الخضر، وفيهم رجل كبير القدر، أكبر منه منزلة، وكان بيني وبين ذلك الرجل اجتماع، قبل ذلك، ومودة، فقمت فسلَّمتُ عليه، فسلَّمَ علي وخرج بي، وتقدم بنا يصلي، فلما فرغنا من الصلاة خرج الإمام وخرجت خلفه، وهو يريد باب المسجد، وكان الباب في الجانب الغربي،

يشرف على البحر المحيط، بموضع يسمى (بكة).

فقمت أتحدث معه على باب المسجد، وإذا بذلك الرجل الذي قلت إنه الخضر، قد أخذ حصيراً كان في محراب المسجد فبسطه في الهواء على قدر سبعة أذرع من الأرض، ووقف على الحصير، في الهواء، يتنفل، فقلت لصاحبي: «أما تنظر إلى هذا وما فعل؟»، فقال لي: «سر إليه وَسَلْه!» فتركت صاحبي واقفاً وجئت إليه، فلما فرغ من صلاته سلمت عليه وأنشدته لنفسي:

شغل المحب عن الهواء بِسِرِّهِ
في حب من خلق الهواء وسَخَّرَهْ
العارفون عقولهم معقولة
عن كل كون ترتضيه مُطَهَّرَهْ
فهم لديه مكرمون وفي الورى
أحوالهم مجهولة ومُسَتَّرَهْ

فقال لي: «يا فلان؟ ما فعلتُ ما رأيتَ إلا في حق هذا المُنْكِرِ، وأشار إلى صاحبي الذي كان ينكر خرق العوائد، وهو قاعد في صحن المسجد ينظر إليه ليعلم أن الله يفعل ما يشاء مع من يشاء»، فرددت وجهي إلى المُنْكِرِ، وقلت له: «ماذا تقول»، فقال: ما بعد العين ما يقال!». ثم رجعت إلى صاحبي وهو ينتظرني بباب المسجد، فتحدثت معه ساعة، ثم قلت له: «من هذا الرجل الذي صلى في الهواء؟» وما ذكرت له ما اتفق لي معه قبل ذلك، فقال لي: «هذا الخضر» فسكت. وانصرفت الجماعة... فهذا ما جرى لنا مع هذا الوتد؛ نفعنا الله برؤيته!... وله من العلم اللدني ومن الرحمة بالعالم، ما يليق بمن هو على رتبته، وقد أثنى الله عليه»[41].

ولا نجد فرقاً كبيراً بين الكرامة التي ذكرها ابن عربي، وتمثل خرقاً للعوائد من الصالحين، وبين ما وقع للأب نيكانور رينا الواعظ في بلدة ماكوندو. فهذا الأب الذي ساءه ما شهد في ماكوندو من انصراف عن الدين أراد أن يبني كنيسة كبيرة تشتمل «على تماثيل للقديسين بالحجم الطبيعي، وأن تكون لها نوافذ مزدانة بالزجاج الملون في كل جانب، كي يجيء إليها الناس من روما، يقدسون الله في أرض الفسق والضلال»[٤٢]، فسعى حثيثاً لجمع الأموال، لكنه أخفق، مما دفعه إلى دعوة الناس إلى الاجتماع في ساحة البلدة فاجتمع نصفهم فأخذ يعظهم إلا أنهم بدأوا يتفرقون فصاح قائلاً:

انتبهوا لحظة واحدة، فسوف نشهد الآن دليلاً قاطعاً على قدرة الله اللانهائية..

وجلب له الصبي الذي يساعده في مراسيم الصلاة فنجاناً من الشوكولاتة كثير القشطة يتصاعد منه البخار، فجرعه دفعة واحدة دون توقف للتنفس، ثم مسح شفتيه بمنديل أخرجه من كمه، ثم مد ذراعيه إلى الأمام وأغمض عينيه، وعندها ارتفع الأب نيكانور ست بوصات عن مستوى الأرض، وكان الإجراء مقنعاً. وبعدها راح يتابع على مدى أيام سعيه من بيت إلى بيت، ويكرر تجربة الارتفاع بوساطة الشوكولاتة بينما يجمع بمساعدة الصبي المال الكثير في كيس اتخذه لهذه الغاية حتى استطاع، في أقل من شهر، أن يبدأ في بناء الكنيسة. ولم يشك أحد في القدرة السماوية الكامنة وراء تلك التجربة باستثناء خوزيه أركاديو بوينديا، فقد جعل يتأمل، دون كثير اهتمام، جماعة من الناس الذين احتشدوا في صباح أحد الأيام حول شجرة الكستناء كي يرقبوا مشهد التجلي مرة أخرى. لم يتحرك هو من مكانه، ولكنه اعتدل في جلسته على المقعد الخشبي الصغير ثم هز كتفيه حين بدأ

الأب نيكانور يرتفع فوق الأرض مع الكرسي الذي كان يجلس عليه...(٤٣).

إن النصين السابقين - وأولهما لابن عربي، والآخر لماركيز - ينصبان على مسألة واحدة هي إقناع الآخر الرافض للقدرات الخارقة بالمشاهدة العينية لأمر خارق من إنسان مقدس، هو عند الأول: الوتد، وعند الأخر: الأب القسيس الواعظ.

والنماذج والأمثلة كثيرة جداً، فالخوارق الخيالية عند كُتَّاب القصة والرواية - وهي جزء من بنية العمل - لا تختلف عادة عما نقرأه في كتب التصوف وطبقات الأولياء وأصحاب الكرامات؛ مما يعني أن الخيال هو الفاعل عند الطرفين. والاختلاف الجذري أن ما تقرأه في الرواية والقصة تدرك سلفاً أنه خيال محض، في حين هناك من يؤمن بأن المدون في كتب التصوف وطبقات الأولياء هي حقائق لها ارتباط بالدين؛ فالدمدمكي يعيش قروناً على وجه الأرض، وهو ميت يتمايل، ولا يقدر إنسان في سطوة تمرلنك، الذي دحر الجيوش وأسر الملوك، أن ينقله من مكانه ليدفنه، والفرغل يخرج الفتاة التي ابتلعها التمساح في قصة تفوق الخيال، والوتد يصلي على حصير يبسطه في الهواء على قدر سبعة أذرع.

وينقلنا ابن عربي، في مكان آخر من الفتوحات، إلى عالم خيالي عندما يتحدث عن أناس من أصحاب عيسى ويونس عاشوا إلى زمانه هو، فيقول:

وفي زماننا اليوم جماعة من أصحاب عيسى - عليه السلام - ويونس - عليه السلام - يحيون، وهم منقطعون عن الناس، فأما القوم الذين (هم) من قوم يونس، فرأيت أثره بالساحل، كان قد سبقني بقليل، فَشَبَرْتُ قدمه في الأرض، فوجدت طول قدمه ثلاثة أشبار ونصف وربع بشبري،

وأخبرني صاحبي أبو عبدالله بن خزر الطنجي أنه اجتمع به(٤٤).

وأمَّا صاحب عيسى فيورد عنه حديثاً ينسبه إلى مالك بن أنس عن ابن عمر أيام فتح القادسية؛ ملخصه أن نضلة بن معاوية الأنصاري قام يؤذن، وأن مجيباً من الجبل كان يعقب عليه، فلما فرغ من الأذان سأل القومُ ذلك المعقبَ الخفيَّ:

من أنت يرحمك الله، أَمَلَكٌ أنت أم ساكن من الجن أم من عباد الله؟ أَسْمَعْتَنا صوتك، فَأَرِنَا شخصك، فإنَّا وفد الله، ووفد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ووفد عمر بن الخطاب. قال: فانفلق الجبل عن هالة كالرحى، أبيض الرأس واللحية، عليه طِمران من صوف، فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فقلنا وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، من أنت يرحمك الله، فقال: أنا زريب بن برثملا، وصي العبد الصالح عيسى ابن مريم عليهما السلام، أسكنني هذا الجبل ودعا لي بطول البقاء إلى نزوله من السماء فيقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويتبرأ مما نحلته النصارى. ما فعل النبي صلى الله عليه وسلم، قلنا: قُبِضَ، فبكى بكاءً طويلاً حتى خضب لحيته بالدموع، ثم قال: فمن قام فيكم بعده؟ قلنا: أبو بكر - قال: ما فعل؟ قلنا: قُبض، قال: فمن قام فيكم بعده؟ قلنا: عمر. قال: إذا فاتني لقاء محمد صلى الله عليه وسلم فأقرئوا عمر مني السلام... ثم غاب عنا، فكتب بذلك نضلة إلى سعد، وكتب سعد إلى عمر، فكتب عمر: إئت أنت ومن معك من المهاجرين والأنصار حتى تنزل هذا الجبل فإن لقيته فأقرئه مني السلام، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: إن بعض أوصياء عيسى ابن مريم عليه السلام نزل بذلك الجبل ناحية العراق. فنزل سعد في أربعة آلاف من المهاجرين والأنصار، حتى نزل الجبل أربعين يوماً

ينادي بالأذان في وقت كل صلاة فلم يجده(٤٥).

ويعقب ابن عربي على هذا الحديث الخرافي فيقول: «قلنا: هذا الحديث وإن تُكلِّمَ في طريقه، فهو صحيح عند أمثالنا كشفاً»(٤٦).

وبمثل هذه الترهات والخيالات والشطحات يمضي ابن عربي في الفتوحات خالطاً بين الحقائق والأوهام. والعجب أن يحظى كتابه بالتقدير؛ ليس لأنه عمل خيالي إبداعي لا صلة له بالدين، بل بوصفه عملاً دينياً فيه روح الكشف عن الغيب، وشرحٌ لتعاليم الإسلام، وتهذيب وتربية أخلاقية. ولا ندري كيف يكون كذلك وقد احتوى على أحاديث مكذوبة باطلة، ورموز مخالفة لكل ما هو متداول في التفاسير المباشرة لآيات القرآن الكريم؛ إضافة إلى اسقاطات نفسية، تعبر عن دواخله ونزواته المكبوتة، أشار إلى بعضها زكي مبارك (ت ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م) قائلاً:

كانت الشهوات الحسية تطارد ابن عربي أينما توجه، وكانت تطالعه في صور موشاة بالتهاويل، فكان يلتمس المخرج بالتعلق بأذيال التفاسير والتأويل؛ لأنه كان انغمر في عالم المجد، وكان يحب أن تكون جميع النوازع تفسيراً لما ينظره في أودية المعقول.

وإليكم هذه الرؤيا، فهي وحدها شاهد على أنه يتناول المعاني بطرائق حسية، ويواجه الدنيا بعين متشوفة إلى الصور والأشكال، إليكم هذه الرؤيا ففيها المقنع لمن يزعم أنه في مقدور المتصوف أن يخلص كل الخلاص من عالم الحس، إليكم هذه الرؤيا التي غمرت ابن عربي في تيار الشهوات من حيث لا يريد، إليكم هذه الرؤيا لتعرفوا كيف كان رجل اقتحام، وكيف كانت غرائزه المقهورة تصور له العوالم القوية بصورة الخضوع المؤنث.

حدث عن نفسه، قال:

«رأيت ليلة أني نكحت نجوم السماء كلها، فما بقي منها نجم إلا نكحته بلذة عظيمة روحانية، ثم لما أكملت نكاح النجوم، أُعطيت الحروف فنكحتها، وعرضت رؤياي هذه على من عرضها على رجل عارف بالرؤيا، بصير بها، وقلت للذي عرضتها عليه لا تذكرني، فلما ذكر له الرؤيا استعظمها، وقال: هذا هو البحر العميق الذي لا يدرك قعره، صاحب هذه الرؤيا يُفتح له من العلوم العلوية وعلوم الأسرار، وخواص الكواكب ما لا يكون فيه أحد من أهل زمانه. ثم سكت ساعة، وقال: إن صاحب هذه الرؤيا في هذه المدينة، فهو ذلك الشاب الأندلسي الذي وصل إليها».

وأين هذه الرؤيا البهلوانية من رؤية يوسف إذ قال لأبيه: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾.

إن الفرق بين هذين الخيالين كالفرق بين هذين الروحين، سواء بسواء، وما كذب يوسف، وإنما استطال محيي الدين(٤٧).

وقد واجه بعض المعجبين به والمحبين له، ممن أرادوا أن يتوسطوا في أمره، أمراً جللاً لا يمكن تجاوزه، وهو ما حفل به كتابه «**الفتوحات المكية**» من خروج على الدين، فوقعوا في حيرة: كيف يصنفونه وهو الولي والمقدس؟ فإذا كان المنكرون عليه كَفَّرُوه وفَسَّقُوه، والمحبون له قَدَّسُوه وجعلوه وليّاً من أولياء الله، فقد وجد أولئك الذين بحثوا عن طريقة وسطية في التعامل معه، الحل في الاعتراف بولايته مع تحريم قراءة كتبه، وبخاصة (**الفتوحات والفصوص**)، لما فيهما من خروج على الدين، مع طرح تبريرات منها أن هناك من دَسَّ عليه، ولاسيما اليهود، وأنها صعبة على فهم العموم.

ولعل من المفيد أن نورد فيما يأتي فتوى **لأحمد بن زيني دحلان** (ت ١٣٠٤هـ/١٨٨٦م) في هذه المسألة، نصها ما يأتي:

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والسالكين نهجهم بعده. اللهم أسألك هداية للصواب. قد ورد السؤال من حضرتكم عن سيدي الشيخ محيي الدين بن عربي رضي الله عنه. فلا يخفاكم أن العلماء في حياته وبعد وفاته، رضي الله عنه، اختلفوا فيه اختلافاً كثيراً، فمنهم من يشهد بصلاحه وولايته، ومنهم من يشهد بخلاف ذلك، ومنهم من يمسك عن الكلام في شأنه ويفوض أمره إلى الله تعالى. والذي حققه العلامة الشيخ أحمد بن حجر الهيتمي المكي محرر مذهب الشافعي في ذلك أنه قال في فتاواه الحديثية: أنه يشهد بصلاحه ويعتقد ولايته، ويقول بتحريم مطالعة بعض كتبه المشتملة على ما يعسر فهم بعض من عباراتها. قال: وتلك المقالات يحتمل أن بعضها صدرت في حال غيبة واصطلام، وبعضها مدسوس على الشيخ، وبعضها مبني على اصطلاح دقيق لا يعرفه إلا من تمكن في المنقول والمعقول وتضلع من علوم الشريعة والحقيقة. قال: وقد رأينا أناساً أدمنوا مطالعتها فتزلزلت قواعد الإسلام في قلوبهم وخلعوا ربقة الإيمان؛ فتحرم مطالعة الكتب المذكورة مع اعتقاد ولاية الشيخ رضي الله عنه أ هـ. وذكر العلامة السيد محمد الشلي في كتابه المسمى بالمشروع الروي في مناقب السادة آل با علوي أن الناس اختلفوا في الشيخ محيي الدين بن عربي وطال اختلافهم وكثرت أقاويلهم وتصانيفهم؛ فمنهم من بالغ في النكير عليه وجعله زنديقاً، ومنهم من بالغ في الثناء عليه وجعله صدِّيقاً. قال الجلال السيوطي: والقول الفصل عندي في ابن عربي طريقة لا يرضاها فرقتا أهل العصر؛ لا من يعتقده ولا من

يحط عليه؛ وهي اعتقاد ولايته وتحريم النظر في كتبه. ثم قال السيد الشلي في كتابه المذكور: وسبق السيوطي إلى ذلك العارف بالله تعالى القطب سيدي عبدالله العيدروس با علوي، فإنه كان ينهى أصحابه عن مطالعة الفتوحات والفصوص، ويأمرهم بحسن الظن في الشيخ محيي الدين واعتقاد أنه من أكابر الأولياء العارفين، وما ذاك إلا لِعُلُوِّها عن فهم العموم، وغموض معانيها عن كثير من الفهوم؛ بخلاف كتب حجة الإسلام الغزالي فإنها يصل إلى فهم معانيها عموم الأفهام، ويشترك في الوصول إلى العلم بها الخاص والعام. ثم ذكر عن كثير من المشايخ أنهم أفتوا بمثل ما قاله العيدروس، وأنه في كتب السادة الحنفية مثل ما تقدم. فمن ذلك ما في الدر المختار وحواشيه للشيخ ابن عابدين في باب المرتد فإنه ذكر المنع من مطالعة الكتب المذكورة، وقال إنه برز الأمر السلطاني بذلك، ونقل عن معروضات شيخ الإسلام المولى أبي السعود العمادي ما يتعلق بذلك؛ فقال: إن من ذلك كلمات تباين الشريعة وتكلف بعض المتصلفين - قال في الحاشية أي المتكلفين - لإرجاعها إلى الشرع، لَكِنَّا تَيَقَّنَّا أن بعض اليهود افتراها على الشيخ قدس الله سره؛ فيجب الاحتياط بترك مطالعة تلك الكلمات، وقد صدر أمر سلطاني بالنهي فيجب الاجتناب من كل وجه أهـ. قال الشيخ ابن عابدين في الحاشية: قوله لكنا تيقنا.. إلى آخره لعله تيقنه بدليل ثبت عنده أنها مفتراة عليه كما وقع للعارف الشعراني أنه افترى عليه بعض الحُسَّاد في بعض كتبه أشياء مُكَفِّرَة وأشاعها عنه؛ حتى اجتمع بعلماء عصره وأخرج لهم مسودة كتابه التي عليها خطوط العلماء، فإذا هي خالصة مما افتري عليه. ثم قال ابن عابدين: وقوله فيجب الاحتياط بترك مطالعة تلك الكلمات؛ أي لأنه إن ثبت افتراؤها فالأمر ظاهر وإلا فلا يفهم

كل واحد مراده فيها فيُخشى على الناظر فيها من الإنكار عليه وفهم خلاف المراد . ثم قال ابن عابدين : وللحافظ السيوطي رسالة سماها : تنبيه الغبي بتبرئة ابن عربي ذكر فيها أن الناس افترقوا فيه فرقتين : الفرقة المصيبة تعتقد ولايته ، والأخرى بخلافها . ثم قال : والقول الفصل عندي طريقة لا ترضاها إحدى الفرقتين ، وهي اعتقاد ولايته وتحريم النظر في كتبه ، فقد نُقِلَ عنه أنه قال : نحن قوم يَحْرُمُ النظر في كتبنا انتهى . فهذا الذي ذكره هؤلاء المحققون هو الذي يجب عند الاختلاف الرجوع إليه ، والتعويل عليه ؛ لأن الناس قد غلب عليهم في هذا الوقت الجهل ، وصار كل غبي جاهل يطالع الكتب المذكورة ، فيفهم منها معاني لا يجوز اعتقادها عند أهل الشريعة ، ولا عند أهل الحقيقة ؛ فتصدر منه أقوال وأفعال كلها زندقة وخلع لربقة الإيمان . فَسَدُّ الذريعة هو الأحوط لأهل الإسلام . وفوق كل ذي علم عليم ، والله سبحانه وتعالى أعلم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين . أمر برقمه خادم طلبة العلم بالمسجد الحرام كثير الذنوب والآثام ، المرتجي من ربه الغفران أحمد بن زيني دحلان ، مفتي الشافعية بمكة المحمية ، غفر الله له ولوالديه ومشايخه ومحبيه والمسلمين أجمعين(٤٨) .

ويلاحظ التخبط والهروب في محتوى الفتوى . فكيف تَحْرُمُ كتب ابن عربي ، ويُعْتَقَدُ في ولايته؟ وكيف يُدَسُّ عليه من اليهود ، وكتابه (الفتوحات) من بدايته إلى نهايته نص خرافي مفتوح؟ هذا التحايل في معالجة الموقف من ابن عربي هو نموذج من ثقافة القطيع التي أذعن لها علماء أعلام كسباً للعامة ، وخشية من ألسنة أدعياء العلم المتكسبين من تجهيل المجتمع والغم عليه .

اعْلَمْ أن لكل فضيلة أُسًّا ، ولكل أدب يَنْبوعاً ، وأُسُّ الفضائل ، وينبوع الآداب ، هو العقل الذي جعله الله تعالى للدين أصلاً ، وللدنيا عماداً ، فأوجب التكليف بكماله ، وجعل الدنيا مُدَبَّرة بأحكامه ، وألَّف به بين خلقه ، مع اختلاف هِمَمهم ومآربهم ، وتبايُن أغراضهم ومقاصدهم ، وجعل ما تَعَبَّدَهُمْ به قسمين : قسماً وجب بالعقل ، فوكَّده الشرع ، وقسماً جاز في العقل ، فأوجبه الشرع ؛ فكان العقل لهما عماداً . ورُوي عن النبي ﷺ أنه قال :« ما اكتسب المرءُ مثلَ عقل يَهدي صاحبه إلى هُدًى ، أو يرُدُّه عن رَدًى » ، ورُوي عن النبي ﷺ أنه قال : « لكل شيء عُمِل دعامةٌ ، ودعامة عمل المرء عقله ، فبقدر عقله تكون عبادته لربه ، أما سمعتم قول الفُجَّار : لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ » . وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أصل الرجل عقله ، وحَسَبه دينه ، ومُروءته خُلقه . وقال الحسن البصريّ – رحمه الله – : ما استوْدَع الله أحداً عقلاً ، إلا استنقذه به يوماً مّا . وقال بعض الحكماء : العقل أفضلُ مَرجُوٍّ ، والجهل أنكى عدوٍّ . وقال بعض الأدباء : صديق كل امرئ عقله ، وعدوه جهله . وقال بعض البلغاء : خير المواهب العقل ، وشر المصائب الجهل . وقال بعض الشعراء ، وهو إبراهيم بن حسان :

يَزِينُ الفتى في الناس صحةُ عقله
وإن كانَ محظوراً عليه مكاسبُهْ
يَشينُ الفتى في الناس قلةُ عقله
وإن كَرُمت أعراقُهُ ومَناسِبُهْ
يعيشُ الفتى بالعقل في الناس إنهُ
على العقلِ يجري علمُه وتجاربُهْ

وأفــضلُ قَــسْم الله للمــرء عــقله
فليس من الأشــيــاء شيءٌ يقــاربُهْ
إذا أكــمل الرحــمنُ للمــرء عــقله
فــقــد كَــمَلَتْ أخــلاقُــه ومــآربُهْ

واعلم أنّ بالعقل تُعرف حقائقُ الأمور، ويُفصَل بين الحسنات والسيئات. وقد ينقسم قسمين: غريزيٌ ومكتسب.

الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص٦-٨

وقاد **أبو العباس البوني** (ت ٦٢٢هـ/١٢٢٥م) - مع كثيرين غيره - تيار الشعوذة والتخريف بمؤلفاته في السحر والطلاسم والنجوم؛ على عكس حنين بن إسحاق والحسن بن الهيثم والكندي، وغيرهم ممن قادوا حركة الفكر العلمي التجريبي؛ ففي كتاب: **اللمعة**، يقدم البوني في لغة تخريفية عزائم وطلسمات منها طلسم لمقاومة حشرة البق ونصه: «والطلسمات للبق مجربة مراراً تُكتب أول سبت من رجب قبل طلوع الشمس في أربع ورقات، وتُلْصَق في أربعة أركان البيت هذه الكتابة: ارزي درزي باطراق مريم بعصا موسى لا إله إلا الله دخل رجب، لا إله إلا الله خرج البق مع رجب طاش طاش طاش»(٤٩).

ولمعالجة سم العقرب يقدم البوني عزيمة مجربة نصها: «الططاطل شمهاييل اكتكنوش بلهام، ال الال، أزرلال، أرزلوال، النور يخرج من بين الصلب والترائب اخرج أيها السم بالذي قال للسموات والأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين(٥٠).

ومن أعمال البوني المغرقة في الضلال والكذب رسالته **شرح**

الجلجلوتية الكبرى، وهي عزيمة تحتوي على الأسماء والأقسام والأسرار العظام والخواص الجسام، «وطريق التصرف بهذه العزيمة على نوعين: الأول للمبتدئ الذي يريدها ورداً تحصيلاً لخاصيتها... والثاني لمن يريد حصول غرضه وقت الحاجة فقط»[٥١]، وأشار إلى أن هذه العزيمة لها خواص وأسرار منها

للمحبة والمودة أن من قرأها سبعمائة مرة وستاً وثمانين مرة على ماء وسقاه لمن شاء أحبه حباً شديداً. وإذا شرب البليد من ذلك الماء عند طلوع الشمس مدة سبعة أيام زالت بلادته وحفظ ما سمعه... وإذا كُتبت في ورقة مائة مرة وواحدة ودُفنت في الزرع خَصُبَ وحُفِظَ من الآفات... وإذا نُقشت في لوح رصاص ووُضعت في شبكة الصياد كثر صيده[٥٢].

وكان البوني – قبلُ – وهو يسرد ترهاته حول هذه العزيمة، قد ذكر أن الأملاك الموكلين بخدمة هذه العزيمة ثمانية، هم روقيائيل، وجبرائيل، وسمسمائيل، وميكائيل، وصرفيائيل، وعنيائيل، وكسفيائيل، وطحيطمغيليال، وهو الرئيس.. ويتحدث عن كل واحد منهم مبيناً مكانه وأعوانه وقت نزوله على النحو الآتي:

واعلم أن الأملاك لا يتمكن منهم نظرُ ناظر لقوة أشعة أنوارهم وصفاء جوهرها، ولكل ملك علامة تميزه عن غيره.

أمَّا السيد روقيائيل فينزل في قبة من سندس أخضر، وله لواء أخضر، وباب القبة مفتوح، وعنده خمسة أعوان قائمون بخدمته لابسين ثياباً خضراً، وإذا نزل إلى الطالب مكث في القبة يسيرا ثم يخرج إلى باب القبة ويُنصب له كرسيٌّ من نور، ووقت نزوله يوم الأحد وخادمه المذهب.

وأمَّا السيد جبرائيل فينزل في قبة من نور، وعلى رأس القبة لواء أصفر، ولا

يخرج من القبة إلا إذا وجه الطالب خطابه إليه، وله عشرة أعوان ينزلون معه، ووقته يوم الاثنين وخادمه الأبيض.

وأمَّا السيد سمسمائيل فينزل في قبة من نور أيضاً، وعلى باب القبة لواءان أحمران، ومعه ثلاثة أعوان ينزلون معه يقفون على باب القبة، ووقته يوم الثلاثاء وخادمه الأحمر.

وأمَّا السيد ميكائيل فينزل في قبة من نور، وعلى يمين القبة لواء أبيض، وينزل معه أربعة أعوان يقفون تحت اللواء، ووقته يوم الأربعاء وخادمه برقان.

وأمَّا السيد صرفيائيل فينزل في قبة من نور أبيض وأخضر ولها بابان، على كل باب عشرة أعوان وأربعة ألوية مشهورة بالخضرة والبياض، وعلى يسار القبة ملك طويل جداً ويسمى صلصيائيل وهو رئيس أعوانه، ووقته يوم الخميس وخادمه شمهورش.

وأمَّا السيد عنيائيل فينزل في قبة من نور، ومعه ستة أعوان وثلاثة ألوية، ووقته يوم الجمعة وخادمه زوبعة.

وأمَّا السيد كسفيائيل فينزل في قبة من نور أسود، ومعه ثلاثون عوناً وعشرة ألوية سود، ووقته يوم السبت وخادمه ميمون.

وأمَّا السيد طحيطمغيليال فينزل قبله قبتان من نور ساطع البيان بشهب لامعة، ثم ينزل في قبة عظيمة تُنصب له بين القبتين، وينزل معه ألف عون يقف بعضهم حول القبة وبعضهم خارج الرقعة، وله خمسون لواء بيضا، ومتى نزل حضر الخدام السبعة المذكورون ويقفون خلف الرقعة، ولا يستطيع أحد منهم الدنوّ من الرقعة أصلاً. ويُشترط في استنزاله - زيادة على ما تقدم - أن تكون ثياب الطالب كلها بيضاء، وأن يكون المكان

***نظيفاً مطيباً، وأن لا يدعوه إلا إذا أراد أخذ طاعة ملك علوي من السبعة المذكورين، كما يُشترط أن لا يدعى أحد منهم إلا لأخذ طاعة عون أو ملك سفلي*"[٥٣].**

وانحدر كل ذلك الغثاء من الدروشة والسفسطة والسحر والتقديس والخرافة في سيل جارف ليتحول، مع مرور الزمن، إلى ثقافة مجتمعية اتسعت صورها المزرية في القرون المتأخرة، ففي القرن الثالث عشر الهجري يقدم لنا الجبرتي في حوادث شهر شعبان سنة ١٢١٣هـ، ما يؤكد سببية الدروشة والخرافة والانحراف العقدي في إزهاق روح الحضارة وإطفاء نور العلم بإحلال ضلالات كسلية. فبعد أن كانت المكتبة والمدرسة، وحلقات العلم هي لب الحياة في كل صُقْعٍ، جاء دور التلاعب والانصراف إلى اللهو وتحميل الدين، زوراً وبهتاناً، نمطيه غريبة من التهريج البذيء.

وقد ربط الجبرتي بحذق بين هذا الاتجاه الانحطاطي وفرح المستعمرين الفرنسيين وإعجابهم وتشجيعهم على استمراره، بل عملهم على تعميق جذوره بين عامة الناس، فأي معين لهم خير من الدجل والضلال المؤديين إلى إسكات روح المقاومة وإحلال التخاذل والتراجع وإشاعة الجهل، مما يحقق لهم التمكن من الإنسان والأرض؟ وعلى طول النص فإن أهميته تستدعي إدراجه هنا لِتَأَمُّلِ ما فيه من ظلال وإيحاءات ذات دلالات بعيدة الغور:

شهر شعبان المعظم سنة ١٢١٣هـ[يناير ١٧٩٩م]..

وفي يوم الأحد سادسه نادى القبطان الفرنساوي الساكن بالمشهد الحسيني على أهل تلك الخطة وما جاورها بفتح الحوانيت والأسواق لأجل مولد الحسين، وشدد في ذلك، ووعد من أغلق حانوته بتسميره وتغريمه عشرة ريال فرنسية مكافأة له على ذلك. وكان السبب في ذلك والأصل فيه أن

هذا المولد ابتدعه السيد بدوي بن فتيح مباشر وقف المشهد؛ فكان قد اعتراه مرض الحب الإفرنجي؛ فنذر على نفسه هذا المولد إن شفاه الله تعالى. فحصلت له بعض إفاقه، فابتدأ به وأوقد في المسجد والقبة قناديل وبعض شموع، ورتب فقهاء يقرأون القرآن بالنهار مدارسة، وآخرين بالمسجد يقرأون بالليل دلائل الخيرات للجزولي، ثم زاد الحال وانضم إليهم كثير من أهل البدع كجماعة العفيفي والسمان والعربي والعيسوية، فمنهم من يتحلق ويذكر الجلالة ويحرفها، وينشد له المنشدون القصائد والموالات، ومنهم من يقول أبياتاً من بردة المديح للبوصيري، ويجاوبهم آخرون مقابلون لهم بصيغة صلاة على النبي ﷺ. وأما العيسوية فهم جماعة من المغاربة وما دخل فيهم من أهل الأهواء يُنسبون إلى شيخ من أهل المغرب يقال له سيدي محمد بن عيسى، وطريقتهم أنهم يجلسون قبالة بعضهم صفين ويقولون كلاماً معوجاً بلغتهم بنغم وطريقة مشوا عليها، وبين أيديهم طبول ودفوف يضربون عليها على قدر النغم ضرباً شديداً مع ارتفاع أصواتهم، وتقف جماعة أخرى قبالة الذين يضربون بالدفوف فيضعون أكتافهم في أكتاف بعض لا يخرج واحد عن الآخر، ويلتوون وينتصبون ويرتفعون وينخفضون ويضربون الأرض بأرجلهم؛ كل ذلك مع الحركة العنيفة والقوة الزائدة، بحيث لا يقوم هذا المقام إلا كل من عُرِفَ بالقوة. وهذه الحركات والإيقاعات على نمط الضرب بالدفوف، فيقع بالمسجد دوي عظيم وضجات من هؤلاء ومن غيرهم من جماعة الفقراء كل أحد له طريقة وكيفية تباين الأخرى، هذا مع ما ينضم إلى ذلك من جمع العوام وتحلُّقهم بالمسجد للحديث والهذيان، وكثرة اللغط والحكايات والأضاحيك، والتلفت إلى حسان الغلمان الذين يحضرون للتفرج والسعي خلفهم

والافتتان بهم، ورمي قشور اللب والمكسرات والمأكولات في المسجد، وطواف الباعة بالمأكولات على الناس فيه وسقاة الماء، فيصير المسجد بما اجتمع فيه من هذه القاذورات والعُفوش ملتحقاً بالأسواق المتهنة ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم. ثم ازداد الحال على ذلك بقدوم جماعة الأشاير من الحارات البعيدة والقريبة، وبين أيديهم مناور القناديل والجوامع العظيمة التي تحملها الرجال والشموع والطبول والزمور، ويتكلمون بكلام محرف يظنون أنه ذكر وتوسلات يثابون عليها وينسبون من يلومهم أو يعترضهم إلى الاعتزال والخروج والزندقة، وغالبهم السوقة وأهل الحرف السافلة، ومن لا يملك قوت ليلته؛ فتجد أحدهم يجتهد بقوة سعيه، ويبيع متاعه أو يستدين الجملة من الدراهم، ويصرفها في وقود القناديل وأجرة الطبالة والزمارة، وكُلٌّ يجتمع عليه ما هو من أمثاله من الحرافيش، ثم يقطع ليلته تلك سهراناً ويصبح دايخاً كسلاناً ويظن أنه بات يتعبد ويذكر ويتهجد. واستمر هذا المولد أكثر من عشر سنين، ولم يزدد الناذر لذلك إلا مرضاً ومقتاً، واستجلب خَدَمَةُ الضريح ما لاح لهم من خساف العقول مثل الشمع والدراهم، واتخذوا ذلك حبالة لأكل أموال الناس بالباطل. فلما حصلت هذه الحادثة بمصر تُرك هذا المولد في جملة المتروكات، ثم حصلت الفتنة التي حصلت، وسكن هذا الفرنساوي في خط المشهد الحسيني لضبط تلك الجهة وفيه مسايرة ومداهنة، فصار يُظهر المحبة للمسلمين ويلاطفهم، ويدخل بيوت الجيران ويقبل شفاعة المتشفعين، ويجل الفقهاء ويعظمهم ويكرمهم، وأبطل وقوف عسكره بالسلاح كعادتهم في غير هذه الجهة، وكذلك منع ما يفعله القلقات من أنواع التشديد على الناس في مثل القناديل؛ فاطمأن به أهل الخطة وتراجعوا للبكور إلى الصلاة في المساجد

بعد خوفهم من العسكر الذي رتب معهم وتركهم التبكير. فلما أنسوا به وعرفوا أخلاقه رجعوا لعادتهم ومشوا بالليل أيضاً بدون فزع وخوف، وترجمانه على مثل طريقته، وهو رجل شريف من أهل حلب، كان أسيراً بمالطة فاستخلصه الفرنسيس في جملة من استخلصوه من أسرى مالطة وقدم معهم مصر. فلما أجلس هذا لضبط الخط، كان ترجمانه يهودياً، فاحتال بعض أعيان الجهة ورتب هذا الشريف المذكور ليكون فيه راحة للناس، ففتح له قهوة بالخط بالقرب من دار مخدومه، وجمع الناس للجلوس فيها والسهر حصة من الليل، وأمرهم بعدم غلق الحوانيت مقداراً من الليل كعادتهم القديمة، فاستأنسوا بالاجتماعات والتسلي والخلاعات، وعَمَّ ذلك جهات تلك الخطة ووافق ذلك هوى العامة لأن أكثرهم مطبوع على المجون والخلاعة، وتلك هي طبيعة الفرنساوية، فصاروا يجتمعون عنده للسمر والحديث واللعب والممازحة، ويحضر معهم ذلك الضابط ومعه زوجته، وهي من أولاد البلد المخلوعين أيضاً، فانساق الحديث لذكر هذا المولد الشهري، وما يقع في لياليه من الجمعيات والمهرجان، وحَسَّنُوا له إعادته فوافقهم على ذلك وأمر بالمناداة وفتح الحوانيت ووقود القناديل وشدد في ذلك(٥٤).

تلك صورة قاتمة.

تمثل بشاعة في السقوط.

ما عاد من علم هناك يكون شغل القوم ومرادهم...

بل لهو..

وأي لهو شائن؟! تحولت المساجد التي كانت ذات يوم صروح العلم ومقاره إلى أماكن لتجمع الباحثين عن اللهو والتسلية باسم الدين، ووجد

كل ذلك مساندة ودعماً من الفرنسيين المستعمرين فكان أن شجعوا عليه أي تشجيع.

وما ذكره الجبرتي في تاريخه خير مصداق على دور الاستعمار والقوى الأجنبية في دحر ما بقي من ازدهار فكري في القرن الثالث عشر الهجري على وجه الخصوص، وتحويل العالم العربي والإسلامي إلى ساحة تحفل بالمتناقضات والمناقضات والنواقض والفساد باستجلاب الفكر الخرافي الذي كان مداره الدروشة والتصوف الهازل.

ولتأكيد ما أسهم به الاستعمار في ترسيخ جذور الأمية الفكرية في العالم العربي نورد عبارة أخرى للجبرتي يوضح فيها كيف أعاد الفرنسيون مولد الحسين مرة أخرى وأجبروا الناس على الاحتفال به قسراً، فيقول: «واستهل شهر ربيع الثاني بيوم الأحد سنة ١٢١٤ في أوائله، ابتدأوا في عمل مولد المشهد الحسيني وقهروا الناس وكرروا المنادة بفتح الحوانيت والسهر، ووقود القناديل عشر ليال متوالية آخرها ليلة الخميس ثاني عشره»[٥٥].

ومن مولد الحسين إلى مولد البكري الذي يتحدث الجبرتي عنه قائلاً في حوادث سنة ١٢١٤ أيضاً:

وفي عشرينه نودي بعمل مولد السيد علي البكري المدفون بجامع الشرابي بالأزبكية بالقرب من الرويعي، وأمروا الناس بوقود قناديل الأزقة في تلك الجهات، وأذنوا لهم بالذهاب والمجيء ليلاً ونهاراً من غير حرج. وقد تقدم ذكر بعض خبر هذا السيد علي، وأنه كان رجلاً من البُلْه، وكان يمشي بالأسواق عرياناً مكشوف الرأس والسوأتين غالباً. وله أخ صاحب دهاء ومكر لا يلتئم به، واستمر على ذلك مدة سنين، ثم بدا لأخيه فيه أمر لما رأى من ميل الناس لأخيه واعتقادهم فيه، فحجر عليه ومنعه من الخروج من

البيت وألبسه ثياباً وأظهر للناس أنه أذن له بذلك وأنه تولى القطبانية ونحو ذلك . فأقبلت الرجال والنساء على زيارته والتبرك به ، وسماع ألفاظه ، والإنصات إلى تخليطاته وتأويلها بما في نفوسهم ، وطفق أخوه المذكور يرغبهم ويبث لهم في كراماته وأنه يطلع على خطرات القلوب والمغيبات وينطق بما في النفوس ، فانهمكوا على الترداد إليه ، وقلد بعضهم بعضاً ، وأقبلوا عليه بالهدايا والنذور والإمدادات الواسعة من كل شيء ، وخصوصاً من نساء الأمراء والأكابر ، وراج حال أخيه واتسعت أمواله ، ونفقت سلعته ، وصادت شبكته ، وسمن الشيخ من كثرة الأكل والدسومة والفراغ والراحة ، حتى صار مثل البو العظيم ، فلم يزل على ذلك إلى أن مات في سنة سبع بعد المائتين كما تقدم ، فدفنوه بمعرفة أخيه في قطعة حجر عليها من هذا المسجد من غير مبالاة ولا مانع ، وعَمِلَ عليه مقصورة ومقاماً ، وواظب عنده بالمقرئين والمداحين وأرباب الأشاير والمنشدين بذكر كراماته وأوصافه في قصائدهم ومدحهم ونحو ذلك ، ويتواجدون ويتصارخون ويمرغون وجوههم على شُبَّاكِه وأعتابه ، ويغرفون بأيديهم من الهواء المحيط ويضعونه في أعبابهم وجيوبهم . . . فهرعت لزيارة قبره النساء والرجال بالنذور والشموع وأنواع المأكولات ؛ وصار ذلك المسجد مجمعاً وموعداً . فلما حضر الفرنساوية إلى مصر تشاغل عنه الناس وأهمل شأنه في جملة المهملات وتُرك مع المتروكات ، فلما فُتِحَ أمر الموالد والجمعيات ورخص الفرنساوية ذلك للناس؛ لما رأوا فيه من الخروج عن الشرائع واجتماع النساء واتباع الشهوات والتلاهي وفعل المحرمات ، أعيد هذا المولد مع جملة ما أعيد(٥٦) .

وتعرض باحث معاصر للدور الاستعماري في نشر الخرافة في مناطق من

العالم الإسلامي، بتوجيه الاهتمام إلى الأضرحة والمزارات، فقال نقلاً عن بعض الجزائريين

إن الفرنسيين لما استولوا على الجزائر، كانوا يعمدون إلى بعض المشاهد والأضرحة التي ينتسب أصحابها إلى الصلاح، فيجمعون الناس لها، ثم يوجهون المدافع إليها مظهرين لهم أنهم يريدون إصابته وتدميره، وقد ملؤوه باروداً دون ذخيرة مكراً!

ثم يطلقون عليه، فيدوي صوت المدفع، حتى يخال الحاضرون أنه قد أصابه، ثم ينظرون فإذا هو باقٍ مكانه، فيزيد تعلقهم به، واعتقادهم فيه(٥٧).

كما يورد نصاً **لأحمد حسن الباقوري** (ت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م) من فتوى له في النهي عن زخرفة القبور وبناء القباب والمساجد عليها، يقول فيه:

إن أحد كبار الشرقيين، حدثه عن بعض أساليب الاستعمار في آسيا، فكان مما ذكره له: أن المستعمرين كانوا يضطرون إلى تحويل القوافل الآتية من الهند إلى بغداد عبر تلك المنطقة الواسعة، إلى اتجاه جديد لهم فيه حاجة وغاية.

فكانوا يسعون جاهدين في صرف القوافل عن اتجاهها الأول إلى الاتجاه الجديد فلا يستطيعون ذلك حتى اهتدوا إلى حيلة جعلت تلك القوافل تغير اتجاهها إلى وجهتهم المرادة، فأقاموا عدة أضرحة وقباب على مسافات متقاربة في ذلك الطريق المراد سلوكه، ثم أشاعوا الشائعات أن في تلك الأضرحة أولياء صالحين، وأنه قد شوهد من كراماتهم كذا وكذا؛ فانتشرت الإشاعات في الآفاق، وذاعت الأخبار في كل مصر وعراق فصارت تلك الطرق عامرة مأهولة!(٥٨).

ودرس باحث تونسي العلاقة بين بعض الصوفية والاستعمار الفرنسي في تونس في الفترة من ١٨٨١م إلى ١٩٣٩هـ، فَوَضَّحَ أن السلطة الاستعمارية الفرنسية عملت على احتواء مشايخ الطرق الصوفية واستغلالهم وتوظيفهم لخدمة مصالحها، وتحقيق أهدافها

وتحقيقاً منها لذلك خصتهم بعدّة امتيازات منها:

أ- الإعفاءات:

*كالإعفاء من الخدمة العسكرية طبقاً للأمر المؤرخ في **٢٤ جانفي ١٨٩٣م**، و **٢٠ جويليه ١٨٩٦م**.*

*كما وقع إعفاء بعض مشائخ الطرق الصوفية من بعض الأداءات الدولية، كإعفاء سيدي قدّور شيخ زاوية القادرية بالكاف من السُّخرة ابتداءً من سنة **١٩٠١م**، وإعانة زاوية التيجانية بتماسين - بالجزائر - بمبلغ **٣٠٠٠** فرنك تعويضاً لها على القانون الذي تدفعه على نخيلها بالجنوب التونسي.*

*كما يقع أحياناً التخفيض من بعض الأداءات التي تَشَكَّى المشائخ من ارتفاعها: من ذلك أن سيدي قدّور - السابق الذكر - تَشَكَّى من الأداء الذي يُستخلص على الحيوانات التي تُذبح لأكل فقراء الزّاوية، «فتقرّر تخفيض الأداء - المذكور - إلى النصف، بحيث [صار] مبلغه **٣٠٠** فرنك ابتداء من غرة جانفي (**١٩٠٥م**).*

ب- التّسهيلات:

وتتمثل في التكتم على مخالفات مشائخ الطرق، وعدم فضح محاكماتهم، عدلياً.

من ذلك - مثلاً - التدخل لدى محكمة سُوسة لإيقاف تتبع الحفناوي ابن عبدالحفيظ - شيخ رحمانية تمغزة - المتّهم بقضية تهريب ومسك أسلحة،

وكذلك تدخّل حاكم التحقيق بقفصه لصالح محمد الكبير شيخ القادرية بها، رغم صدور الإذن لباري (Barry) - العدل المنفّذ بتنفيذ الحكم الصادر ضده عن المحكمة المدنية بتونس بتاريخ ٣١ ديسمبر ١٨٩٨م، والقاضي بدفع محمد الكبير - المذكور - لمبلغ ٢٦٦٠ فرنكاً إلى موري (Mauri) البنكي بتونس.

كما تمثّلت الامتيازات - أحياناً - في منح مشائخ بعض الطرق تسهيلات في تسديد ديونهم، كما كان الشأن - مثلاً - بالنسبة إلى أحمد قدّور شيخ زاوية القادرية بالكاف الذي كان عليه دَيْنٌ لفائدة جمعية الأوقاف، فوقع التدخُّل لديه عن طريق المراقب المدني بالكاف، فأبدى استعداده للتسديد بالأقساط.

كما أن محمد بن إبراهيم الكبير - شيخ القادرية بزاوية نفطة - اقترض عشرات الآلاف من أحد الإسرائيليين، كما كان مُداناً للدولة. ونظراً لمكانته، فإن الخزينة كانت لا تستطيع تتبّعه، [فكانت تمنحه] أجلاً بعد أجل...».

هذا إلى جانب منح السُّلَط الاستعمارية لبعض مشائخ الطرق مبالغ مالية في شكل حوالات؛ بدعوى ما لهم ولزواياهم من الفضل والاعتبار: من ذلك توجيه روا (Roy) حوالتين إلى سيدي قدّور - شيخ القادرية بزاوية الكاف - الأولى مقدارها ٨٠٠ فرنك، والثانية ٥٠٠ فرنك «على وجه الإعانة للزاوية...»!!

فواضح - من خلال هذه الأمثلة - أنّ الذين خُصّوا بتلك الامتيازات المختلفة كلّهم من المشائخ الذين لهم وجاهة ومكانة اجتماعية، ونفوذ كبير في مناطقهم.

وبالتالي، فإن الهدف من وراء تلك الامتيازات الخصوصية احتواؤهم، وحملهم على الوقوف إلى جانب السلط الاستعمارية، حتى تستعين بهم، وتوظفهم في تحقيق أهدافها في البلاد، ولا يكون لها ذلك إلا بالتمكين لهم، حتى إذا اقتضت الأوضاع الاستعمارية الاستعانة بهم لا يستطيعون فكاكاً من المهام التي يطالبون بإنجازها.

ج- التوظيف:

لقد تعددت المهام التي قام بها بعض مشائخ الطرق الصوفية لصالح السُّلَطِ الاستعمارية بالبلاد التونسية، مستغلة - في ذلك - نفوذهم على السكان.

من ذلك - مثلاً - أن عمران بن عبدالسلام الفيتوري - مُقَدَّمَ الطريقة السلامية - قد وظفته سلط الاحتلال في إعادة العربان الفارين إلى طرابلس الغرب على إثر دخول الاستعمار الفرنسي للبلاد، حيث أرجع كافتهم في عشرة أيام «ففي يوم واحد أركب ١٥٠٠ نفس» على حد قوله.

أمّا الشيخ الأزهاري بن مصطفى بن عزوز - شيخ الطريقة الرحمانية - فقد وقع تكليفه بالاتصال بالشيخ الحفناوي للعمل على افتكاك بقايا المركب الفرنسي الذي غرق بمقربة من طبرقة من سكان جبل خمير.

ولما اندلعت الحرب العالمية الأولى، كلّفه الكاتب العام للحكومة الفرنسية بمدِّ الدولة بما تحتاجه من الخيل، وبِحَثِّ الأهالي على الانخراط في الجندية، فقام بكل ذلك على أحسن وجه، وتقديراً لخدماته «وقع تقليده، وسام الشرف الفرنساوي ونيشان الافتخار».

كما أن سعيد بن عمار الشابي - من الطريقة الشابية - كثيراً ما وقع تكليفه بإعادة الهمامة كلما خرجوا عن الطّاعة، حتى حصل بذلك الأمن والاستقرار على حد قوله.

كما لعب مُقَدَّمُ التيجانية سعد بن الحاج ناصر دوراً هاماً أثناء حوادث الجنوب فيما بين ١٩١٥م و١٩١٦م، حيث اجتمع - أكثر من مرة - بأتباع الطريقة، وحثهم على الوقوف إلى جانب فرنسا، كما قرأ عليهم عدة تعليمات في هذا المعنى، واصلة إليهم من شيخ الطريقة الأمّ بالجزائر.

إلا أن أهم مثال على توظيف الاستعمار الفرنسي لمشائخ الطرق الصوفية تتمثل فيما قام به محمد بالطيب بن إبراهيم - شيخ القادرية بورقلة - فيما سُمِّيَ بقضية المركيز ديموريس (Le Marquis de Mores)، الذي خرج في مهمة استكشافية للصحراء لصالح الاستعمار الفرنسي، إلا أنه لم يلبث أن قُتِلَ من طرف التوارق، ولم تتمكن السُّلَطُ من القبض على الجناة، فما كان من محمد الطيب - المذكور - إلا أن توجه في أفريل سنة ١٨٩٨م نحو الجنوب بدعوى تَفَقُّدِ الزوايا القادرية هناك، واستطاع أن يغرر بثلاثة من القتلة، مُدَّعياً لهم أنه سيحصل لهم على الأمان بفضل مكانته الدينية.

ولما وصل بهم إلى ذهيبة سلمهم إلى ضابط المركز الفرنسي الذي أرسلهم - بدوره - إلى مدنين، ومن ثم أحيلوا إلى سوسة للمثول أمام المحكمة الجنائية بها.

ولئن مَكَّنت هذه المهمة السُّلَطَ الاستعمارية من الإيقاع بالواقفين في وجه مخططاتها الاستطلاعية والتوسعية، فإن الشيخ المذكور قد كلفته تلك المهمة حياته، حيث تم اغتياله - فيما بعد - على أيدي التوارق أنفسهم يوم ٣ مارس ١٩٠١م.

لقد تمكنت السُّلَطُ الاستعمارية - بفضل توظيفها لبعض مشائخ الطرق الصوفية - من تحقيق عدة أهداف بأقل التكاليف، وفي مدة وجيزة، كما وفرت لها الأمن والاستقرار في أشد الفترات حرجاً، وفي أماكن حدودية

نائية من الصعب السيطرة على قبائلها، وإرجاعها إلى الجادّة، وحملها على الانقياد والدخول في الطاعة.

لقد أمكن للسّلط الاستعمارية تحقيق كل ذلك بواسطة امتيازات ومكافآت كثيراً ما تكون رمزية ودون العمل المنجز، مستغلة في ذلك تسابق وتنافس بعض مشائخ الطرق في إظهار الولاء لها، والتفاني في خدمتها، مما مكنها من إذكاء العداء والتنافر بين المشائخ وأتباع الطرق المختلفة، لغاية إضعافها داخلياً، لتسهل السيطرة عليها خارجياً.

وبالتالي، فبقدر ما خدمت تلك المهام الاستعمار ومكّنت له، كانت - إلى حَدٍّ ما - سبباً في فقدان بعض المشائخ لهيبتهم ونفوذهم بين الأتباع من جرّاء كثرة استعمالهم من طرف السّلط الاستعمارية، ممّا ساهم في ضعف بعض الطرق الصوفية، خاصة بعد ضرب مقوماتها الاقتصادية(٥٩).

كما يشير إلى موقف عدة طرق صوفية من دخول الاستعمار الفرنسي إلى تونس، فيذكر أن بعض الطرق قاومت الاستعمار، ولكنها لم تقم «ببادرة نضال في حجم قوتها الاقتصادية والروحية والبشرية التي كانت تتمتع بها في البلاد التونسية في الفترة التي ندرسها»(٦٠).

وفي المقابل كان هناك تواطؤ واضح بين بعض مشايخ الطرق الصوفية والمستعمر الفرنسي، فالزاوية القادرية بالكاف قامت بدور مهم في تسهيل دخول الفرنسيين إلى المدينة، فقد كان شيخ هذه الطريقة سيدي قدور على صلة وثيقة بالقنصل الفرنسي «روا» طوال شهر أبريل من سنة ١٨٨١م - قبل معاهدة باردو -، حيث راسله مستفسراً عن الدور الذي يمكن أن يقوم به، كما أوضح للقنصل روا في اليوم نفسه استعداده للذهاب لمقابلة اللواء لوجروا (Logerot) قائد القوات الفرنسية، للإعراب له عن ولائه. ووصل

الأمر بسيدي قدور إلى إقناع أتباعه الذين جاؤوا إلى زاويته بالعودة من حيث أتوا، مما يدل على أنه كان وراء فكرة التخلي عن الجهاد مستخدماً نفوذه المادي والروحي، ونتج عن ذلك فتح أبواب المدينة وقصبتها للمستعمر الفرنسي. كما ورد اسم محمد بن شعبان (ت ١٣٣٧هـ/ ١٩١٩م) شيخ مشايخ القادرية وإمام جامع باردو - آنذاك - ضمن الذين نسقوا مع الاحتلال، وشوهد يرحب بالقوات الفرنسية عند دخولها إلى تونس. أما أتباع الطريقة الشابية فقد جلبوا المناوئين وسلَّموهم للفرنسيين.

وعمل شيخ زاوية الطريقة التيجانية ببو عرادة دليلاً للفرنسيين في المنطقة، وأمر القبائل بالانصياع لهم. وكان القائد الفرنسي في الحاضرة يشارك في المائدة التي تُنصب بزاوية باب المنارة كل يوم جمعة؛ كما أعربت زاوية التيجانية بالسوس عن ولائها للفرنسيين، وخضوعها لهم خضوعاً ممزوجاً بالخيانة للبلاد والعباد[٦١].

يتبين لنا من كل ما سبق كيف عمل الاستعمار الفرنسي على تشجيع الاحتفال بموالد الأولياء وزيارة الأضرحة والمقابر في مصر، وكذلك خضوع شيوخ الصوفية في تونس لإرادة المستعمرين وإسهامهم في تمكينهم من السيطرة على البلاد، مما ساعد على إلهاء الناس وابتعادهم عن الدين وما يدعو إليه من مقاومة المحتلين ومواجهتهم.

وتؤكد النصوص السابقة - صراحة - دور الاستعمار في الانحطاط بمستوى الثقافة والفكر في العالم العربي والإسلامي، وصرف الناس عن التفكير في العلم والثقافة، ودفعهم إلى الانغماس في موالد من يزعمون أنهم أولياء، وزيارة الأضرحة والمقابر وغيرهما على مدار العام، والاستسلام لأساطير أدعياء الولاية من الضُّلَّالِ والكذابين، كما يتبين منها تعاون بعض

مشايخ الطرق الصوفية مع المستعمرين وتخاذلهم في مقاومتهم تغليباً لمصالحهم الشخصية.

> حَدَّثنا أبو بَكْرٍ محمَّدُ بنُ اللَّيْثِ الجوهريُّ، قال: حَدَّثنا أبو هشام الرفاعيُّ، قال: حدثنا أبو بكر ابن عياش، قال: حدثنا أبو حصين عن أبي صالحٍ، عن أبي هريرةَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ أحسنَ الحديث كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمَّدٍ، وشَرَّ الأمور محدثاتُها، وكلَّ مُحدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ».
>
> الآجري: كتاب الشريعة ١/٣٩٩.

الثمرة الآثمة:

سقطت عصور الازدهار، لتحل محلها الأمية عن طريق الدجل والدروشة والاستسلام لخرافة الولاية، التي ادعاها جهلاء من أمثال البكري، الذي يصفه الجبرتي في النص السابق بأنه كان رجلاً من البُلْهِ وكان يمشي عرياناً مكشوف الرأس والسوأتين غالباً. وأوغل المستعمر في الاستفادة من فرص الضياع التي كانت تعيشها العامة لفقدان القيادات الموجِّهة سياسياً ودينياً في أغلب مناطق العالم الإسلامي، فَرَسَّخَ مفاهيم الجهل، وغرس روح الإعجاب بذوي الخداع والمكر، واستلَّ من النفوس كل ما يوحي بِتَوَجُّهٍ حميد نحو العلم والعمل.

ويتناقض موقف الاستعمار الفرنسي المشجع للخرافة والمعين على إشاعتها ونشرها في القرن الثالث عشر الهجري مع موقف الخليفة العباسي المقتدر بالله (ت ٣٢٠هـ/٩٣٢م). فعندما نجمت فتنة الحلاَّج في القرن

الرابع الهجري اجتثَّ أصولها وسحقها بقوة؛ فقضى على بذور فساد كانت ستؤدي - إذا أينعت - إلى أمية مبكرة يسوق إليها قبول الفكر الاسترخائي الذي دعا إليه الحلاج.

وقد مَجَّدَ الاستعمار وأذنابُهُ من المستشرقين الحلاَّجَ وجعلوا منه مناضلاً مدافعاً عن الحرية. ومن الذين كتبوا عنه وحَسَّنُوا صورته في العصر الحديث اثنان من أشرس أعداء العروبة والإسلام: جولدتسيهر ولويس ماسينيون، كما انتقلت عدوى الإعجاب به إلى بعض العرب الذين اتخذوه رمزاً للنضال وضحية للاضطهاد الفكري، وما كان كذلك؛ فقد أثبتت مصادر التراث القريبة من عهده مثل «الفهرست» للنديم و«تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي خروجه على العقيدة وعمله من أجل تخريب الفكر الإسلامي بإدخال خرافات وأباطيل عليه، ومن يقرأ سيرته في تاريخ بغداد[٦٢]، سيلمس ما أصابها من تخليط، وإن كان الواضح أنه كان مشعوذاً مخرباً لا يختلف عن البكري الذي وصفه الجبرتي بالبُلْهِ والغفلة.

وإلى جانب فكر الدروشة والاسترخاء اللذين انتشرا في القرن الثالث عشر الهجري، وامتدت جذورهما من قرون متلاحقة، يمكن أن نضيف عوامل أخرى ساعدت على إجهاض الثقافة العربية الإسلامية وتمكين الأمية وترسيخها؛ من بينها سيطرة أنماط تافهة من الوجهاء والعلماء - حسب مقاييس ذلك الزمن - على مسيرة الفكر والعلم والحياة، وانعكست على سلوكهم ظلال الأمية المقيتة فكانوا النماذج والقدوة.

وبئس النماذج كانوا...

وبئس القدوة المهلكة لمعاصريهم، ولمن جاؤوا من بعدهم.

كان الفكر والعلم لديهم خليطاً من الشعوذة والخرافة والدجل.

وحتى لا يكون الكلام مجرد اتهام بلا دليل، سنعود إلى الجبرتي ليحدثنا عن بعض أولئك الأعلام.

أعلام السقوط:

ففي وفيات سنة ١٢٠١هـ [١٧٨٧م] أشار الجبرتي إلى إنسان ترجم له وتحدث عنه بطريقة تدفع المرء إلى الاعتقاد أنه أمام رائد مبدع أسهم في حركة الفكر العربي الإسلامي بمصنفات جليلة، ولكن الخيبة هي التي سيحصدها بعد أن يقرأ ما كتبه الجبرتي عنه، حيث يقول:

توفي الإمام العالم العلامة، أوحد وقته في الفنون العقلية والنقلية، شيخ أهل الإسلام وبركة الآنام الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي حامد العدوي المالكي الأزهري الخلوتي الشهير بالدردير، حضر دروس العلماء، وتلقن الذكر وطرق الخلوتية من الشيخ الحفني، وله مؤلفات منها: شرح مختصر خليل أورد فيه خلاصة ما ذكره الأجهوري والزرقاني، وتحفة الإخوان في آداب أهل العرفان في التصوف، وله شرح على وِرْدِ الشيخ كريم الدين الخلوتي، ورسالة في المولد الشريف، ورسالة في شرح قول الوفائية: «يا مولاي يا واحد يا دائم»، ورسالة في شرح صلاة السيد أحمد البدوي، والتوجه الأسني بنظم أسماء الله الحسنى(٦٣).

ثم ترجم لآخر لا يقل عن سابقه، توفي أيضاً في سنة ١٢٠١هـ فقال: ومات الشيخ الفاضل الصالح المجذوب صاحب الأحوال محمد بن أبي بكر بن محمد المغربي الطرابلسي الشهير بالأثرم... وتنتسب جدوده إلى خدمة الولي الصالح الشهير سيدي أحمد زروق قدس سرُّه، وغلب عليه الجذب في مبادئ أمره، وحفظ جملة من كلام الشيخ المشار إليه ومن كلام غيره(٦٤).

وثالث توفي في سنة ١٢٠٤هـ [١٧٨٩م] قال عنه:

العلامة الرحالة الفهامة الفقيه المحدث المفسر المحقق المتبحر الصوفي الصالح الشيخ سليمان بن عمر بن منصور العجيلي، لازم الشيخ الحفني، فشملته بركته، وأخذ عنه الطريقة الخلوتية، ولقنه الأسماء، وأذن له واستخلفه، واشتهر بالزهد والصلاح، ويتردد كثيراً لزيارات المشايخ والأولياء[٦٥].

فالإمام العالم العلامة أوحد وقته في الفنون العقلية، كان من مؤلفاته: تحفة الإخوان في التصوف، وشرح على وِرْدِ الشيخ كريم الدين، ورسالة في المولد، ورسالة في شرح قول الوفائية؛ وهي فرقة صوفية أيضاً: «يا مولاي يا واحد يا دائم»، ورسالة في شرح صلاة السيد البدوي.

أما العَلَمُ الآخر فإن شهرته تعود إلى أن أسرته كانت تخدم الولي أحمد زروق.

وأما الثالث فقد كان من أَجَلِّ صفاته أَنْ شملته بركة الشيخ الحفني، وأخذ عنه الطريقة الخلوتية، وهي طريقة صوفية أيضاً، واشتهر بزيارة المشايخ والأولياء.

والأعلام الثلاثة نماذج صارخة للانحدار الفكري في القرون المتأخرة؛ فأن تُطْلَقَ ألقابٌ توحي بِعِظَمِ الشأن على إنسان ينشئ أعمالاً سقيمة تافهة تتمثل في كتب خرافية؛ فهذا يعكس لنا سوء الحال، وتَفَشِّي الأمية وانتشارها نتيجة وجود علماء من أمثاله كانوا يقودون حركة الفكر في مناطقهم في فترات وجودهم.

كان عبء الأمية ثقيلاً ظل زمناً يجثم على الصدور، ونحن وإن كنا قد بدأنا السير في الطريق نحو العودة الحضارية، فإن ذيول الأمية تحتاج إلى جهاد مضن للتخلص منها، وأهم عناصر هذا الجهاد أن نتخلص من هذا

التمرغ الذي تشهده بعض أقطار العرب والمسلمين في أوحال التقديس لأدعياء الخرافة والضلال التي تشل الفكر وتوجهه نحو الخمول.

فكر السقوط:

وإذا كان القرن الثالث عشر الهجري شهد تلك الأنماط الحافلة من الذين نُسبوا إلى العلم زوراً وبهتاناً، فإن الركيزة تعود إلى قرون سابقة متداخلة مع حركة علمية ناهضة، ولَكِنَّ مراجعةً مركزةً على قرن واحد ستبدي لنا صور التراجع وتراكميته؛ فقد شهد القرن الحادي عشر الهجري أنماطاً متخلفة من النتاجات الفكرية تدعو إلى العجب والدهشة، وتجعله أنموذجاً جيداً لأزمنة التراجع وسيادة الخمول الفكري.

وأكثر ما يوضح ذلك مراجعة عناوين ما كان يصنفه أعلام ذلك القرن.

فعلى سبيل المثال: نجد **درويش مصطفى بن قاسم الطرابلسي** (ت ١٠٨٠هـ/١٦٦٩م) الذي يُعَدُّ من رجال العصر البارزين يُصَنِّفُ أعمالاً لا تخرج عما كان يسود عصره. وعناوين ما صَنَّفَ تدلل على منحاه الفكري المتسم بالتصنع والكلفة والجري وراء قضايا عقيمة؛ فهو يضع مصنفاً بعنوان: **هتك الأستار في وصف العذار**، ويرى في أحد المتصوفة ما يثير إعجابه فيكتب عنه: **الدر الملتقط من بحر الصفا في مناقب سيدي أبي الإسعاد بن وفا**، ويحابي أحد أعلام عصره فينتهز فرصة بناء ذلك العلم لمنزل في مكان بالمدينة المنورة فيضع له تأريخاً وينظم فيه أبياتاً سقيمة يقول فيها:

بُشراك يا من صار جارَ الكريمْ
بطيبِ عيشٍ أنت فيه مقيمْ
أصبحت في خدمة خير الورى
ترفلُ في روض جنات النعيمْ

بطيبة طابت لمن حلها
حديث وُدّي في هواها قديمْ
طوبى لمن أمسى مقيماً بها
يلقى أهاليها بقلب سليمْ
مصاحبَ السلطان نلتَ المنى
بما ترجي من غفور رحيمْ
بنيت إيواناً به قد سما
ببئر ودي للصديق الحميمْ
بغاية الإحكام تاريخه
مقعد أنس شاد عبدالكريمْ(٦٦)

وقد لقي هذا الكلام بعض القبول بين أبناء ذلك العصر فتناقلته الألسن.

ولكن هذه الأبيات تحولت فجأة إلى قضية، فكان أن هزأ بها **فتح الله النحاس الحلبي**، وضَمَّنَ رأيَهُ فيها ونَقْدَهُ عليها رسالةً أطلق عليها اسم: **التفتيش على خبالات درويش**، فأزعج عمل النحاس أحد مؤيدي درويش ومحبيه فدافع عنه وعن أبياته في مصنف وضعه جعل عنوانه: **نصر من الله وفتح قريب**، ترجم فيه لدرويش وامتدحه وجمع فيه - كما يشير المحبي في خلاصة الأثر - «من غرائب الفوائد وفرائد القلائد ما تَقَرُّ به العيون وتنشرح له الصدور»(٦٧).

ويعجب الإنسان كيف تثير تلك الأبيات التي لا روح فيها، ولا صلة بينها وبين الشعر، قضيةً يخوض فيها الخائضون، ولكن يزول العجب عندما ندرك أن تلك الأفعال كانت سمة العصر الذي خَيَّمَ عليه التبلد، وعاش

أعلامه في ظلام فكري نتج عن الاستسلام لِتَفَوُّق القديم، وقلة الحيلة في الخروج على التكلف والإغراق في جزئيات عقيمة.

ويشغل مؤلف آخر، هو **محمد بن علان بن إبراهيم الصديقي** (ت ٩٩٦هـ/١٥٨٨م)، نفسه بمسألة السَّيْلِ الذي وقع في مكة خلال ذلك القرن في البيت الحرام، وكان المنطق أن يتم إعمار ما سقط، وإصلاح ما تلف دون حاجة إلى تحويل السيل وما ألحقه من أضرار إلى مشكلة عويصة يتفنن صاحبنا في معالجتها في كتب متعددة جاءت على مراحل:

ففي المرحلة الأولى يُصَنِّفُ لنا كتاباً بعنوان: **إعلام سائر الأنام بقصة السيل الذي سقط منه بيت الله الحرام**، وليت صاحبنا اكتفى بذلك الإعلام إذ فيه، بلا شك، تدوين تاريخي مفيد لمتتبعي تاريخ الحرم المكي.

ولكنه ينتقل إلى مرحلة ثانية يثير فيها مشكلة فحواها: مَنْ يقوم بإصلاح التالف من العمارة؛ ويُضَمِّنُ ذلك رسالةً يطلق عليها: **نشر ألوية التشريف بالإعلام والتعريف بمن له ولاية عمارة ما سقط من البيت الشريف**، وقد ناقش فيه مسؤولية العمارة واتفق مع علماء عصره على أنها فرض كفاية على سائر المسلمين وأن حاكم مكة له القيام بذلك.

غير أنه تراجع عن رأيه وأوضح تراجعه في عمل يمثل المرحلة الثالثة دعاه: **البيان والإعلام في توجيه فريضة عمارة الساقط من البيت لسلطان الإسلام**، وهكذا نقل المسؤولية عن حاكم مكة، ووضعها على كاهل سلطان الإسلام شخصياً! ولا ندري الأسباب التي دفعت به إلى ذلك، أو الحجج التي اعتمد عليها في هذا التعقيد الذي يقترب من تعقيد الروتين في بعض الدوائر الحكومية في العصر الحديث عندما يُكْتَبُ على معاملة من المعاملات أن تمضي فترة من الزمن تدور بين أيدي رؤساء الدوائر

والمكاتب؛ كل يكتب عليها ويشرح ويذيل؛ حتى تضيع معالم القضية الأصلية، ولعلهم تأثروا تقليداً بهؤلاء السلف.

ولم يقتنع ابن علان صاحب ذلك الروتين التصنيفي بتلك التعقيدات التي وضعها، فواصل إضاعة وقته وجهده في كتاب آخر سماه: **فتح الكريم الفتاح في حكم ما سُدَّ به البيت من حُصْرٍ وأعواد وألواح**، وهو هنا بلا شك يقف على سدة المغالاة في إزهاق الوقت فيما لا طائل منه، ويضع نفسه أنموذجاً صارخاً للضياع الفكري الذي عانى منه ذلك القرن.

ويواصل ابن علان القضية التي اختلقها فيكتب لنا فيها ما يُطْلِقُ عليه: **فتح القدير في الأعمال التي يحتاج إليها من حصل له بالملك على البيت ولاية التعمير** ويُثَنِّي برسالة يعنونها بـ: **أسنى المواهب والفتوح بعمارة المقام الإبراهيمي وباب الكعبة وسقفها والسطوح**.

والعجيب في الأمر أن هذه المصنفات التي لا تقدم ما يفيد، والتي لم تكن قضية السيل تحتاج إليها أصلاً، سارت بها الركبان، واشتهرت في الآفاق في ذلك الزمان كما يشير المحبي(٦٨).

ويتخصص كاتب آخر هو أبو عبدالله **محمد بن محمد بن أبي بكر الدلائي الفشتالي** (ت ١٠٩٠هـ/١٦٧٩م) في تصنيف رسائل حول أمور نحوية قُتِلَتْ بحثاً ودرساً فيضع مجموعة كتب تحمل العناوين العجمية التالية:

فصل الخصمين في متعلق الظرفين، والدلائل القطعية في تقرير النصب على المعية، والتحرير الأسمى في إعراب الزكاة اسما، ورفع اللبس عن ورود تفعل بمعنى فعل والعكس(٦٩).

ويبلغ الأمر بآخرين إلى الخوض في مسائل علمية وأدبية وشرعية يعالجونها تحت عناوين مضحكة.

فأحدهم، وهو **محمد كبريت بن عبدالله المدني** (ت ١٠٧٠هـ/١٦٥٩م)، الذي ألف كتاباً في الدفاع عن درويش الطرابلسي الآنف ذكره، يختصر الكشكول للبهاء العاملي (ت ١٠٣١هـ/١٦٢٢م)، فلا يجد ما يطلقه على مختصره غير: **الزنبيل**[٧٠]، والله وحده يعلم ما كان يضمه ذلك الزنبيل النفيس من تجميعات نقلت عن تجميعات العاملي.

ويعجب **تاج الدين أحمد بن إبراهيم بن يعقوب** (ت ١٠٦٦هـ/١٦٥٦م) بقصيدة لعفيف الدين سليمان بن علي التلمساني (ت ٦٩٠هـ/١٢٩١م) أولها:

إذا كنت بعد الصحو في المحو سيداً

فيشرحها في كتاب بعنوان: **تطبيق المحو بعد الصحو على قواعد الشريعة والنحو**[٧١]. ويبدو أن بعض مؤلفي تلك الفترة كانوا يكتبون في وقت تنازعهم فيه الرغبة في الأكل فتأتي عناوين كتبهم طعامية، مثل كتاب: **حقيقة زبدة لبن الشريعة بحركة مخض سلوك الطريقة** لحسن بن أحمد بن إبراهيم باشعيب (ت ١٠٣٠هـ/١٦٢١م)[٧٢]، وكذلك كتاب **موائد الفضل الجامعة لُبابا في موارد الرمل النافعة أحبابا**، لسالم بن أحمد بن شيخان (ت ١٠٤٦هـ/١٦٣٧م)[٧٣].

ويجد محمد كبريت المدني – السالف ذكره – الذي كان من أبرز رجالات تلك الفترة التعيسة متسعاً من الوقت لديه فيكتب كلاماً يبسطه في مجلدين بعنوان **بسط المقال في القيل والقال**، ولا نعرف أي قيل وقال ذلك الذي قصد إليه كبريت وخَصَّهُ بعمل في مجلدين.

ويستعرض المؤلف نفسه ثقافته العريضة ليكتب لنا عن الدنيا والآخرة كتاباً يدعوه: **العقود الفاخرة في أخبار الدنيا والآخرة**[٧٤].

ويتناول **محمد بن عبدالقادر بن أحمد بن إسرائيل اليمني** (ت ١٠١٥هـ/١٦٠٦م) قضية علمية يلتقطها من كتب كثيرة في هذا المجال ويفرغ ما جمعه في: **المشمة النفاحة بتحقيق المساحة**[٧٥].

ومن الظواهر التي سيطرت على مؤلفي تلك الفترة كتب الشعوذة حتى كان لواحدٍ منهم هو ابن شيخان مجموعة منها: **مصباح السر اللامع بمفتاح الجفر الجامع**. ويرغب المؤلف نفسه في تحديد عمر الزمن فيؤلف: **غرر البيان عن عمر الزمان**، ويكشف في كتاب ثالث عن أسرار الحروف ويقدم ذلك تحت عناوين مختلفة، منها: **العقد المنظوم في بعض ما تحتوي عليه الحروف من الخواص والعلوم**[٧٦].

ولعل هذه العناوين تدفع إلى الاعتقاد بأنها مختلفة؛ غير أنه برحلة في بطون كتب التراجم، وعلى الأخص خلاصة الأثر للمحبي، سنجد أنها لا تُحصى لكثرتها وأنها قد غلبت على كثير من مؤلفات القرون المتأخرة حتى بداية النهضة العربية الحديثة.

وهذه العناوين التي عرضنا لها توضح ما وصل إليه الفكر العربي من تراجع، وتبين مدى اهتمام أعلام تلك القرون بالصنعة المنفرة، وتظهر ولعهم بتناول موضوعات فرعية لا تقدم جديداً، وتبين لنا دوران أغلبهم في حلقة مفرغة لا موضع فيها لتوجه نحو ابتكار أو مناقشة للقضايا التي تقدم إضافة للفكر العربي، ومن هنا كان الإهمال نصيب أغلبها؛ إذ إن محتواها كان مضجراً يدخل الملل على نفوس المطالعين والقراء.

وقد أسهمت نتاجات ذلك القرن، وما سبقه ولحقه من قرون، في إعاقة تقدم الفكر العربي، وأَخَّرَتْ كثيراً بداية الصحو؛ ورَسَّخت مفاهيمها المتخلفة حتى وقتنا الحاضر، إذ لا يزال بعض الكتاب والمؤلفين يسيرون في

فلكها بتناول موضوعات لا تتسم بروح الجدة، ولا تقدم أي إسهام يتفق مع واقع العصر ومتطلباته.

ثم كان الموقف السلبي من المرأة بقمع نشاطها، وإخماد جذوة مشاركاتها، وإغلاق منافذ العلم في وجهها؛ ليتراجع دورها ويخمد وهجها؛ فخلت الساحة من أعلام النساء على درجة أم الدرداء وكريمة وشهدة وغيرهن، وإن كانت هناك أسماء برزت لعالمات مسلمات كان لهن دور محدود ومشاركات هامشية إلى القرن الثالث عشر الهجري، ولعلنا نذكر من بينهن عالمة نجدية استوطنت مكة المكرمة مهاجرة من الزبير هي **فاطمة بنت حمد الفُضَيْلي الحنبلي الزبيرية** (ت ١٢٤٧هـ/ ١٨٣١م)، وكانت تعرف بالشيخة الفُضَيْلية. قرأت على إبراهيم بن جديد أحد علماء الزبير في القرن الثالث عشر الهجري، وأخذت عنه التفسير والحديث والأصلين والفقه والتصوف وتوجهت إلى العلم، وتعلمت الخط وأتقنته، ونسخت كتباً كثيرة، وأجازها جَمْعٌ من العلماء في عصرها، واستقرت في مكة المكرمة، وتردد إليها غالب علماء مكة وسمعوا منها وأسمعوها، منهم: عمر عبد رب الرسول الحنفي، ومحمد صالح الريس، وكانا يسمعان منها من وراء ستار، ويستفيدان من علمها. ولما كان التصوف سائداً في عصرها، أخذت الطريقتين النقشبندية والقادرية، وانتفع من علمها نساء كثيرات، ووقفت كتبها جميعها على طلبة العلم من الحنابلة. وتوفيت في مكة سنة ١٢٤٧هـ[٧٧]. لقد فرضت الفضيلية، مع نساء أخريات في عصرها تحلين بالشجاعة، احترام المجتمع لهن على الرغم من تواضع مكانتهن وانحسار دورهن وسيطرة المواقف السلبية منهن.

عالم الخرافة يتجلى في عصر العلم:

وفي الوقت الذي شهد فيه عالم القرن العشرين وما بعده فورةً في العلم، وتزاحماً في المخترعات، وانكباب علماء الشرق والغرب على استصفاء كل ما يفيد الإنسان، واصل تلامذة البُوني نشر الفكر التخلفي بتأليف كتب في السحر والشعوذة والطلاسم تحتوي على خرافات وتفاهات مضحكة. فوفق أحدها، فإن الحصول على المهابة والمحبة والرفعة لا يقتضي منك إلا قراءة بيت الشعر الآتي عشرين مرة:

بدأت ببسم الله روحي به اهتدت

إلى كشف أسرار بباطنه انطوت

ولا يقتصر دور البيت السابق على الرفعة والمحبة فَمَنْ «كتبه وعلقه على المحروق في الصعب والقولنج شفاه الله تعالى»(٧٨).

أمَّا البيت الآتي:

بصمصام طمطام وبالنور والضيا

بمهراش طمطام به النار أُخمدت

فمن «واظب على قراءته كل يوم (١٢) مرة أغناه الله تعالى، وإذا مُحِيَ بماء وسقاه الملسوع نفعه، ومن كتبه في إناء ومحاه بزيت طيب ومسح به عضة الكلب أو لسعة العقرب أو الحية يبرأ بإذن الله»(٧٩).

ويخترع أحدهم طلسماً أو وفقاً صورته كما يأتي:

جبرائيل

٢ ٩ ٤

٧ ٥ ٣

٦ ١ ٨

إسرافيل

ويتحفنا بأن فوائده كثيرة، فإن أردت جلب الزبون «فاكتبه في ورقة بمسك وزعفران وماء ورد وبَخِّرْهَا بكندر وجاوي وعود ومصطكة وميعة سائلة، واقرأ القسم عليها (٤٥) مرة، ثم علقها على باب الدكان، ترى ما يسرك من كثرة الواردين»(٨٠).

وإذا أردت التفريق بين رجل وامرأة مجتمعين على ما لا يرضي الله فاكتب الوفق على شقفة أو ورقة وبخرها بمر وصبر واقرأ القسم (٤٥) مرة، وادفنها في عتبة باب دارهما، فإنهما يفترقان»(٨١).

ومع بدايات القرن الحادي والعشرين يُنْشَرُ كتابٌ حافلٌ بالعبث والخرافة والجهل، أُطلق عليه «أسرار المكتوم في أسرار المخزون» مملوء بشعوذات اعتمد فيها مؤلفه أسماء الله الحسنى - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - فكتابة (السميع)

على إناء خزفي بمسك وزعفران وغسله بزيت الزهر، ثم تقطيره في أذن الأطرش يضحى سميعاً إن شاء الله. ومن نقش هذا الاسم على خاتم فضي في شرف القمر أضحى مسموع القول ومطاعاً، وشاع اسمه بين الناس، وفي كل مكان... أمَّا النقش المثلث لهذا الاسم فهو مفيد للغلبة على العدو، وقبول العامة والخاصة، والعزة والرفعة وهو مجرب..(٨٢).

تمددت هذه الوصفات الخرافية على مساحة واسعة من كتب الشعوذات، ووجدت لها سوقاً رائجة عند جملة ممن فقدوا صلتهم بروح الدين وأُسُسِهِ التوحيدية التي تربط الإنسان بخالقه.

المآخذ:

إن ما نخلص إليه من خلال ما أوردناه في الصفحات السابقة، هو أن الأمية التي ورثناها، وكانت سمة وعلامة مميزة للمجتمعات العربية والإسلامية، ولاسيما في القرون التالية للقرن العاشر الهجري، تسللت من منافذ عديدة، نذكر منها:

١- سيطرة الفكر التخلفي القائم على دعوات استرخائية تنادي بآراء وأفكار ليس لها قاعدة من واقع، ولا تسهم في تشييد أو بناء بقدر ما تؤدي إلى استسلام وتراخ وخضوع. ونبع عن ذلك الفكر الاسترخائي، الذي تقمص آراء وفلسفات أجنبية، ظهور عادات التقديس للأحياء والأموات. فكان انصراف الجهد إلى احتفالات الموالد للأولياء المزعومين، وشد الرحال إلى الأضرحة والمقابر، وتبذير الطاقة في أعمال استهلاكية لا فائدة من ورائها غير إهدار قيمة الزمن، وعدم الاهتمام به وسيلةً لبناء الأرض وإعمارها من خلال بذل الوقت في التعليم والدرس، والتفكير المعين على إيجاد سبل تسهم في رقي الإنسان، وتمكينه من الحصول على حاجياته وتوفيرها له، وتشييد إرث علمي ينفع أجيالاً تالية.

٢- انطفاء شعلة الإبداع، وانصياع دارسي العلم لتيار الجمود اكتفاءً بما صنعه القدماء، والاتكال على فكرهم الذي قدموه؛ واستغراق الوقت في قراءات هامشية تستند إلى متون وشروح وحواشٍ ومختصرات لا تحمل من العلم إلا أقله، يكرر بعضها بعضاً بطرائق متفاوتة، وهو ما قد يكون سبباً في انصراف كثير من الناس عن الأخذ والتلقي للملالة التي اتَّسَم بها نمط الدرس التعليمي المقدم دون أن يكون هناك ما يسهم في جذبٍ أو استقطابٍ يسمح بتجاوز روح التقليد.

٣- سيطرة عناصر غير واعية بمسيرة الحضارة العربية الإسلامية على مُقَدَّرات العالم العربي سياسياً، ليس لها ما يربطها بتراثه وفكره، ولم تُبْدِ رغبة في تأصيل فكري لأنها لا تفهم ما يُقَدَّمُ، ومن ثم لم تجد ما يستدعي العمل على نشر معرفة أو علم. وإذا كان من رَدٍّ بأن مصر في عصر المماليك شهدت ازدهاراً في حركة المعرفة والعلم، فما ذلك إلا تواصلاً مع المرحلة القديمة السابقة، والدليل هو خمود شعلة المعرفة تدريجياً في أثناء حكمهم.

٤- توالي الضربات على العالم الإسلامي من الشرق والغرب؛ في استمرارية عجيبة منذ الاجتياح الصليبي، ثم المغولي البربري، وأخيراً الاستعمار الغربي؛ وما أدى إليه ذلك من تخريب في بنية العقل العربي، وإحباط مساره الإبداعي الذي ظهر في القرون الأولى، وترسيخ قيم غربية تمثلت في نشر الدروشة والتصوف الخرافي المملوء بالشعوذات والدجل؛ فكان الإذعان للخرافة والاستسلام للجهل، مما أوضحنا بعض صوره نقلاً عن الجبرتي وغيره، ونضيف هنا بعض ما كان عليه الوضع في مناطق إسلامية كثيرة، لا يزال فيها شيء مما كان حتى اليوم؛ إذ يكتب روجي لوتورنو، يعرض لوضع المسلمين عقيدياً واجتماعياً في دراسة له بعنوان: **أفريقية الشمالية: التشدد والارتباك**، فيقول:

فعبادة الأشخاص المقدسين التي وُجدت، كما رأينا تحت ستار الصوفية، لم تمت الآن، وتحتفظ البركة بجانب كبير من سمعتها بين الجماهير. ولا تتجه عبادة الأولياء إلى الأحياء فحسب، بل إلى الأموات أيضاً، وإنَّ كبار الأولياء، وصغارهم لا يزالون موضع التبجيل بحماسة بالغة.. وإن الذكر الذي يمارسه جميع أتباع الطوائف الدينية بنصوصه المرتبة على نظام خاص

التي تُتْلَى عدداً من المرات، والتي تُحَدَّدُ تحديداً صارماً، كل هذا تتجلى فيه جميع مظاهر العلاج الروحي[٨٣].

ومع أن صورة الإسلام كانت على ما وصف لوتورنو في أغلب مناطق العالم العربي والإسلامي؛ إلا أنه لم يفته أن ينفي أن تكون حقيقة الإسلام كما هي في تلك الصورة الشائنة فأنهى حديثه قائلاً: «وإذا تركنا مجال هذه الخرافات التي ليست من الإسلام في شيء تبين لنا بوضوح أن إسلام العوام يتضمن عدداً آخر من التناقضات...»[٨٤].

٥- انتشار التعامل مع السحر، والشعوذة، والروحانيات، وقراءة الطوالع والنجوم، وتفسير الأحلام، وقراءة الكف، وكل ما يؤدي إلى كسل العقل والركون إلى غيبيات بحثاً عن حلول لمعضلات دنيوية صحية واجتماعية واقتصادية وسياسية[٨٥].

الحاضر وعودة إلى الماضي:

وتحسر عالم عربي مسلم هو **عبدالقادر بن أحمد بدران** (ت ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م) على وضع المدارس في عهده، بعد أن عرض لأحوالها في القديم وأبرز ما كانت تلقاه من عناية فائقة، وما كانت تعج به من حركة فكرية؛ بل إن عنوان كتابه جاء كاشفاً عن ذلك التحسُّر، وقد أوضح ما استُبدل به العلم بين معاصريه، فقال:

يعلم المطالع لهذا الكتاب أن الزمان أخنى على معظم ما مر ذكره من المدارس والمعاهد العلمية، ولم نذكر ما أباده إلا للتذكار، وتنبيه القوم على ما أسس أسلافهم من المجد. ثم قام من بعدهم خلف أضاعوا العلم ودياره، وطمسوا معالمه وآثاره، حتى أصبح العلم عندهم جُبَّةً وعمامةً كبيرةً، واحتفاظاً برسوم ابتدعوها وتداولوها، وحِفْظَ خرافات يأخذونها عن

العوام وعجائز البيوت، وفخفخةً وأنساباً ما أنزل الله بها من سلطان، واختراعَ كرامات للعظام والرفات، وعقولاً جامدة وأفهاماً كاسدة[٨٦].

وكما قابل عبدالقادر بدران بين التدهور الذي آل إليه وضع العرب والمسلمين في عصره، فقد عرف لوتورنو وغيره حقيقة أن الشعوب التي كانت على عهدهم تمارس طقوساً تخلفية، وتعيش في أمية وجهالة، كان أسلافها يتمتعون بحياة أخرى، يمثل العلم والإيمان بالكلمة أساساً رئيساً من أسس بنيانها الراقي الذي اندثر تحت وطأة الانسلاخ عن العقيدة والفكر النقي، وانحدر أهله إلى الدروشة والفكر المشوش اللذين اختلطت فيهما حقائق العلم بِكَمٍّ هائل من الجهل الدراويشي.

فإذا كان لوتورنو وغيره يتحدثون بحسرة عن خلف تُعشش الأمية بين ظهرانيهم، ويمثلون صورة الإسلام لإنسان الغرب الذي لا يعرف من تاريخ العرب والمسلمين إلا أقله، فقد أرادوا إعطاء هذه الأمة بعض حقها في حضارة الإنسان، وسعوا لإظهار جانب من ريادتها للعلم والمعرفة، فكان أن كتب جملة منهم عن حضارة العرب والمسلمين، من مثل: **آدم متز** (ت ١٣٣٥هـ/١٩١٧م) الذي يعقد موازنة طريفة بين وضع المكتبات في العالم الإسلامي والعالم الغربي، فيعرض لوضع المكتبات في عصور الازدهار الإسلامي، وما كان يضمه بعضها من كتب تصل إلى مئات الآلاف، وما كانت تحظى به من رعاية واهتمام يفوقان الوصف، ثم ينتقل إلى وصف وضعها في الغرب في الفترة الزمنية نفسها فيقول:

ولنذكر ما كان في بعض خزائن الكتب في الغرب على سبيل المقارنة: كان في مكتبة الكاتدرائية بمدينة كنستانز في القرن التاسع الميلادي ثلاثمائة وستة وخمسون كتاباً، وفي مكتبة دير البندكتين عام ١٠٣٢م ما يزيد على

المائة بقليل، وفي خزانة كتب الكاتدرائية في مدينة بامبرج سنة ١١٣٠م ستة وتسعون كتاباً فقط[٨٧].

أما **زيجريد هونكه** (ت ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م) مؤلفة: **شمس العرب تسطع على الغرب**، فتقدم موازنة طريفة صاغتها بأسلوب قوي مؤثر لتعلن لمعاصريها أن ما يرونه من تخلف وأمية تنغمس فيها شعوب العالم العربي والإسلامي إنما هي أمور طارئة؛ فما كان أسلاف هؤلاء إلا سادة العلم والحضارة.

تقول هونكه في موازنتها:

وبينما كان شارل الأكبر يجهد نفسه في شيخوخته لتعلم القراءة والكتابة، وبينما أمراء الغرب يعترفون بعجزهم عن الكتابة أو القراءة، وفي الأديرة يندر بين الكهنة من يستطيع مسك القلم، لدرجة أنه عام ١٣٩١م لم يكن في دير القديس جالينوس من الكهنة والرهبان من يستطيع حل الخط، بينما هذا كله يحدث في الغرب، كانت آلاف مؤلفة من المدارس في القرى والمدن تستقبل ملايين البنين والبنات، يجلسون على سجادهم الصغير، يكتبون بحبر يميل إلى السواد فوق ألواحهم الخشبية، ويقرأون مقاطع من القرآن حتى يجيدوها ويُجَوِّدُون ذلك معاً بلحن جميل عن ظهر قلب، ثم يتقدمون خطوة تلو الأخرى في تَعَلُّم المبادئ لقواعد اللغة، وكان الدافع إلى كل هذا هو رغبتهم الصادقة في أن يكونوا مسلمين حقاً، كما يجب أن يكون المسلم فلم يجبرهم أحد على ذلك؛ بل اندفعوا إليه عن رغبة وإيمان، لأن من واجب كل مسلم أن يقرأ القرآن. وهنا تتسع الهوة بين الشرق والغرب أيضاً، فالكتاب المقدس لا يجد أَحَدٌ إليه سبيلاً إذا استثنينا الكهنة ورجال الدين؛ فَهُم وحدهم يستطيعون قراءته وفهم لغته، ولم

تكن هناك حاجة تدعو الشعب في تلك العصور إلى تعلم اللاتينية ؛ بل لم تكن هناك أية رغبة في تعليم الشعب أو تثقيفه ، وعلى خلاف ذلك كان الحال في العالم الإسلامي ، لقد اهتمت الدولة بتعليم الرعية ولم تلبث أن جعلت من التربية واجباً ترعاه(٨٨) .

وتمضي هونكه في حديثها الماتع الذي استغرق فصلاً كاملاً هو الثامن عنونته بـ « شعب يذهب إلى المدرسة » ، تصف فيه الرقي العلمي ، والتقدم الثقافي والتطور في النظام التربوي عند العرب والمسلمين في وقت كان الغرب يعيش فيه جهالة عمياء وأمية بائسة .

باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين :

وقول الله عز وجل : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ﴾ . في « الصحيح » عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ ، قال : « هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هَلَكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم ، ففعلوا ، ولم تُعبد ، حتى إذا هلك أولئك ونُسِيَ العلم ، عُبدت » .

وقال ابن القيم : قال غير واحد من السلف : لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ؛ ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم .

وعن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ؛ إنما أنا عبدٌ ، فقولوا : عبد الله ورسوله » أخرجاه .

وقال : قال رسول الله ﷺ : « إياكم والغُلُوَّ ، فإنما أهلك من كان قبلكم الغُلُوُّ » .

ولمسلم عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «هلك المتنطعون» قالها ثلاثاً.

فيه مَسَائل:

الأولى: أن من فهم هذا الباب وبابين بعده، تبيّن له غربة الإسلام، ورأى من قدرة الله وتقليبه للقلوب العجب.

الثانية: معرفة أول شرك حدث على وجه الأرض أنه بشبهة الصالحين.

الثالثة: أول شيء غُيّر به دين الأنبياء، وما سبب ذلك مع معرفة أن الله أرسلهم.

الرابعة: قبول البدع مع كون الشرائع والفِطَر تردها.

الخامسة: أن سبب ذلك كله مزج الحق بالباطل؛ فالأول: محبة الصالحين، والثاني: فعل أُناس من أهل العلم والدين شيئاً أرادوا به خيراً، فظنّ من بعدهم أنهم أرادوا به غيره.

السادسة: تفسير الآية التي في سورة نوح.

السابعة: جِبِلّة الآدمي في كون الحق ينقص في قلبه، والباطل يزيد.

الثامنة: فيه شاهد لما نُقل عن السلف أن البدعة سبب الكفر.

التاسعة: معرفة الشيطان بما تؤول إليه البدعة ولو حَسُنَ قَصْدُ الفاعل.

العاشرة: معرفة القاعدة الكلية، وهي النهي عن الغُلو، ومعرفة ما يؤول إليه.

الحادية عشرة: مضرة العكوف على القبر لأجل عمل صالح.

الثانية عشرة: معرفة النهي عن التماثيل، والحكمة في إزالتها.

الثالثة عشرة: معرفة عظم شأن هذه القصة، وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها.

الرابعة عشرة: وهي أعجب وأعجب: قراءتهم إياها في كتب التفسير والحديث، ومعرفتهم بمعنى الكلام، وكون الله حال بينهم وبين قلوبهم

> ***حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح هو أفضل العبادات، واعتقدوا أن ما نهى الله ورسوله عنه، فهو الكفر المبيح للدم والمال.***
>
> ***الخامسة عشرة: التصريح أنهم لم يريدوا إلا الشفاعة.***
>
> ***السادسة عشرة: ظنهم أن العلماء الذين صوروا الصور أرادوا ذلك.***
>
> ***السابعة عشرة: البيان العظيم في قوله ﷺ: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم»، فصلوات الله وسلامه على من بلّغ البلاغ المبين.***
>
> ***الثامنة عشرة: نصيحته إيانا بهلاك المتنطعين.***
>
> ***التاسعة عشرة: التصريح بأنها لم تُعبد حتى نُسي العلم، ففيها بيان معرفة قدر وجوده ومضرة فقده.***
>
> ***العشرون: أن سبب فقد العلم موت العلماء.***
>
> *[محمد بن عبدالوهاب/ كتاب التوحيد، ص٤٣-٤٥]*

مرحلة الأمية التي يتحمل وزر تفشيها وانتشارها التصوف الخرافي والدروشة وتقديس أشخاص، والانكباب على الاعتقاد في الأولياء، وتشييد الأضرحة على المقابر، وإزهاق الزمن في أعمال مقيتة ليست من عقيدة ولا من علم، والإيمان بالسحر والطلاسم. وقد استطاع بعض دعاة العودة إلى روح الإسلام الصافية النقية دحرها في مناطق محددة من العالم العربي والإسلامي دحراً تاماً شاملاً؛ مثل: **محمد بن عبدالوهاب** (ت ١٢٠٦هـ/١٧٩٢م)، في وسط الجزيرة العربية الذي استفاد، في دعوته، من دعم سياسي كامل قدمه له الأمير **محمد بن سعود** (ت ١١٧٩هـ/١٧٦٥م)، فَخَلّصَ جزءاً كبيراً من الجزيرة العربية من أدرانها، كما خرج آخرون في أماكن أخرى؛ مثل: **محمد بن علي الشوكاني** (ت ١٢٥٠هـ/

١٨٣٤م)، الذي قام بدور إصلاحي مهم في اليمن، **وعبدالحميد بن باديس** (ت ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م)، الذي قاوم الفكر الخرافي في الجزائر، **وعبدالرحمن الوكيل** (ت ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م) الذي قاوم الفكر الصوفي في مصر. والمؤسف أن الدعوات الإصلاحية الأخرى لم يُكتب لها النجاح في مواطنها إلا بقدر محدود جداً؛ مما أدى إلى تفشي الأمية وانتشارها؛ فبقيت ترتع وتحظى بتأييد في أصقاع كثيرة من العالم العربي والإسلامي، وشكلت عامل قهر وسلب لأي توجه مناهض للأمية، فكان الناتج ما نراه من تغلغل التقديس لأفراد أو أشخاص، واعتقاد في ولي، والسير وراء درويش، والتقزم أمام مقابر وأضرحة تحمل أجداثاً رحلت بمحاسنها أو مساوئها إن كانت.

إني بُليتُ بأهل الجهل في زمنٍ
قاموا به ورجال العلم قد قعدوا
قومٌ يدقُّ جليلُ القول عندهم
فما لهم طاقةٌ في حَلِّ ما يَرِدُ
وغاية الأمر عند القوم أنهمُ
أعدى العُداة لمن في علمه سَدَدُ
إذا رأوا رجلاً قد نال مرتبةً
في العلم فوق الذي يدرونه جحدوا
أو مال عن زائف الأقوالِ ما تركوا
باباً من الشر إلاّ نَحْوَهُ قصدوا
أمّا الحديثُ الذي قد صح مَخْرَجُهُ
كالأمَّهاتِ فما فيهم لها ولدُ

تراهم إن رأوا من قال حَدَّثَنا
قالوا له ناصبيٌّ مَا له رَشَدُ
وإنْ تَرَضَّى على الأصحاب بينهُمُ
قالوا له باغضٌ للآل مُجْتَهِدُ
يا غارقين بِسَوْم الجهل في بدعٍ
ونافرين عن الهَدْي القويم هُدُوا
أفي اجتهاد فتًى في العلم منقصةٌ
النقصُ في الجهل لا حَيَّاكُم الصَّمَدُ
لا تُنكروا مورداً عذباً لشاربه
إن كان لا بد من إنكاره فَرِدُوا
وإن أبيتم فيومُ الحَشْر موعدنا
في موقف المصطفى والحاكم الأَحَدُ

[ديوان الشوكاني «أسلاك الجوهر»، ص١٢٥-١٢٦]

ومن أدهى نماذج التقديس التي لا زالت متفشية – على ما لحق العالم من تطور كبير – الاعتقاد بقدرة المُقَدَّسِ على القيام بأعمال خارقة، ومن ثَمَّ التوجه إليه كتابياً بمطالب أو شكاوى أو استغاثة، كما وضح **سيد عويس** (ت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) في كتابه «**رسائل إلى الإمام الشافعي**»، الذي استقى مادته من رسائل بريدية أُرسلت إلى ضريح الإمام الشافعي.

ومن نماذج الرسائل التي أوردها رسالة بعث بها رجل من محافظة الفيوم بمصر في سنة ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م يقول فيها:

أمّا بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته سيدي الإمام الشافعي مقدمه

لعزتكم فلان من عزبت (عزبة) شافعي أبو الحسن تبع الروفته مركز طامية فيوم أرجو التحقيق في من تعدا على منزلي وسرقني، وكل من تعدى قبل ذلك ولم أشعر بهم حيث أني رجل ضعيف لم أستطع المقاومة ورفعت أمري لكم... إلخ[٨٩].

ورسالة أخرى من امرأة تعرض شكواها على الشافعي قائلة:

... ويا سيدي الإمام الشافعي أنا مستغيثة بك أن تخلصلي (تخلص لي) ذنبي من فلانة بنت فلان ويارب تقبل دعوة سيدي الإمام الشافعي بأن فلانة إن أخذت فلان... لا تطول ولا تنول... ولا تدادي ولا تنادي طول عمرها، لأنها السبب في فصلي عن زوجي، ويا سيدي الإمام الشافعي كل من قطعتني من زوجي اقطعها من ولدها واستعين بالله عليها بأن لا تخلف ولا تتلف طول حياتها، ويا سيدي الشافعي خلص خلاصك في كل من افترى عليَّ وعلى الله خلاص الحق وأن الله على كل شيء قدير[٩٠].

ومن أهم ما انتهى إليه مؤلف الكتاب في النتائج أن الإمام الشافعي *هو شخص حي في عقول مرسلي الرسائل، وهو ذو سلطان، ومُلْهَمٌ، وبصيرته تخترق الحجب والأستار، يقوم باختصاصات متعددة من صميم اختصاصات وزارات ومصالح الداخلية والعدل والشؤون الاجتماعية والعمل والصحة، وبلغت مكانته عند مرسلي الرسائل «مقاماً أعلى من مقام الملوك والحكام، بل رب من الأرباب*[٩١].

وإلى جانب ضريح الشافعي الذي حظي بالدراسة التوثيقية السابقة، فإن باحثاً آخر يذكر أن لا حصر ولا نهاية للموالد في مصر *ولا حَدَّ لقصص المعجزات التي تُروى عن كل وَلِيٍّ وقديس. وأضرحة الأولياء التي تنتشر في مدن مصر ونحو ستة آلاف قرية، هي مراكز لإقامة*

الموالد وتجمع المريدين والمحبين، ويمكننا القول: إنه من الصعب أن نجد يوماً - على مدار السنة - ليس فيه احتفال بمولد وَلِيٍّ في مكان ما بمصر!

والاعتقاد الشعبي ترسخت فيه فكرة: أن الأولياء والقديسين هم الواسطة بين الإنسان وخالقه.. ولا أتجاوز الحقيقة إذا قلت بأن المعتقد الشعبي يعترف للأولياء بسلطان لا حدود له، ويضفي عليهم من الصفات المعجزة الخارقة للطبيعة، ما لا يختلف كثيراً عما نسبه الفراعنة والإغريق إلى آلهتهم، وأن المسافة الفاصلة بين الإنسان والذات الإلهية يمكن اجتيازها بسلوك مقامات الطريق حتى تنكشف الحجب!... وينجلي ما هو مسطور في اللوح المحفوظ في رؤى منامية تمحو الزمان والمكان... فيفيض النور على الصدور[٩٢].

لم يعد المقدس الذي يتوجه إليه الناس في الموالد، والذي يُطْلَبُ منه ما تختص به الذات الإلهية وحدها مقتصراً على ذوي المكانة مثل الحسين أو الشافعي؛ بل تعدى ذلك ليشمل آلاف الأولياء، وجلهم من المجاهيل، يتوجه إليهم الناس ويلجؤون إليهم - دون رب العباد - ويُشْغَلُون بهم عن العمل النافع، في احتفاليات أقرب ما تكون إلى الشعائر الوثنية، فعند مقام الشاذلي يتوافد كل عام في وقفة عرفات أحبَّاءُ الشاذلي وأتباعه

من جميع المهن والطبقات، قاصدين مقام الشيخ في (حميثرا) التي كانت محطة للقوافل على طريق الحج القديم.. تكاد تختفي الإبل والحمير، فقد حلت محلها السيارات بأنواعها، تغص بالأحباب والأسواق والذبائح والدقيق والحلوى والكساوي، وتمتلئ الساحة المحيطة بالمسجد وسفح الجبل بخيام الزائرين.. حلقات الذكر تشتد حول الضريح، والأضحية تُذبح على جدرانه، والمقام مغطى بالرسائل التي تحمل الأماني، وطلب الشفاعة... وأبرز ظاهرة هي: الطواف بكسوة

المقام، ويحرص الجميع على شهوده[٩٣].

وما يحدث عند مقام الشاذلي هو مثال لما يحدث عند المقامات والأضرحة الأخرى التي يتجاوز عددها عشرات الألوف في كثير من بلادنا العربية.

والمؤسف أن التصوف يجد اليوم أرضاً خصبة في كثير من مناطق العالم الإسلامي، وهي مناطق لها صلة ثقافية وتاريخية بالعالم العربي عبر التاريخ، مما يعني أن ما ينتشر هنا ينتشر هناك. ففي جمهورية مالي، وهي على التخوم العربية، ينتشر التصوف انتشار النار في الهشيم، يقوده أفاقون دجالون لا يعرفون من الإسلام إلا اسمه، تتبعهم الدهماء، يقدسونهم ويتقربون إليهم؛ ومن أقبح نماذجهم الصوفي **آدم يلكوي Adam Yalcouye**، وهو من مواليد ١٩٦٠م، يجمع في ثقافته البدائية بين الإسلام والنصرانية، يقدم نفسه باعتباره مسلماً وصوفياً ويدعو إلى وحدة المسلمين والنصارى وغيرهم. يحمل صليباً محاطاً بكلمات عربية، ويتبعه أخلاط من الناس؛ من طلاب وموظفين حكوميين وعاطلين عن العمل، يطلبون منه البركة. وبلغ من تأثيره أن رئيس مالي السابق موسى تراوري قام في سنة ٢٠٠٢م بعد إطلاق سراحه من السجن بزيارته والتقط صوراً معه، كما زاره أحد المغنين الماليين ذات مرة طالباً بركته قبل السفر في رحلة غناء إلى أوربا[٩٤].

وهناك صوفي آخر من المنطقة نفسها يدعى بلالاً، وهو أيضاً في منتصف العمر، ألف كتيبات قصيرة في التصوف، ويزعم أنه وصل إلى أعلى مستوى في التصوف، له:

أتباع كثيرون ونواب وخلفاء، وقد افتتح العديد من الزوايا أو مراكز الصوفية في مناطق مختلفة في العاصمة، وفي بعض القرى. ولا يذكر بلال

أو يتحدث عن أيٍّ من أساتذته أو الذين عرّفوه التصوف أو عرفوه طريقة صوفية معيَّنة، وبدلاً من ذلك، كغيره من الصوفية في هذه المنطقة، إنه يشير إلى زياراته الكثيرة لضرائح الأولياء في مالي وغيرها من شمال وغرب أفريقيا(٩٥).

وتبدو أفكار بلال:

خليطاً أخرق من أفكار ووسائل الطرق الصوفية المختلفة، وبالأخص من القادرية والتيجانية. وبغض النظر عن محتويات كتيباته، إنه من الغريب أن لدى بلال نوعاً من التسويق الديني الجديد الذي ينمو ويتطور حوله. إن جميع الأشياء من قبيل المطبوعات والإعلانات ووسائل الإعلام ولوحات الإعلانات والموقع في الشبكة العنكبوتية، تساعد بلالاً في تسويق شهرته وحرفته، وظهرت قبل نشر كتيباته إعلانات مدفوعة الثمن في «كاباكو»، إحدى جرائد مالي التي بدأت في ١٩٩٠م، ومعنى «كاباكو» حرفياً «أشياء مذهلة»، في لغة بامبارا (التي تعدّ أهمّ اللغات ووسيلة الاتصال المشتركة في مالي، وكلمة بامبارا هي أيضاً اسم المجموعة العرقية الأكبر عدداً في البلاد). وتعدّ هذه الجريدة من جرائد مالي الأكثر إثارة، وتقدم الجريدة على العموم تغطية منتظمة للفضائح والخدائع والإشاعات والأشياء المدهشة. وكلمة «كاباكو» - في الواقع - هي ترجمة مألوفة في لغة بامبارا للكلمة العربية «كرامات»، بمعنى الأعاجيب المعتادة لدى الأولياء المسلمين، وتبالغ الجريدة في الاهتمام بالأعاجيب. لقد نشرت جريدة «كاباكو» في عدة مناسبات إشادات بكتيبات بلال الأخيرة، إما قبيل ظهور الكتيبات أو بعدها (دون اسم، ٢٠٠٠م، دون تحديد اسم، ٢٠٠٣م، بُوابري ٢٠٠٣م).

يظهر الإعلان عن منشورات بلال بشكل منتظم في بعض محطات الإذاعة الخاصة بمدن باماكو وسيغو، وفي بعض الأحيان بالاقتران مع الأناشيد المسجلة في مدح بلال. ومع أن بلالاً قد موّل نشر كتيباته، فهي ليست قابلة للتطور فحسب، بل مربحة تجارياً أيضاً، ويظهر أن المؤلف نفسه قد حدد أسعار بيع كتيباته. إن كتيبات بلال، كما يلاحظه كثير من سكان مالي، هي أكثر ثمناً بشكل ملفت بالمقارنة مع كتيبات أخرى عن موضوعات متشابهة وبنفس الطول وجودة الورق والتجليد وما إلى ذلك. وكتيبات بلال متوافرة للبيع في جميع المكتبات الإسلامية الرئيسة في باماكو وفي مراكز المدن الأخرى مثل سيغو، حيث تعرض في مكان بارز. ويؤكد أصحابُ المكتبات الماليُّون والمستخدمون فيها أن كتيبات بلال تباع بشكل سريع.

ومما يثير الدهشة التركيز التام في جميع المكتبات على بلال بوصفه شخصية دينية مميزة بادّعائه لعلم باطني سري متفوق، ويتوافق ذلك بالتأكيد مع الممارسة الصوفية العادية في مالي، لكن الطريقة التي تستخدم فيها المطبوعات وسيلة لأغراض التسويق لمنفعة بلال هي ظاهرة جديدة في هذه البلاد. إن كل واحد من كتيباته يتزين بصورة لبلال في الغلاف الخارجي، والصور التي في داخل الكتيبات تقدمه في موضع مُوحٍ منفرداً أو محاطاً بأتباعه، أو ينزّل في بعض الصور بركة على أفراد أو مجموعات يطأطئون رؤوسهم ناحيته أحياناً، كما هو الحال في (P. 86) صورة بعنوان «الشيخ مع تلاميذه» (بلال، دون تأريخ ٤ : ٤٧). بدأت صور القادة المسلمين ذوي الطابع الديني تظهر في الفيديو عام ١٩٨٠م، بينما يرجع ظهورهم في الصور التي توضع على الصدور وتطبع على

الأنسجة إلى سنوات سابقة .

يوجد في جميع كتيبات بلال أرقام الهواتف المحمولة التي يستخدمها هو، بالإضافة إلى بريده الإلكتروني والموقع الخاص به على الشبكة العنكبوتية، حيث يجد القارئ في هذه الكتيبات سيرة ذاتية مختصرة له ولبعض أتباعه وأرقام هواتفهم، غير أن كُتَيِّبَه الأول الذي طُبع قبل أن تنتشر الهواتف المحمولة في مالي لا يحتوي على تلك المعلومات عن الهواتف، وحسب علمي أن بلالاً هو القائد المسلم الوحيد من ذوي الطابع الديني الذي يمتلك موقعاً إلكترونياً - مهما تكن الأهداف الأخرى للموقع - فهذه المعلومات للاتصال التي قُدِّمَتْ، هي جزء من النشاط الواسع لتسويق منهج التصوف عند هذا المغامر .

إن تقديم وصف اجتماعي لأتباع بلال ليس بالأمر السهل، بسبب تنوّع أعمالهم؛ فمنهم الزرّاع والتجّار والباعة والصغار وخريجو المدارس العامة ومدارس التعليم الإسلامي، وكذا طلبة الجامعات وخريجوها، والعاملون في المكاتب، والموظفون المدنيون . ومع أن الأغلبية الساحقة من الأتباع والمفوَّضين يبدون شباباً حضريين فقراء، فإنهم في الحقيقة ينتمون إلى حافة المجتمع، وينضم إليهم المتحضرون حديثا الذين يجتهدون لكسب الرزق في ظروف قاسية في هذا العصر ذي الإصلاحات المتحررة الحديثة، والأجور الواقعية المتضائلة، ومستوى المعيشة المنخفض، وتضاؤل الخدمات العامَّة والتعليم .

إن تسويق بلال موجَّه؛ ليس إلى هذه الفئة فحسب؛ بل إلى الجمهور العامّ بما فيهم أتباع محتملون ومتعاملون، والذين يريدون الاتصال بهذا الصوفي الجديد من أجل خدماته لغرض الحصول على الأموال والصحة الطيبة،

والنجاح في هذه الأوقات المتقلبة اقتصادياً(٩٦).

ومثل هذا يتم ويجرى في مجتمعات عربية وإسلامية كثيرة في غفلة تامة من موقف رسمي يمنع مثل هذه الترهات ويعيد الممارسين لها إلى جادة الصواب، عن طريق المنهج التعليمي وخطباء المساجد، وعلماء الدين الذين يتحملون الوزر الأكبر لمسايرتهم التقاليد البالية التي راكمتها الأمية، والبعد عن روح الإسلام النقي؛ لتظل هذه التقاليد عائقاً أمام الرقي بالإنسان وتفاعله مع معطيات الحياة المعاصرة؛ ليزداد تَرَسُّخُ الجهل وتتجذر الخرافة.

الجناية على التعليم:

والحديث عن تطوير نظم تربوية لن يجدي قبل الخلاص من بقايا وثنية شابت العقيدة فألهت الإنسان عن السعي نحو العلم متسلحاً بإيمان نقي لا مكان فيه لاعتقاد بدرويش أو وَلِيٍّ، أو غير ذلك، وكذلك إعطاء الفرصة لروح التجديد والانطلاق نحو عوالم أرحب فكرياً تعين على تشييد بنية ثقافية معاصرة تلتحم بأصالة الماضي قبل عصور الانحدار.

ففي خضم التطور العلمي الكبير الذي يشهده العالم، والذي تنتج منه يومياً عشرات النظريات والاختراعات التي تخدم الإنسان، وتهدف إلى تسهيل جوانب حياته التي يعيشها على هذه الكرة الأرضية، نجد أن النظم التعليمية كانت قاعدة الانطلاق، بعد أن تخطت مرحلة الاجترار واختزان المعلومات المؤدية إلى حشو الأذهان بخليط من المعارف التي لا غرض لها إلا السير بالإنسان نحو الحصول على شهادة مكتسبة، تمكنه من افتراش مقعد وظيفي يقبع عليه؛ ليس بينه وبين تحصيله السابق أية علاقة أو رابطة؛ مما يدفع به إلى نسيان كل ما حصل عليه في سنوات الدراسة، إلى مرحلة تسعى لتقديم المعارف التي تُنَمِّي فيه ملكة الإبداع،

وتدفع به إلى التفاعل والتجريب وإطلاق العنان للعقل نحو القبول والرفض والمناقشة دون خوف أو تردد.

فالنظام التعليمي التقليدي القائم على تلقين روتيني من المدرس وإنصات تام من المتلقين، ثم إفراغ حصيلة أشهر متعددة من الاختزان غير الواعي على أوراق في نهاية الفصل الدراسي؛ دون أن يكون هناك أي وعي من الملقي والمتلقي بأهمية المشاركة والتفاعل، هذا النظام هو الذي يقف اليوم حجر عثرة أمام كثير من شعوب العالم الثالث لتأخذ دورها في مسيرة صنع حضارة الإنسان المعاصر؛ إذ إن الناتج عادة لا يتعدى تخريج كتبه وموظفين، ينضمون إلى من سبقهم؛ ليصبحوا حلقة في دائرة تتحرك في آلية متبلدة تتشكل الفراغات فيها من خلال نقلات عشوائية، الكل ينظر إلى المقعد التالي الذي يتناسب مع سنوات الخدمة والشهادة المكتسبة التي يحملها.

ولا يمكن للمرء أن ينحو باللائمة على الناتج الذي يعيش للوظيفة ويعمل في سبيل الترقي إلى الأعلى في سلمها المتدرج؛ بل إن اللوم يجب أن يُوَجَّهَ إلى العملية التعليمية التي أدت إلى هذا الناتج الذي تولد بسبب خمولها وتداعي أهدافها، ومحدودية نظرتها، على الرغم من توافر الظروف الملائمة لنقلها إلى دائرة التفاعل.

فأنظمة التعليم التي تسود عالمنا الثالث تتركز في ممارسات جامدة حيث يقف المدرس أمام جمهرة الطلاب ليلقي حصيلة قراءة محددة تتناسب مع ما يعتقده من مستويات دنيا للمستمعين؛ فيلقي ما لديه في رتابة، ويستمع الحضور في ملل وخواء ذهني إلى ما يقال دون وعي أو فهم! وما يلقيه المدرس قد يكون مجرد مواد مختزنة في الذاكرة مستمدة من

كتاب له أو من مقرر فُرِضَ عليه تدريسه، وحصيلته معلومات لا تقدم جديداً؛ بل قد تكون مجرد تسطيح أشوه لمعرفةٍ كانت ذات يوم جبهة تقدم وتطور وتحديث شامل طرأ عليها.. ربما لا يكون المدرس راضياً عما يقوم به، ولكنه يُدْفَعُ إلى ذلك دفعاً نتيجة التزامه مقرراً أو منهجاً يُفرض عليه فرضاً من الجهة أو الهيئة التي يعمل فيها، وقد يُحَاسَبُ حساباً عسيراً لو أَخَلَّ به أو خرج على إطاره، ومع مرور الأيام يتأصل الخضوع للمطلوب ويُخَيِّمُ الكسل عليه؛ مما يفضي به إلى أمور من بينها:

١- عدم الرغبة في المتابعة والتقصي لما يَجِدُّ في إطار تخصصه لشعوره بعدم الحاجة إلى ذلك.

٢- القناعة التامة بأن جمهرة المتلقين على درجة كبيرة من القصور المعرفي، لذا فهم لا يستحقون أكثر مما يقال مما يمتحه من مخزونه القديم.

٣- الانشغال بقضايا الحياة الأخرى، والانصراف عن تطوير الذات في مجال التحصيل.

٤- الاستسلام للرتابة والتبلد الفكري.

٥- الاهتمام بشكليات لا علاقة لها بالقضية التعليمية، إن لم تكن في واقع الأمر إعاقة جديدة تعمل على توسيع الفجوة بينه وبين المتلقين، وتسهم بشكل مباشر في قتل أي طموح قد يكون لدى واحد أو مجموعة منهم.

ومن هنا نجد المدرس، الذي يُفترض فيه أن يكون مُوَجِّهاً ودافعاً ومعيناً على تفتيق القدرات الذهنية للطلاب، ومساعداً لهم على التلقي الواعي الذي يرتكز على حب المعرفة لذاتها من خلال إعمال العقل بحثاً عن المسببات والنتائج، قد تحول إلى أداة تشارك في قتل الملكات المبدعة، وَشَلِّ العقول القادرة على التفكير والتمحيص والتفاعل المبني على القناعة.

ويأتي دور الامتحانات، فإذا بها لا تقل قسوة - بما تؤدي إليه من إحباط - عن دور المدرس، وكيف لا تكون كذلك وهي نتيجة واقعية لما يرمي إليه منهج التعليم الاتكالي؛ فالمادة المقدمة في أشهر، والتي لم يجد فيها المتلقي أية فائدة أو متعة ذهنية، يُطَوِّعُ قدراته لاختزانها في أيام؛ فيتهالك على الاستذكار متيقظاً في الأيام الأخيرة من الدراسة لإشارات المدرس ليصطاد المهم من غير المهم، ثم يبدأ مرحلة الغربلة حاذفاً ما يشعر بأنه لن يرد في ورقة الامتحان مركزاً على الجزء المتبقي الذي سيأتي.

وبما أن الأسئلة لن تطالب المتلقي - عادة - بغير إفراغ ما أُعطي خلال أيام الدراسة؛ فإن الناتج المدون في ورقة الامتحان سيكون صياغة محفوظة أو مركبة لن تخلو من أسلوب الملقي نفسه؛ فتنعدم بذلك شخصية المتلقي الذي لا يفرز غير تصورات مبتورة لقضايا ومسائل؛ قد يكون بعضها على درجة كبيرة من الأهمية ويحفل بمجال واسع للنقاش وإبداء الرأي، ولكن اللجوء إلى ذلك قد تكون فيه مخاطرة؛ إذ إن التقويم سيعتمد في النهاية على المحصلة المأخوذة عن الأوراق الممثلة لما أعطاه الملقي فيما سلف من أيام قبل معركة الامتحانات.

إذن فالعملية - في مجملها - ليست إلا تلقياً لمعلومات تُقَدَّمُ في أسلوب باهت، غير شائق، يخلو من الحركية، ويفتقر إلى الإثارة التي تعمل على التفاعل مع المادة المقدمة، مما يعني أن الطالب سينتظر الأيام السابقة على الامتحان ليسارع إلى إجراء الغربلة، ثم يشرع في الحفظ واختزان المتبقي في آلية صماء؛ سارداً لها كما حفظها أو اختزنها على ورقة الامتحان، يسيطر عليه التوتر والخوف، إذ إن نسيان نقطة ما قد يؤدي إلى نقصان درجات هي ما يحتاج إليه ليجتاز الامتحان، أو

ليحصل على الدرجة القصوى.

وأسلوب كهذا هو - دون شك - عاملٌ معوِّق لإخراج مبدعين قادرين على التواصل مع حركية العلم في حرية تمكنهم من الرفض والتبرير والاستناد إلى شواهد مأخوذة من مصادر خارجة على دائرة الكتاب المقرر والمذكرة التي جادت بها قريحة المدرس.

ويبرز الفرق الشاسع بين النظام التعليمي الاتكالي، وما يؤدي إليه من عقم في التجربة النهائية للطالب الذي ستنتهي صلته بالعلم فور حصوله على الشهادة التي يسعى لنيلها، واستقراره على المرتبة الوظيفية التي تلائم تلك الشهادة، وبين النظام التعليمي الذي يسعى - أساساً - لتحصين الإنسان بمعرفة معاصرة يقبلها قانعاً راضياً بمعطياتها، وينميها قارئاً ومناقشاً وباحثاً، يقبل ويرفض، لينتهي إلى تطوير أو تعديل أو ابتكار يخرج به من دائرة الاتكال إلى دائرة الإبداع.

وبما أن لكل من الطريقتين قنواتها الموصلة إلى الناتج، أو المحصلة التي تحدد شخصية المتلقي الذي قضى زمناً في فصول الدراسة مفرغاً وقته وباذلاً جهده ليصل إلى مبتغاه؛ فإننا نجد الطريقة الاتكالية التي يمثل المدرس محورها، ترتكز بكاملها على ما يقدمه داخل الفصل إضافة إلى الكتاب المقرر أو المذكرة المطبوعة، وصَبِّ المحصول الضئيل في امتحان لا قيمة للرأي أو النقاش فيه؛ إذا المطلوب فقط سرد ما تم تلقينه بحذافيره دون زيادة أو نقص.

وقد يلجأ بعض المدرسين إلى تكليف طلابه ببحوث، ولكنها في حقيقتها ليست إلا تسويد وريقات بمعلومات متداخلة غير أصيلة، لا يُهتم فيها بمنهج بحث أو بكتابة علمية، إذ إنها مجرد نقل لصفحات، ومحاولة

ربط بين جمل وعبارات مع إشارات إلى مصدر أو اثنين، ومثل هذه البحوث لا يؤدي إلى تطوير قدرة الطالب على البحث والنقاش، بقدر ما يرهق كاهله بالنقل الحرفي فتكون النتيجة ترسيخاً للاتكالية.

كما أن استخدام المكتبة، وتَعَوُّد أجوائها واللجوء إلى محتوياتها؛ من أوعية المعلومات المختلفة للاستفادة في إضافة معلومات جديدة والوقوف على آراء وأفكار أخرى، هي ممارسةٌ تكاد تكون غير معروفة تماماً، مما جعل من المكتبات مجرد أماكن للاستذكار والمراجعة والقراءة المسلية العابرة من قبل قطاع كبير من الطلاب على المستوى الجامعي. ولن نلوم الطالب هنا؛ فهو ما دام على يقين تام بأن ما يحتاج إليه في الامتحان النهائي هو المقرر أو ما ألقاه المدرس؛ فما الذي يدفع به إلى التوغل في قراءات قد يكون مردودها سلبياً عليه، فالعلامة الكاملة يظفر بها حافظٌ يسرد ما وعاه وحفظه في ورقة الامتحان ليقتنص العلامة الكبرى؛ في حين أن الطالب الذي يقرأ في مصادر أخرى ويطلع على أفكار وآراء متعددة يناقشها نقاشاً علمياً؛ قد يرتاب المدرس في أمره، فيكون مصيره الرسوب أو الحصول على أدنى درجة ممكنة، وذلك لأن المدرس ربما لا يجد دافعاً يدفع به إلى محاولة التثبت من المعلومات المدونة التي تُعَدُّ خارجة على إطار ما قدمه وجاد به على تلاميذه في الفصل، وبذلك فإن الحافظ سيتفوق على القارئ الواعي الذي استعان بالمصادر وهضم أكبر قدر ممكن من المعلومات المتنوعة.

وفي مقابل الصورة السابقة التي تمثل المنهج الاتكالي في التعليم، نجد منهج التعليم الذي يسود العالم المتقدم، وكان سبباً في تنشئة المبدعين والمفكرين، يعتمد على قدرات الطالب ذاته، فهو يخرج به من دائرة التواكل إلى دائرة الاعتماد على النفس، مع إتاحة المجال أمامه للتفكير

والنقاش، ثم القبول أو الرفض. فالطالب هنا لم يعد آلة تتلقى لتختزن ما يراد لها؛ بل كياناً محترماً، وذلك من وحي القناعة بإنسانيته الممثلة في قدرته على الإبداع والتعامل مع الفكر وطرح الرأي المستنبط من القراءة والبحث الجاد.

فالأستاذ مجرد مُوَجِّهٍ يفتح لطلابه آفاقاً رحبة للتحصيل المتعدد القنوات، والامتحان وسيلة للوقوف على مدى التطور الذي وصل إليه الطالب فكراً وقراءة، والبحث مسألة جادة تتطلب العودة إلى مراجع ومصادر مع معرفة جيدة بأصول البحث ومناهجه، وقدرة على الكتابة الواعية المبدعة، والمكتبة خلية يلجأ إليها كل طالب قارئاً ومتابعاً لما قد يعينه على توسيع مداركه، وإضافة جديدة إلى معارفه في المواد التي يدرسها؛ يحتك بآراء، ويقف على أفكار قد تناقض أو تتفق مع ما قدمه المدرس، يأخذ ما يستوعبه منها في حرية كاملة.

إن الطريق إلى تقديم جيل مبدع، يرغب في التحصيل العلمي أولاً وقبل كل شيء، يتطلب نظرة جادة إلى العملية التعليمية السائدة تزيح عنها الجمود، وتبعد الاتكالية، وتنفي التناسخ، وتستبدل بذلك كله الإيمان التام بأن الطالب يملك في داخله قدرة على العطاء المبدع، يمكن أن يفجرها من خلال القراءات والبحوث والمناقشة، وأنه ليس مجرد آلة صماء عليها أن تستوعب ما تُلَقَّن فتختزنه ثم تمجه على ورق امتحان في كسل وبلادة ذهنية.

ولعل من الضروري الإشارة إلى أن التعليم يحتاج إلى مواكبة المتغيرات العامة من جهة، وحاجات الإنسان من جهة أخرى، وذلك لأهمية قضية تطور النظم التربوية وضرورة قيامها على أسس مدروسة وفق مقارنات

فعلية، أفقية وعمودية، مع فلسفة المجتمع العربي القائمة أساساً على نظرة الإسلام للكون والحياة والإنسان، والمنطلقة من أسس اجتماعية لا تغفل حضارة هذا المجتمع وثقافته ونظامه العام، ولا تنفصل عما يخضع له من متغيرات في المجالات كافة؛ بل لا بد من ترويض معطيات التطور من اقتصاد وتنمية، وتقنية ووسائل مساعدة، ونحو ذلك لصالح تطور هذه النظم التي تقوم بدورها على أسس نفسية محورها - بالدرجة الأولى - الإنسان ومتابعة إنمائه الشامل وفق نظرة ترتكز على عدم الفصل بين العلم والتعلم منذ ولادة الإنسان، ومواكبة متغيراته مع ما يلازمها من تطورات تحتاج في باديء الأمر، في موضوعها هذا، إلى تعزيز ثقته بنفسه وبحضارته، وبقدراته الذهنية والنفسية؛ دون أن يكون في خطوط منهجية النظم التربوية والتعليمية ما يغفل هذه النقطة ويركز عليها. وقد يتضاءل ذلك مع الأسس الفكرية التي قوامها هذا الكم من المعلومات التي أوردناها في هذا الموضوع بمثل ما يمكن أن يُعَزِّزَ قيمة التراث العربي، ويبني للقاعدة الفكرية العربية أُسساً توفيقية بين ماضيها وحاضرها بحيث يجعل الحديث أو الاستئناس بماضي العرب وبمنجزاتهم؛ ليس من باب التذكر أو الاعتداد؛ بل يربطه في خيط موصل يغذوه من باب التواصل والأداء والتنفيذ لخطوط هذه الأسس الفكرية المهمة التي تقود إلى ذلك التواصل خلقاً وإبداعاً. فتطوير نظم التعليم منطلق إلى تطوير مناهجها، وهذا بدوره يُعْنَى بهذه الأسس الرئيسة التي إذا ما قامت منهجة النظم التربوية على محاورها بدقة وشمول، فإننا سَنُوَدِّعُ الأمية، وندفن معها كومة من الرماد تلطِّخ بها وجه الحقيقة. ولعله سينتج من ذلك ما يضمن لنا مردوداً فعالاً في المجال الثقافي والعلمي والعملي، وكفاية تؤهل لخلف هذه الأمة أن يلحقوا بسلفها.

ولعلنا هنا نستفيد مما اقترحه عبدالله عبدالدائم من ضرورة تأسيس نظرية تربوية عربية ملخصها أن تجمع:

جمعاً وثيقاً بين الخصائص الذاتية للتربية العربية، وبين حصاد التجربة التربوية العربية والعالمية، وأن تكون النتيجة تأليفاً عضوياً محكماً بين التراث العربي والواقع التربوي العربي الراهن وحاجات المستقبل. ومن هنا فإنها مدعوة إلى أن يكون هدفها الأول تجديد النظم التربوية العربية بحيث تستطيع أن تلبي آمال المستقبل العربي في شتى جوانب الحياة العربية، وبتعبير آخر: لا بد لهذه النظرية أن تكون نظرية مستقبلية مجددة، وكل ما في الأمر أنها لن تكون كذلك إلا إذا شادت نظرتها المستقبلية على أساس معرفة عميقة بقيم التراث العربي ومنطلقاته، وبمشكلات الحاجز العربي وبنيته. إنها بقول واحد: بناءٌ وليس اكتشافاً، بمعنى أنها لا تكتشف نظرية تربوية عربية من خلال الماضي، بل تبني نظرية جديدة لا يجوز لها - وهي تستشرف المستقبل - أن تنسى تجربة الماضي والحاضر، وإذا هي فعلت ذلك، لا بد أن يستبين لها أن التجديد التربوي المنشود لن يكون مجرد اقتداء بتجارب الدول الأخرى، بل لا بد أن يكون مولوداً جديداً فيه الخصائص الذاتية للتربية العربية التي تمكن من تلبية الحاجات المستقبلية للمجتمع العربي[٩٧].

أمية الأمية:

انصرم القرن العشرون الميلادي (الرابع عشر الهجري)، ودخل العالم مرحلة جديدة من التقدم المذهل، وترسخت فيه مفاهيم علمية جديدة تستند إلى استرجاع آلي للمعرفة، وانتشرت ظاهرة الاعتماد على الحاسب الآلي النافذ إلى عالم لا نهاية له، يعج بالمعارف والفنون، التي يُتاح للكبير

والصغير النهل من معينها أينما كان، وبأي لغة أراد، وتفجرت كوامن الإبداع الإنساني في كل الحقول المعرفية؛ فظهر بُناتها من الغربيين، ثم من أمم شرقية، نفضت غبار الجهل والأمية عن كاهلها لتلحق بركب الحضارة أخذاً وعطاءً، وظل عالم العرب والمسلمين راكداً يقتات الفتات، ينغمس في عبث لا جدوى منه، يعيش على لهو القول، ويغرق في أوحال الخرافة، فاقداً القدرة على الإسهام مع الآخرين من صُنّاع حضارة اليوم؛ لإخفاقه في تغيير بنية التعليم، على الرغم من نمو أعداد المدارس والجامعات، واتساع قاعدة الملتحقين بها، وتكاثر القادرين على فك الحرف، والتمكن من القراءة دون الارتقاء إلى مرحلة تُمَكِّنُ من منطقية التفكير، وتسهم في ترسيخ روح الإبداع، وتُنتج جيلاً يُحرك جمود العقل، وينحو به نحو التفاعل مع معطيات الحياة المعاصرة، والمشاركة في بناء مكوناتها الهادفة إلى خدمة الإنسان.

وإذا كانت الدروشة والتقديس ظلا مسيطرين على سلوك شريحة كبيرة من المجتمع، فقد أضيف إليهما السعي إلى تدمير بقايا القيم الحضارية التي شيدها الأسلاف، ونقدها سلباً دون الالمام إيجاباً بمعطيات الحضارة الإنسانية الفاعلة، والاكتفاء بقشورها؛ فكان أن ارتفعت وتيرة الارتماء في أحضان اللهو والعبث، كما يظهر ذلك في القنوات الفضائية العربية، حيث تنتشر برامج التسلية والمسلسلات الفاسدة - عربيةً ومترجمةً - والأفلام وبرامج الحوارات، كما انتشرت أدبيات عوالم الغيب بين عامة الناس ممثلة في كتب الطوالع، والبروج، وتفسير الأحلام والسحر والروحانيات، وكل ما يؤدي إلى الركون إلى الخمول والاسترخاء. وفي هذا الخضم المثبط لا يخلو الأمر من أعمال منبهة وأفكار مجددة تظل دائرتها محصورة في تحفيز الهمم، ونشل العقل من أوحال التخلف، يكافح أصحابها من أجل النهوض بالإنسان

العربي المثقل بأغلال يمسك بأطرافها دعاةُ تَخَلُّفٍ من أدعياء الدين، والثقافة، والعلم، والسياسة، يصارعون ويقاتلون لإبقائه في حظيرة الجهل والأمية، ليعيش خارج عالم اليوم، الذي يموج في كل دقيقة بفعل جديد نافع للبشرية، مكتفياً بالمشاهدة، قانعاً بالأدوار الهامشية، وهو ما صنع الهوة السحيقة التي تجعله يتردى خارج إطار العالم النامي، الذي كان يحلم ذات يوم أن يجتازه، ليلحق بركب الإنسان المعاصر، فاعلاً وليس مقلداً، مُنْتجاً وليس متلقياً مستهلكاً.

وكان الأمل أن تتراجع حدة العبث بقيمة الإنسان ودوره في البناء والتشييد، وأن تصفو المشارب وتتخلص من أدران التقديس والدروشة، ومن روح التعصب والتشدد وازدراء الآخر، إلا أن الشواهد تُظْهِرُ سعياً حثيثاً من الغرب وبعض أتباعه لدعم محور التقديس والدروشة وإفشائهما في المجتمعات المسلمة؛ ففي تقرير بعنوان: **فهم الصوفية واستشراف أثرها في السياسة الأمريكية**، صادر عن مركز نيكسون في واشنطن العاصمة بالولايات المتحدة الأمريكية، سنة ٢٠٠٤م، أعده توبياس هيلمستروف، وياسمين سينر، وإيميت توهي، وهو نتاج ندوة عقدها المركز نفسه في الرابع والعشرين من أكتوبر سنة ٢٠٠٣م، نجد دعوة صريحة للعمل على دعم الحركات الصوفية في العالم الإسلامي.

فإحدى المشاركات في الندوة، وهي هدية مير أحمدي المدير التنفيذي للمجلس الأمريكي الأعلى، تقدم ثلاث طرائق محددة يمكن للولايات المتحدة الأمريكية أن تسلطها للمساعدة على نشر التصوف لمواجهة التأثير السلفي الوهابي:

الأول: القيام بالمحافظة وإعادة بناء أضرحة الأولياء والمراكز التعليمية

المرتبطة بها. فالسلفيون ينكرون فكرة الأولياء، وغالباً ما يهدمون ويحقّرون من شأن الأضرحة الموجودة منذ قرون، وبخاصة في آسيا الوسطى. وإعادة بناء هذه الأضرحة والمحافظة عليها سيقوّي التقليد القديم لدى الناس. وذكّرت ميرأحمدي الحاضرين بأن هذه الأماكن هي التي كان يجتمع فيها الناس من كل أنحاء العالم للتواصل الاجتماعي والتعلُّم وبناء جسور التسامح والتفاهم، وهي أيضاً مكسب عظيم للعملة الصعبة الأجنبية المشروعة؛ لأنها تجتذب السياحة العالمية.

الثاني: المحافظة على المخطوطات القديمة وترجمتها؛ فبعض الشعر العظيم والكتب العلمية والمخطوطات الأدبية المهمة تبقى محجوبة بسبب نقص تمويل مجهودات نشرها وتوزيعها. وبمثل هذه المساعدة يمكن لهذه الوثائق أن تؤكّد على نطاق أوسع الأهمية التاريخية لهذه التقاليد الإسلامية.

الثالث: يمكن للولايات المتحدة الأمريكية أن تساعد في إنشاء مراكز تعليمية وتمويلها؛ لتقوم هذه المراكز بالتركيز في التاريخ القديم والحضارة المختصة بالمنطقة، وخصوصاً في سوابق التسامح الديني والعرقي. وهذه المراكز يمكن أن تساعد المجتمع في المحافظة على الشباب الذين أصبحوا متذمّرين من الفكر الوهابي.

هذه المبادرة ستكون مهمة جداً شريطة أن تحتاط الولايات المتحدة الأمريكية حتى لا تقوم - دون قصد - بتمويل مجموعات لا تتّفق مع نظرياتها. كما أن عليها ألاَّ تعمل إلا مع أولئك الذين برهنوا على أنهم دُعاة للسلام والتسامح بين الأديان والاعتدال في مجتمعاتهم(٩٨).

إن دعاوي التسامح الديني هي، كما يبدو، ركيزة الدعم الغربي للصوفية، وهو دعاوي فاسدة نابعة من فهم خاطئ للإسلام، وتَصَوُّرٍ مُتَعَمَّدٍ

تَرَسَّخَ في الذهنية الغربية من عصور المواجهة بين الإسلام والمسيحية في أثناء الحروب الصليبية وفي الأندلس، وسَلْسَلَ في ذاكرة مثقفين أوروبيين وَرَسَّخَ في أعماقهم صورةً شوهاء للإسلام باعتباره ديناً يدعو إلى العنف والكراهية، ومن ثم لا مناص من أن يُسْتبدَلَ بهذا الإسلام العنيف إسلامٌ روحانيٌّ لا رابط بينه وبين الإسلام التقليدي أو السلفية. وقد عَبَّرَ عن ذلك الروائي الفرنسي جيلبرت سينويه على لسان مانويلا فيفيرو التي كانت تناقش ابن السراج، وتحدثت إليه عن مفهومها عن التصوف قائلة:

التصوف فلسفة تعطي الأولوية للوجدان والتأمل، وتعتمد رياضة الجسد لإطلاق الروح من عقال الحواس، والتحليق في عالم الحقائق... وقد يجوز القول: إن التصوف طريقة للمعرفة ومنهج للارتقاء الروحي، يقومان على فكرة العشق بعيداً عن الإسلام التقليدي الذي لا يخلو من فكرة العنف(٩٩).

وما يقوله سينويه وكل المشاركين في ندوة مركز نيكسون يعني - بوضوح تام - أن التفاهم بين الغرب والإسلام لا يمكن تحقيقه إلا بإشاعة التصوف الذي يرتكز على خرافات ابن عربي وغيره، ومقاومة الإسلام التقليدي، الذي لا يخلو من فكرة العنف - في زعمهم - وهو دين الله الذي جاء به محمد ﷺ. وعلى هذه الدعاوي تسير فرق التصوف اليوم في كل بلاد المسلمين، حيث الخضوع للأولياء واتِّبَاعُ أفكار ابن عربي، والحلاج، والشعراني، والبكري، وأبي مدين شعيب المغربي، وفرغل، والتخلي عن ثوابت الإسلام التوحيدي الذي جاء لتخليص الإنسان من العبودية لغير الله.

ومما يدخل في باب الدعوة إلى إشاعة التقديس دراسة نشرها صالح

وهبي، وهو باحث عربي – ويا للأسف – طالب فيها بتعميق المعرفة التاريخية والدينية بمقامات آل البيت والصحابة في مدينة دمشق وريفها عن طريق إبراز أهمية هذه المقامات في السياحة الدينية، لجذب أكبر عدد من السياح والزائرين من جنسيات مختلفة، عربية وإسلامية، إلى المزارات والأضرحة التي يُتَبَرَّكُ بها، لأنها تلبي حاجة روحية ودينية، إضافة إلى أهميتها الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والفكرية والسياسية. ويبين أن دمشق وريفها يحتويان على عدد كبير من المقامات والأضرحة القديمة التي تعود إلى آل البيت والصحابة وبعض زوجات الرسول ﷺ، وأن عدداً كبيراً من المسلمين يحرص على زيارتها لإحياء مناسبات دينية مثل: ليلة القدر، وليلة النصف من شعبان، وعيد المولد النبوي، ويوم عاشوراء ذكرى استشهاد الإمام الحسين، وأربعين الإمام الحسين(١٠٠).

وينتهي في بحثه إلى جملة من المقترحات، هي كما يأتي:

- **إقامة مجموعة من الفنادق من فئات ثلاث نجوم وأكثر قرب هذه المقامات، ولاسيما في منطقة السيدة زينب، وقرب مقام السيدة سكينة في داريا، والسيدة رقية في حي العمارة الجنوبية في مدينة دمشق القديمة، وقرب الباب الصغير التي يقع فيها عدد كبير من مقامات آل البيت وزوجات الرسول ﷺ وبعض الصحابة.**
- **إنشاء طرق وساحات واسعة وعريضة، تسهل سرعة الوصول والحركة إلى هذه المقامات والأضرحة.**
- **إنشاء سلسلة من المحلات التجارية والمطاعم المنظمة قرب المقامات التي يؤمها السياح بأعداد كبيرة، لتلبية حاجتهم من الخدمات والسلع المختلفة.**

- التعريف بهذه المقامات من خلال وسائل الإعلام المختلفة، وإنشاء موقع على الإنترنت متخصص بالسياحة الدينية[١٠١].

وأعدت الباحثة **فاريبا عادل خاه** دراسة عن الزيارات الدينية الإيرانية إلى سورية، عرضت فيها أنموذجاً تطبيقياً لما يتم في الوقت الراهن من ممارسات عند الأضرحة في دمشق، فتقول:

يتركز الاهتمام الديني للزوار الذين يتوجهون إلى دمشق في الأساس، وأحياناً كلياً، في امرأة وطفلة، هما: السيدة زينب، ورقية. وهذا التقديس يأتي من الرجال ومن النساء، فإثبات الذات اجتماعياً الذي تقوم به النساء عبر ممارسة الزيارة الدينية يجد تعبيرته الرمزية في قلب هذا التقديس. والحال أن تقديس الوليات يثبت القاعدة، وهو يشذ كثيراً عن دائرة سلطة رجال الدين والجمهورية. أو هو يقع - على الأقل - على هامش التدين الرسمي. ومما يسترعي الانتباه أن مسجد السيدة زينب على الرغم من عملية «تشييعه»، هو محل التقاء بين الشيعة والسنة، حيث يختفي التميز الطائفي، ففي المناسبات الليلية مثل تلاوة القرآن يشكل حضور السنة (والعرب) أغلبية عظمى، لكن ذلك لا يمنع مشاركة الزوار الشيعة (الناطقين بالفارسية).

صحيح أن مزار السيدة رقية في وسط دمشق، يديره الوقف الإيراني الذي أعاد تهيئة المكان بكامله، وفرض استخدام الفارسية لُغَةً للطقوس الدينية، لكن في المقابل يظل مقام السيدة زينب تحت إشراف السلطات الدينية السورية، وإن كانت الهبات الواردة إليه من شيعة العراق وإيران وبلدان الخليج الأخرى كبيرة جداً، وذلك بحسب قول الهيئة المشرفة على المزار. ومقام السيدة رقية يرغب فيه - أكثر من غيره - الزوار الإيرانيون الذين

يكتفون بأداء بعض الزيارات القصيرة لمسجد السيدة زينب، وهي زيارات كثيراً ما تكون بين نوبتي تسوق، ولضرورة الحصول على مشهد فيديو تذكاري، ولكن في الحالتين يجد الزائر نفسه وجهاً لوجه مع ربه عبر وساطة الوليات الصالحات، فعند وصولهم إلى مسجد السيدة زينب يجتاز الزوار الساحة بسرعة، وأحياناً تحت نظر جهاز التصوير الفيديوي ومن دون الكف عن الحديث أو الدعابة، وفي داخل المزار يخشعون أمام القبر، ويدخلون من بين أضلع السياج الفاصل بعض الهبات، سواء أكانت مالية، أم أمتعة شخصية، ثم بعد ذلك يتضرعون، ثم يستغرقون في قراءة كتاب ديني، ثم يوزعون بعض الطعام على بقية الزوار تأدية لنذر، ويبكون، ويتضرعون(١٠٢).

وتبين فاريبا عادل خاه العنصر التجاري المواكب لزيارة المقدسات الدينية في دمشق؛ فالزوار يحملون البضائع من بلدانهم لتسويقها في دمشق، وفي المقابل يصرفون أموالاً لشراء التذاكر، والحصول على تسجيلات مصورة لزياراتهم، والأكل في المطاعم، والسكن في الفنادق، ثم ما يقدمونه من تبرعات للأضرحة، وتنتهي إلى القول بأن الزيارة الدينية تمثل – حقيقة – مورداً مالياً مهماً(١٠٣).

إن دراسة فاريبا هي التطبيق العملي لما دعا إليه صالح وهبي، من أهمية العناية بالأضرحة واستغلالها تجارياً(١٠٤)، ومن ثَمَّ نلاحظ كيف أقحم الابتداع في الدين ليتحول إلى وسيلة جذب اقتصادي، دون النظر فيما يحمله ذلك من إضرار بالعقيدة، التي يمثل التوحيد ركنها الأساس المناهض للتقديس، وإزهاق الوقت وإضاعته في أعمال لا تمت إلى الإسلام بصلة.

وما دعا إليه صالح وهبي، وأوضحت فاريبا عادل خاه جوانبه العملية،

يتفق – في مجمله – مع دعوة المشاركين في ندوة مركز نيكسون، من أهمية إفشاء التقديس والدروشة بين المسلمين.

إن مقاومة مثل هذه التوجهات الضالة أمر ضروري للخلاص من التخلف. ولا تخلو الساحة من محاولات جادة تؤكد بالأدلة والبراهين خطر التصوف الخرافي وانحرافه العقدي، وعبثه بعقل الإنسان وإشغاله عن العمل النافع الذي هو هدف الإسلام من خلال دعوته إلى التوحيد ورفض تقديس الأشخاص. وتعد مجلة (الصوفية) الإلكترونية(١٠٥)، على رأس الأعمال التي تتصدى لانحرافات التصوف وعبثيته، فهي تنشر مقالات ودراسات موثقة تبرز سقطات مهلكة للسائرين في ركبه. تقول فاطمة عبدالرؤوف في مقال لها تحت عنوان «النساء وعالم الدراويش»:

إن الانحراف الفكري عند بعض المتصوفات شوه حتى معاني الأمومة الجميلة؛ فهذه نسيبة بنت سليمان العابدة بعد أن تزوجت وأنجبت ولداً جلست تناجي ربها وتقول: يارب لم ترني أهلاً لخدمتك فشغلتني بالولد...

ولا يكتمل الحديث عن المرأة عند الصوفية إلا بالبحث في عالم الصوفية المتفلسفة وعلى رأسهم ابن عربي، حيث يبلغ الزيغ مداه، وفوضى الرأي درجتها القصوى، حيث يرى هؤلاء أن المرأة هي الطريق إلى محبة الله، فهي سلم الوصول إليه. يرى ابن عربي أن حب الإنسان للمرأة عين حبه لله؛ لأن المرأة في الأصل خُلِقَتْ من الرجل من ضلعه القصيري، وبالتالي هي مخلوقة من الرجل، ومن ثَمَّ إذا نفس الرجل هذه المرأة من نفسه، اشتد حبه فيها، وميله لها؛ لأنها صورته. فما رأى إلا الحقَّ ولكن بشهوة والتذاذ، ومن هنا فإذا أحب الرجل المرأة رد حبهما لله فأحبه الله برجعته إليه، وبعبارة

أخرى: المرأة وسيط للرجل يحب الله فيها حين تنقله من حبها إلى حب مُوْجِدِها. ولا يخفى على أحد ما في هذا الكلام من شرك؛ بل واستهزاء متناه بالعقل الإنساني، وربط مزيف بين مشاعر جد مختلفة(١٠٦).

ومن قبل تصدى عبدالرحمن الوكيل لعبث الصوفية وضلالها وكشف ترهاتها اعتماداً على تجربة شخصية؛ إذ انخرط في فترة مبكرة من عمره ضمن المتصوفة ومارس طقوسهم، وتردد إلى أضرحة أوليائهم، ثمَّ سَجَّلَ ما انتهى إليه في كتابه: **هذه هي الصوفية**، وقال في مقدمته:

«أمَّا بعد»، فما زلت أذكر، وأنا طالب في معهد طنطا الديني، ذلك الشيخ الشيبة يقسم لنا - وعيناه مُخْضَلَّتَانِ بالدموع ونَبَراتُ صوته أصداء عَميْقةٌ بعيدةُ الْغَوْرِ من الشَّجْوِ الْوَلْهان، والحنينِ الهائم، والحرمانِ الجريح - يقسم لنا أن في ضريح عبدالعال المجاور لضريح البدوي شعرةً من رأس الرسول!، وأنها معين خير، وفيض بركة ويُمْن، ومطافُ آمالٍ، ومَهْوَى رجاء!! وأذكر أنني حين سمعت حديثه، يؤكده بقسم غليظ، شعرت بقلبي، وكأنما يود أن ينشق عنه الصدر؛ ليهفوَ في صبابته الملهوفة إلى معبد الشعرة يقبلها، ويكنّها في مهجته، بل شعرت كأنما حملت الملائكة إليَّ بشرى الخلود.

وما زلت أذكر أيضاً أنني سألت الشيخ؛ ليطمئن قلبي على هذا الأمل الحلو الساحر الفتنة، عما جعلهم يوقنون بنسبة هذه الشعرة إلى رأس النبي الأعظم؟ فأجاب - تولاه الله بما قدَّم -: لقد وضعناها في زجاجة، وأقمنا حولها حلقة ذكر وإنشاد، فإذا بالشعرة تذكر مع الذاكرين على دفيف الدفوف، وحَنَّاتِ النايات، والنغم المطرب الـمُرَقِّصِ من الأناشيد!!

وأذكر أنني آمنت بهذه الأسطورة كأنما هي من الله برهان ساطع!! وأذكر أن الشيخ تداركنا - حتى يُحْكِم القيد - بحجة أخرى، فزعم أنهم وضعوا

الشعرة تحت الشمس، فلم يجدوا لها ظلاً!! وكان هذا الوهم الوثني الجديد حجة عندي تدحض كل ريبة.

وأذكر - ويا رب غفرانك - أن خرافة الشيخ هذه قد غمرتني بنشوة سَكْرى خِلْت فيها أنني أرى الجنة، أو أنني صحابي يتلو عليه الرسول وَحْيَ الله.

فكنت أهفو إلى هَيْكل الشعرة خاشع الطرف، رَيَّان القلب بالولاء، أُصَلِّي لها بنجاوي الحب العابد، وألثم خشب هيكلها وحَجَره في شغف ثائر الأشواق عِرْبيد التلهف، وأَنْهَنهُ بالأرواح العِطْرِيَّة - التي أخال أنها تناسمني منها - دموعي المسكوبة لوعة عشق، وظمأ غرام!!

وتعال معي أُذَكِّرُكَ بأنني كنت أطوف حول صنم البدوي، حتى إذا مثلت أمام الْكُوَّة الصغيرة في وثنه النحاسيِّ البراق، أنفذت منها يدَيَّ - في رعشة التقديس - حتى ألمس سِتْر القبر، ثم أخرجها رويداً في حرص وحذر بالغين، وقد ضممت قبضتيهما على...؟ على ماذا؟ كنت أوقن حينذاك أنني أضمهما على بركات سماوية تفيض من رَوْحِ الله على القبر!! ثم أبسط يدي في جيبي، ثم أمسح بها وَجْهي، رَجَاءَ أن أكونَ مُيَسَّر الرزق، داني قطوف النجاح، مشرق الوجه بنور الله!! وتعال - ولا تسأم من ذكرياتي، فإنها عبرة ضحية، وعظة مأساة - أذكرك بذلك الدَّوِيِّ ترجف منه الأرضُ، وترتعد جُدُرُ المعهد حين كانت تُوَزَّعُ أسئلةُ اختبار آخر العام الدراسي، أتدري ماذا كان يحدث؟

تهب هذه الآلاف المضطربة من الطلبة رافعة أكفها في ضراعة ناعقة بما لا يسمع ولا يبصر، حتى ليبح صوتها، وتتمزق حناجرها إذ تنعق ضارعة: يا سيد!! ويا ويل السمع من طول «ياء النداء»!! لقد كانت تطول،

وتطول، حتى لَيُخَيَّل إليك أنها دخان مارد يحترق، فيلمس دخانه قبة النجم، ولعلهم كانوا يفعلون ذلك؛ لتصل أصداء ضراعتهم إلى حيث جثمت على الأرض في غيابة القبر جيفةُ مَنْ دَعَوْهُ!!

ولعلك تسألني: وماذا كان يفعل بكم شيوخكم؟ كانوا يرفعون في سكرة الحُبِّ وذل الخشية أيديهم المعروقة، يمسحون بها وجوههم، أو يمشطون لحاهم، ومن بين الشفاه الذوابل تنساب هذه الْهَمْهَمَةُ: «رضي الله عنك يا سيد!!»، ثم يلتفتون إلينا، وعلى وجوهم أَلَقُ الرضى ناصحين في تأييد وإعجاب: «كِفَاية ما خَلَاصْ سِمِعْكُم السيد!!».

وتعال - وناشدتك الله إلاَّ ما أصغيت غير مَالٍ ولا كاره - أذكرك بذلك الشيخ الأكبر الذي كان يشرك الدهماء في يوم «الْكَنْسَة»، وكان يمزق عمامة صنم البدوي مِزَقاً مِزقاً، ثم يهديها إلى مريديه بركة - في زعمه - من رَوْح الله التي يغرق صَيِّبُها ذَيَّالكَ الوثن!!

لقد كان للشيخ الأكبر شيخٌ هو تاجر خيط في المدينة، وقد أعطاه العهد، وألبسه «خِرْقَةَ التصوف»، وكان التاجر على أُمِّيَّةٍ وجهالة، بيد أنه كان خبيراً بزندقة الصوفية، مؤمناً بها، يبثها، ويهوي بالهالكين في حَمْأتها!!

ولقد كنا نرى الشيخ الأكبر يخفض من رأسه عبوديةً للتاجر الصوفي، ثم يلثمُ يديه في خشية ورهبة وإجلال، وكنا نهتف إعجاباً بصنيع الشيخ، إذ نراه دلائل قوية على إيمان عميق وتواضع كريم!!

كذلك كنا نحرص كل الحرص على أن ننتشي بمشهد الشيخ، وهو يطوف حول ضريح البدوي، يتلمس نحاسه وستره، حتى إذا بلغ فمه موضعاً منه، راح يشويه بسعير القبل من شفتيه الناريتين! ونحرص كل الحرص على أن نوفض من منازلنا سراعاً إلى «مولد» البدوي؛ لنشهد سرادق الشيخ الأكبر

المضروب على أَبَدٍ طويل عريض من الأرض احتفاءً بمولد الوثن الأكبر، ولنطعم طعامه، ونشرب شرابه، ثم نخرج من السرادق الفخم الضخم مهرولين صَوْبَ النصب الكبير، أو ما يسميه الدراويش «العمود أو الصاري»، نقترف هذا، لعلنا نصيب بركة من القطب الغوث الذي قيل لنا: إنه لا يحرص على شيء كما يحرص على شهود الليلة الخاتمة «للمولد»، هو والأقطاب الآخرون والأوتاد والأبدال والأنجاب، ولعلنا نبصر واحداً منهم فيما تجسد فيه من صور.

ثم تعال معي إلى الجامع الأحمدي الكبير، أو هيكل الطاغوت الأكبر؛ لترى هذه الحشود التي يمور، ويموج بها الجامع من نساء ورجال وأطفال، وفدوا إلى الصنم من كل فَجٍّ عميق، وقد أشعلوا مواقدهم، يطهون الطعام، أو يصنعون «الشاي والقرفة»، وأمام كل منهم «شوال» خبزه، ووعاء «دُقَّتِهِ» وقد حبا على الأرض الأطفال يبولون، أو يتبرزون.

وهنا، وهناك حانات ذِكْرٍ يرقص فيها «الدراويش» وَتَتَخَلَّعُ «الدرويشات».

ويزور بي شيخ من أهلي - وأنا صغير - القاهرة، فيجوب بي الصحراء ويجتاز الأودية، ويسلك المفاوز، يتعثر في الجلاميد نشداناً لضريح ابن الفارض سعياً على القدم!! وهناك حيال الوثن الفارضي، يغني مرافقي قصيدة ابن الفارض: «نسخت بحبي آية العشق من قبلي»، فتذرف عيناه وعيناي الدموع، ويحترق قلبي وقلبه شجناً على هذا العاشق المحروم، عصف به الغرام، وأضناه الحرمان، كل هذا كان، ثم ماذا؟

ثم هداني الله سواء سبيله، وسلكت بي رعايته مسلك التوحيد والإيمان، فماذا حدث بعد؟ تطلعت نفسي إلى الماضي الوثني - وهي نَهْبُ حسرة حزينة المأساة، وخميلُ أفراح معطَّرة - تَطَلُّعَ الناجي من السعير ما زالت في أتونه

المتأجج ضحايا تعسةٌ منكودة جَنَتْ عليها الصوفيةُ ما جنت عليَّ، وتطلعت إلى الريف الحزين، يستعبده شيوخ الطرق، ويغصبون أيتامَه ما يُوَصْوِصُ فيهم من رَمَق خابي الشعاع، وأرامله ما هُنَّ في حاجة ملهوفة إليه ليَسُدُدْنَ خَلَّة، أو يسترن عورة، ومساكينه حتى الذبالة المحتضرة من حشاشتهم.

تطلعت إلى الريف الوديع تجعل منه الصوفية فسادَ عقيدة، وضلالةَ فكر، وذلةً ومهانةً في الأخلاق، وَرَدْغَةَ بدع وجهالة وخرافة وأساطير، وعبوديةً خانعة لهوى الأحبار، وسدانة يعكف فيها السَّدَنةُ على بَغي طواغيتهم، يبشرون بسماحة بِرِّه وأريحية رحمته.

وتطلعت إلى المدينة يعبث في أرجائها الصوفية، فتحيل أهلها - حتى الكثير من المثقفين منهم - عبيدَ قبور، وعُبَّادَ جِيَفٍ، وأحلاسَ منكر وزور، وموالي أذلاء لكل طاغية باغية.

تطلعت إلى هؤلاء وأولئك، وذكرت ما كابدته، فصرخت موجعاً من هَوْل الفاجعة أحاول إنقاذ الضحايا التعسة، الْمُغِذَّةِ السُّرَى وراء الذئاب الضواري من الصوفية.

وأكتب ما أكتب، ضارعاً إلى الله وحده أن يمد بالمعونة - فمنه وحده تُستَمَدُّ - وأن يتبين لتلك الضحايا المسكينة أنها تتجرع الْغِسْلين تحسبه رحيقاً، وتطعم الْوَزِينَ تظنه فاكهة الخلد، وتدين بوثنية؛ هي شر ما ابتدع الشيطان لأوليائه من وثنيات، وتخالها توحيداً مُطَيَّباً بِرَوْح الله[١٠٧].

وتحدث الكاتب الروائي عبدالحميد جودة السحار (١٣٩٣هـ/١٩٧٤م) عن تجربته في ضريح البدوي مصوراً مشاعره، موضحاً ما كان يجري عند الضريح من ممارسات فأعادنا إلى القرن التاسع مع تجربة البقاعي، وكأنما الزمن قد توقف فإذا الناس هم الناس، وإذا الفعل هو ذاته لم يتغير أو

يتبدل من تهريج وانغماس في العبث :

ركبنا سيارة أجرة وانطلقنا إلى مسجد البدوي، وما إن هبطنا منها حتى راح تجار حَبُّ العزيز يجذبوننا من ملابسنا لنشتري من البركة . وفاحت رائحة الفسيخ، وغص المكان بشحاذين وبأناس يرتدون ثياباً مرقعة ويتعممون بعمائم خضراء أو سوداء أو بقلنسوات أشبه بالطراطير . إنهم مجاذيب السيد البدوي، وعبق المكان بروائح البخور فانسللت خلف أبي إلى داخل الجامع وأنا أستشعر أسى في أعماقي، يزيد في ضيقي تلك الأصوات الرتيبة المنبعثة من مجموعة اجتمعت قرب الباب، أخذت تطول وتقصر وهي تردد : حَيْ . . حَيْ .

أيتحول الدين القيم، دين الفطرة إلى هذه المشاهد المؤذية؟ ! وعند الباب وقعت عيناي على صندوق النذور . إن البسطاء من الرجال والنساء يلقون بالنقود في ذلك الصندوق . ترى من يا ترى هؤلاء السعداء الذين سيقتسمون ذلك الكنز الغالي؟ ومن أين أتت هذه العادة؟ أهي عادة فرعونية متأصلة في المصريين منذ عهد الفراعين، عهد تقديم القرابين لكهنة المعابد؟ ! ربما .

ورأيت أناساً يسجدون ليقبلوا العتبات الرخام، وأناسا يتمسحون بالحديد الذي حول المقام، ولا يكتفون بالتَّمَسُّحِ بل يقبلونه في إيمان عميق، ويطوفون بالمقام طوافهم بالكعبة ويقفون عند حفرية من الحفريات في خشوع شديد . إنهم أمام قدم النبي، وقد تنوقل ذلك الزعم من أيام الفاطميين، كانت وثنيات تمارس على مرأى ومسمع من وزارة الأوقاف ورجال الدين . ولو طاوعت نفسي لأخذت أضرب ذات الشمال وذات اليمين، فقد بلغ بي الضيق غايته، فما كنت أراه كان بعيداً عن الدين النقي

البسيط الذي جاء به ابن عبدالله عليه صلوات الله وسلامه.

وارتفعت أصوات تسأل السيد البدوي الشفاء وقضاء الحاجات، فإذا بالدين الذي جاء ليقضي على الوسائط بين الله والناس جاء معتنقوه بشفعاء بينهم وبين ربهم، وكأنما قد نسوا قول الله: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾، ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾.

وغادرنا الجامع بعد الزيارة ولم أكن في قرارة نفسي راضياً عن شيء مما رأيت، رأيت وثنيات تُرْتَكَبُ باسم الإسلام، وضلالات ليست من الدين في شيء، وأناساً قد أتوا من كل مكان لِبَرَكَةٍ مزعومة، فما جاءوا ليسجدوا لله بل جاءوا لقطب الأقطاب، وكأنما قد غاب عنهم: ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾[١٠٨].

وعلى مدار القرون منذ تأسيس ضريح البدوي، كان هناك منتفعون من تقديسه، هم سدنة الضريح الذين انغمسوا في ترسيخ مفاهيم بعيدة عن الإسلام، بإقامة الموالد ودعوة الناس إليها، وإشاعة طقوس احتفالية يجنون من ورائها النفع المادي. وفي القرن العشرين نُظِّمَتْ احتفالات الموالد على نحو مبرمج توضحه نماذج مطبوعة من خطابات كانت تُرْسَلُ إلى قادة المجتمع، تصدر من باب الضريح، وتوحي بأن الأمر بالاحتفال صادر عن البدوي نفسه، يوثقها من يُدْعَوْنَ بخلفاء المقام، والنموذج الأول الذي وقفنا عليه، نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد فقد صدرت هذه المكاتبة الشريفة من باب القطب النبوي السيد الشريف العلوي أبي العباس سيدنا أحمد البدوي

عمت بركاته علينا وعلى حضرتكم والمسلمين أجمعين.

إلى حضرة

محسوب السيدين حفظه الله وأبقاه آمين

بعد أهدي حضرتكم أزكى التحية وقراءة الفاتحة لحضرتكم داخل القـ[به الشريفة] الأحمدية، فمما نبديه لحضرتكم العلية أطال الله لنا في حياتكم المرضية أنه قد بر [زت الإشارات] الأحمدية من مقام صاحب الرتبة العلية أن يكون ابتداء عمار المولد الأحمدي المعتاد في كل عام يوم تمضي من شهر سنة ١٣٤ وانتهاؤه يوم من الشهر المذكور، يكون في شريف علمكم وكل عام وحضرتكم بخير

الفقير	**الفقير**
عبدالعزيز محمد الشناوي	**أمين مصطفى الخليفة**
خليفة المقام الأحمدي	**خليفة المقام الأحمدي**(١٠٩)

وأسفل الاسمين خاتم كل واحد منهما.

والنموذج الآخر، صيغته كما يأتي:

بسم الله الرحمن الرحيم

من باب القطب النبوي السيد الشريف العلوي أبا (!) العباس سيدنا أحمد البدوي عمت بركاته وتوالت نفحاته

إلى حضرة

وبعد أهدي مزيد تحياتي وقراءة الفاتحة في القبة الشريفة الأحمدية فيما نبديه لحضرتكم العلية أطال الله لنا في مدتكم المرضية أنه قد برزت الإشارات الأحمدية أن يكون ابتداء المولد الأحمدي الصغير هذا العام يوم الجمعة الموافق ٢٧ رجب سنة ١٣٣٥ لغاية يوم الجمعة ٤ شعبان فعلى

حسب المعتاد نحيط علم سيادتكم بذلك
الفقير خادم الفقراء والمساكين خليفة المقام الأحمدي أمين
الفقير عبدالعزيز محمد الخليفة بالمقام الأحمدي(١١٠).

وأسفل ذلك ثلاثة أختام أولها: كُتب عليه: «أمين مصطفى الخليفة خليفة سيدي أحمد البدوي قدس سره ١٣٣٣»، والثاني: «الفقير عبدالعزيز محمد الشناوي الخليفة بالمقام الأحمدي»، والأخير: «محمد عبدالمولى منصف، نائب السادة خلفاء المقام الأحمدي وخليفة الجموع بدمياط ١٣٣٠».

و على الرغم من ارتفاع مستوى التعليم، وما يشهده العالم من تطور علمي، وبروز تيار ينادي بإبطال هذه الأفعال التي لا تتفق مع مبادئ الإسلام، إلا أن الاحتفال بمولد البدوي ظل راسخاً قوياً يُدعى إليه في وقتنا الراهن سفراء الدول الغربية وعلماء ومشايخ يسايرون هذا الفعل، يجلسون جنباً إلى جنب مع سدنة الضريح ومشايخ الطرق، وتنقله القنوات الفضائية حيّاً على الهواء؛ فيبدو المشهد كما صوره البقاعي في القرن التاسع الهجري، وكما وقف عليه عبدالرحمن الوكيل، وعبدالحميد جودة السحار في النصف الأول من القرن العشرين الميلادي؛ احتفالات صاخبة، وممارسات عبثية ترسخ الجهل والأمية، وتزيد الناس بعداً عن دين الله.

ولكن...

مع بداية القرن الحادي والعشرين نجد إصراراً من دعاة التخلف على غرس الأفكار المنافية للتوحيد النقي، بإجازة التوسل بالأنبياء، والتبرك بآثار الصالحين وقبورهم، وجواز تعليق الأحراز، والتمائم. كما فعل نبيل الشريف الأزهري في كتابه: **إعلام المسلمين ببطلان فتوى القرضاوي**

بتحريم التوسل بالأنبياء والصالحين؛ معتمداً على أقوال معظمها لفقهاء متأخرين، خالطاً بين شفاعة النبي ﷺ لأمته، وبين التوسل والتبرك بالقبور، مهاجماً كل من يرفض هذا الفعل الاتكالي المناقض لموقف الإسلام الواضح الداعي إلى أن تكون العلاقة بين الإنسان وربه مباشرة دون واسطة.

ولا يزال التصوف، ونحن في نهاية العقد الثالث من القرن الخامس عشر الهجري (العقد الأول من القرن الحادي والعشرين الميلادي)، يتغلغل مدعوماً من حكومات عربية وإسلامية؛ يبث دعاته في المجتمع العربي المسلم، ويرتكز دعمه على أنه خير وسيلة لمواجهة الإسلام النقي، أو ما يدعونه – اتباعاً للغرب – بالسلفية الجهادية.

فها هي الجزائر تحتفل بمئوية الطريقة الصوفية العليوية[١١١] في شعبان ١٤٣٠هـ/ يوليو – أغسطس ٢٠٠٩م؛ برعاية حكومية، وبحضور واسع يصل إلى خمسة آلاف مدعو جاؤوا من البلاد العربية، وأوربا، وكندا، والولايات المتحدة الأمريكية، والأرجنتين، واليابان، وأندونيسيا. ورأس هذه الطريقة هو خالد عدلان بن تونس (شاب جزائري من مستغانم) الذي وزع في الاحتفالات، التي استمرت سبعة أيام، كتاباً له صنفه بالفرنسية عنوانه: **التصوف.. الإرث المشترك**، تضمن تصويراً وتجسيداً للرسول ﷺ وللصحابة والملائكة، وصورة لعبدالقادر في إطار نجمة داود. وقد أغضب ما قام به خالد بن تونس المتساهلين مع التصوف ممن حضروا الاحتفال ورأو في فعله خروجاً على الإسلام[١١٢].

ولا نعرف كيف يغضبون على الصور وحدها، ولا يرون في الاحتفال نفسه ما يُغضب، في حين أن الاحتفال وتجاوزات خالد بن تونس الفكرية، وما يحمله من أفكار بعيدة عن روح الإسلام التوحيدي النقي هي التي

قادته إلى فعلته الشنعاء.

هذا العبث الصوفي الذي يترامى في أنحاء العالم الإسلامي، وينتشر هو ترسيخٌ للأمية، وإبعادٌ للإنسان العربي والمسلم عن المشاركة الفاعلة في الحياة المعاصرة الزاخرة بالعمل، المبنية على العلم والاختراع؛ ليبقى أسير التقديس وأفكار الدروشة والتوجه نحو المقابر والخضوع لقوى الأولياء.

وما يقوم به خالد بن تونس اليوم في الجزائر، هو محاولة لإعادة المجتمع الجزائري إلى ما كان عليه الحال في القرن التاسع عشر

عندما كانت الطرق الصوفية تسيطر على الفكر الإسلامي والمجتمع المغربي سيطرة مذهلة، فبلغ عدد الزوايا في الجزائر ٣٤٩ زاوية، وعدد المريدين أو الإخوان ٢٩٥,٠٠٠ مريد، والفقهاء الذين عرفوا بمعارضتهم الصوفية أصبحوا بدورهم «طُرقيين»، فَسَادَ الظلام، وخَيَّمَ الجمود، وكثرت البدع، واستسلم الناس للقدر، وأصبحوا إذا سئل أحدهم عن حاله أجاب: «نأكل القوت ونسْتَنَّى في الموت». وهذه الظاهرة الاجتماعية أدت إلى تعطيل الفكر وَشَلِّ جميع الطاقات الاجتماعية الأخرى[١١٣].

وهو بفعله يسعى إلى نسف جهود الإصلاحيين الذين أعملوا جهدهم لنشل المجتمع الجزائري في القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين من وحل الخرافة والتخلف؛ من مثل: صالح بن مهنا (ت ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م)، وعبدالقادر المجاوي (ت ١٣٣٢هـ/١٩١٣م)، وعبدالحميد بن باديس (ت ١٣٥٩هـ/١٩٤٠م).

أمل الخلاص:

إن الأمل في تجاوز الأمية التي يعاد تكوينها مرات ومرات يستدعي الإنكار الشديد لدعوات الاسترخاء الفكري. والإنكار في حاجة إلى موقف

رسمي لا يسمح بنشر روح التخاذل بين الناس، يتصدى لها، كما يتصدى لمروجي التشدد المبني على الكراهية، بما يؤدي إلى كشف مجافاتهما لروح الإسلام، الذي يسعى لتوفير الكرامة للإنسان بعبادة الله وحده دون وسطاء، ومن ثَمَّ تخليص العقل من شوائب التقديس؛ ليكون عقلاً مبدعاً منتجاً يسهم في بناء الكون لما فيه خير الإنسان ورفعته.

كيف النجاة من وحل التخلف:

إن النجاة من وحل التخلف والأمية لن تكون إلا ببناء نظام تعليمي يرتقي بالسلوك، ويتخلص من التقاليد البالية، ويمنح العقل مساحة واسعة من الحرية، يمتح من الماضي إشراقه وتفاعله وثراءه الفكري، وينغمس في مسارات العصر بروح إيجابية. يلتزم نقاء العقيدة، مبتعداً عن مهازل الدروشة والخرافة والعبث واللهو، منفتحاً على مكونات عالم اليوم دون خوف أو وجل من الذوبان، عازماً على أن يكون مشاركاً منتجاً في البناء الحضاري المعاصر.

إن البناء المطلوب ليس أمراً صعباً، غير أنه لن يتم في ظل الإصرار على إخماد جذوة العقل، وتكبيله اعتماداً على حجج واهية، مخرجاتها ما نشهده من تراجع وتخلف يتكاثفان في كل يوم ينصرم.

ها هو الزمن يمضي دون أن نرتقي إلى مستوى ما كان عليه الماضي البعيد، فليس بيننا نماذج الفقهاء، والمحدثين المبدعين، ولا نماذج الأعلام في العلوم الطبيعية والتطبيقية. الماضي ليس أغلالاً إن أردنا نهضة فاعلة تتماهى مع العصر؛ بل هو سند إن أُحْسِنَ طرحه لبناء المستقبل، هو طوقُ نجاةٍ من ربقة التخلف عندما نحصره في إطار «القدوة» ونجعله نبراساً للتفاعل مع الحاضر الذي نعيشه.

ختام:

على مدار قرون تناوبت مؤثرات كثيرة على تجذير الأمية بين المسلمين وأشاعت محبطات تشلُّ العقل، وتدفع إلى التقديس والسير وراء ضلالات وغيبيات، جميعها تقاوم عقيدة التوحيد النقية - التي تربط الإنسان بربه مباشرة دون وسطاء - وتعمل مجتمعةً على إلهاء المجتمع وإغراقه في الجهل، وإبعاده عن المشاركة في بناء الكون من خلال العلم والعمل النافعين. وعلى الرغم مما شهده الإنسان في القرن العشرين من تقدم علمي واختراعات؛ إلا أن وتيرة الأمية ازدادت في البلاد العربية والإسلامية بسبب ارتفاع حدة التصوف والدروشة واللجوء إلى الخرافة بحثاً عن حلول لمعالجة مشكلات الحياة المعاصرة.

إن المقابلة بين المجتمع العربي في عصوره الأولى، وما استنهضه من علم وإبداع، وما آل إليه حاله في فترة متأخرة من انغماس في وحل الخرافة؛ لا تهدف، بحال من الأحوال، إلى الاسترخاء في أحضان الماضي بقدر ما تهدف إلى تصوير فداحة التراجع، وما أدى إليه من تحكم حركات التقديس في مسار المجتمع وانتشار آفاتها، وإصرار قادتها على ربطها بالإسلام، الذي جاء لتحقيق الكرامة للإنسان مرتكزاً على مبدأ التوحيد والإخلاص في العبادة لله وحده دون وسطاء، ومن ثم إطلاق الفكر للاشتغال بما يفيد الإنسان ويرتقي به.

وفداحة الخرافة المستحكمة اليوم في كثير من المجتمعات العربية هي المسؤولة عن التأخر والتخلف، وكيف لا تكون، وقد أصبح «الأولياء» من الأموات ومشايخ الطرق من الأحياء، ودعاة الشعوذة والإلهاء هم عصب الحياة ومدارها، يتحكمون في مجتمعاتهم في ظل صمت مُخْزٍ من علماء

يدركون أن ما يدور حولهم عبثٌ مضرٌ، يجر إلى الانغماس في غيبيات مضلة، وحكومات تشجع على ذلك؛ بل تسهم في إشاعته وترسيخه.

ويحظى هذا العبث بدعم دول كبرى تشبعت بفكرة أن الإسلام السلفي التوحيدي يدعو إلى العنف، ويقف من حضارة اليوم موقفاً عدائياً، وهو ما تنفيه الحقائق التي أوردنا جوانب منها، والتي تؤكد أن مسار العلم في حياة المسلمين الأولين واكب مسار التسامح، وأن هامش العدالة كان واسعاً، وأن العمل من أجل البناء هو المطلب الرئيس.

كيف لنا ونحن في عالم يعج بالحركة، يتسابق إلى إبداع ما يفيد الإنسان، أن نرضخ لمشايخ طرق، ونقطع الوقت في زيارات للمقابر، والتبرك بمن يزعمون أنهم أولياء، ونتلهى بخلاعات القنوات الفضائية، لننتهي إلى قطيع يجتر الأحلام وتنحصر علاقته بالحاضر في المظهرية من المأكل والمشرب واللباس والعمارة، نأخذ ولا نعطي، لا قدرة لنا على مزاحمة العالم المتقدم، وأنى لنا ذلك! ونحن في أزمة مصدرها الخرافة نغرق في وحلها يوماً بعد يوم.

إن انطلاقة التقدم إلى المعاصرة تكون باستنطاق القرون الأولى واسترجاع محتواها العلمي والأخلاقي.

ونحن في الختام بعد رحلة بين الرقي المعتمد على منهجية علمية وطروحات مبدعة، وانكباب على البحث المقنن في كل ضروب العلم، وبين الإغراق في وحل الخرافة باتباع طرق صوفية، والتمسك بقبور الأولياء، وانشغال العقل بأمور السحر والشعوذة والغيبيات، والاختلاف بين دهاقين التصوف حول أمور هامشية[١١٤]، ليست من صلب العقيدة؛ نعود مرة أخرى إلى الماضي للتذكير بروحه الخلاقة المبتكرة وإسهام أعلامه في

استصفاء ما يفيد الإنسان، فنقف عند مقتبسات من **كتاب الماء**، وهو معجم طبي لغوي ألفه **أبو محمد عبدالله بن محمد الأزدي الصحاري** (ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م) في القرن الخامس الهجري، رتبه على حروف المعجم، وبث فيه ما يدل على وعي معرفي واسع، وسرد فيه بلغة مشرقة مفاهيم ومصطلحات لها علاقة بالطب على نحو دقيق.

من نماذجه ما يأتي:

دستج:

الدّستجّ: الإناء الكبير من الزجاج، والدّساتيج جمعه. وهي التي يصنع فيها الصّيدليّ أدويته السّائلة، وبه جرَت العادة[١١٥].

دسر:

الدِّسار: ما تُربَط به الجراحات والكسور.

والدّسْر: الدّفْع الشّديد. والمدسُور: المدفوع[١١٦].

دعث:

الدّعْث، بالفتح ويُكسر: أوّل المرض. وقد دُعِثَ الرّجل: إذا أصابه اقشعرار وفُتور[١١٧].

دمغ:

الدِّماغ: يُطلق على الرّأس بجُملته، ويكون مرادفاً له؛ إلا أن لفظ الرأس يُستعمل في المدح والتّعظيم، وهو يستعمل في الذّمّ والتّحقير.

ويُطلق الدِّماغ على جميع ما في القَحْف من الحُجُب، وعلى نفس المخّ. وهذا هو المشهور.

والمراد هنا هو الثّاني.

وهو جسم لَيّن دسم، مُتخلخل، بارد، رطب، مركّب من المخّ والشّرايين

والأوردة والغشاءين اللذين يحيطان به جميعاً، وأحد الغشاءين رقيق يلي الدّماغ، ويُسمَّى بالأمّ الرّقيقة، وهي حافظة لأوضاعه كالمشيمة الحافظة لأوضاع الجنين. والآخر غليظ يلي العظم، ويُسمَّى بالأمّ الغليظة.

وهما حاجزان بينه وبين العظم.

وشكله قريب من مَخروط، قاعدته في مقدَّم الرأس، ورأسه في المؤخَّر.

وينقسم طُولاً إلى ثلاثة بُطون، وكلّ بطن منها ينقسم عُرْضاً إلى جزأين متساويين، ليقوم أحدهما بالأفعال الواجبة عند فساد الآخر.

أمَّا البطن المقدّم فإنه أعظمها، وفي مقدّمته القوّة المسمّاة بالحِسّ المشترَك، وهي قوّة من شأنها أنْ تُدرك جميع الصّور المحسوسة بواسطة الحواسّ الظاهرة لأنّ كلّ قوة منها تؤدي إليها ما أدْرَكَتْه. ولذلك سُمِّيت بالحِسّ المشترَك.

وفي مؤخَّرته القوّة المصوِّرة، وتسمّى بالخَيال أيضاً، وهي قوة من شأنها أنْ تحفظ ما يتأدّى إلى الحِسّ المشترك إذا غاب عن الحواسّ الظّاهرة. وهي قوّة واحدة، وعند الفلاسفة قوّتان، كما ذكرنا. وفي هذا البطن يَستحيل الرّوح الحيوانيّ روحاً نَفسانيّاً.

وأمَّا البطن المؤخَّر فإنّه أيضاً كبير لكنّه أصغر من المقدَّم. وفيه القوّة الحافظة، وهي قوة شأنها أن تحفظ ما يُدْرِكه الوَهْم من المعاني الجزئية، ويسمّيها بعضهم بالقوة الذّاكرة أيضاً. ومنه يتوزَّع الإدراك المتحرِّك إلى سائر الأعضاء القابلة للحركة الإرادية ومن مُؤَخَّر مبدأ النُّخاع.

وأمَّا البطن الأوسط فإنّه أصغرها، وهو كدِهْليز بين المقدَّم والمؤخَّر، وفيه قوتان:

* إحداهما القوة المتخيِّلة، ومحلّها أول هذا البطن، ولها اعتباران:

- اعتبار باستخدام الوَهْم لها في الصُّوَر المحسوسة والمعاني الجزئيّة، إمّا

بالتركيب، كتصوُّر إنسان له رأسان أو بالتّفصيل كتصوّر إنسان بلا رأس. وتسمّى مُخَيِّلَة لتصرُّفها في الصُّور الخياليّة.

- واعتبارٌ باستخدام النّفْس النّاطقة لها في المعاني الكُلية بأن تستعملها في تحصيل المجهول من العلوم وتسمّى مُفكّرَة لتصرّفها في الموادّ الفكرية لها.

** وثانيهما القوّة الوهمية ومحلّها آخر هذا البطن، وهي قوة من شأنها أن تدرك المعاني الجزئية القائمة بالصُّوَر المحسوسة كخوف الشّاة من الذّئب، وإدراكها وجوب الهرب منه، وكإدراك الإنسان أنّ زيداً يحبّه وأن عَمْراً يبغضه. وهي في الحيوان بمنزلة العقل من الإنسان.*

ويرى بعض الأطباء والفلاسفة أنها ثلاثة: مُخَيِّلَة ومُفَكِّرَة ومُذَكِّرَة. وإنّما حكموا باختصاص هذه القوى بهذه المواضع بما وجدوا من اختلال أفعالها عند عُروض آفة في شيء من هذه المواضع المذكورة.

والدّمْغ: كَسْرُ العظم وجَبْرُهُ.

والدّامِغة: الخشَبة تُستعمل في تثبيت العظم المكسور.

والعلّة الدّامِغة: التي تصيب الآلات الحسّاسة. فإذا وقعتْ فيها أعْطَبَتْها. كالدِّماغ والقلب والعين. ففي الأوّل تُسبب الشّلل والسّكتة وغيرها، بحسب طبيعة العِلّة، وفي القلب تُسبّب السّكتة والوفاة، وفي العين تُسبّب العَمَى(١١٨).

ويمضي الصحاري في معجمه على هذا المنوال الذي تجاوز به عصره، مقدماً من خلاله عملاً علمياً يقترب من روح عصرنا، حتى نكاد نجزم أنه خبير متقن من علماء هذا القرن، وليس من ذلك الماضي البعيد، وهو أنموذج ليقظة العقل الذي غُيِّبَ في القرون المتأخرة بسبب مسوقي الخرافة ودعاتها، وأتباعهم الذين انساقوا وراء ضلالاتهم التي حجبت نور العلم،

وأشاعت التواكل والتقديس والانغماس في كل ما يؤدي إلى الاسترخاء والانزلاق في مهاوي الجهل والأمية.

إن اتساع الشقة بيننا وبين العالم المتقدم المعاصر هو بالمقدار نفسه بيننا وبين مجتمع العلم والمعرفة عند أسلافنا في القرون الأولى. وتجسير الهُوَّة، ومن ثَمَّ ردمها، لن يتأتى إلا بالعمل على استلهام فعل ذلك الماضي؛ ليكون وقوداً يدفع بنا إلى عالم المعرفة المعاصر بوثباته واندفاعه اليومي في البحث عن كل ما يجلب النفع للبشرية.



هوامش
القسم الثاني



١- ابن قاضي شهبة: **تاريخ ابن قاضي شهبة**، ٢/ ٥١٩.

٢- المقريزي: **درر العقود الفريدة**، ج٢، ص ص٤٧، ٤٨.

٣- السابق، ٣/ ٢٩٠-٢٩٢.

٤- البقاعي، أبو الحسن برهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط (ت ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م) / **إظهار العصر لأسرار أهل العصر**، تحقيق: محمد سالم بن شديد العوفي، الرياض، المحقق، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ٢/ ١٦٤-١٦٦.

٥- ساراماغو، خوزيه: **سنة موت ريكاردوريس (رواية)**، ترجمة: أنطوان حمصي، دمشق: دار المدى، ١٩٩٩م، ص ص٣٥٩-٣٦٢.

٦- اليافعي، عفيف الدين عبدالله بن أسعد بن علي (ت ٧٦٨هـ/ ١٣٦٧م) / **مختصر روض الرياحين في مناقب الصالحين**، القاهرة: دار الكتب العربية الكبرى، ١٣٣٤هـ، ص٤٨.

٧- السابق، ص٥٨.

٨- السابق، ص٨٤.

٩- الشعراني، عبدالوهاب بن أحمد بن علي الحنفي (ت ٩٧٣هـ/ ١٥٦٥م) / **الطبقات الكبرى المسماة بلواقح الأنوار في طبقات الأخيار**، تحقيق: سليمان الصباغ، بيروت: دار المعرفة، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص٢٢٧.

وانظر: إبراهيم، الصادق بن محمد / **خصائص المصطفى صلى الله عليه وسلم بين الغلو والجفاء**، الرياض: مكتبة دار المنهاج، ١٤٢٦هـ، ص٢٥٨، نقلاً عن الكواكب الدرية للمناوي.

١٠- الطعمي، محيي الدين: **الطبقات الكبرى**، بيروت: المكتبة الثقافية، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ٣/ ٣٣٢.

١١- الشعراني: **الطبقات الكبرى**، ص ص٤٣٠-٤٣١.

١٢- السابق، ص٤٥١.

١٣- السابق، ص٤٥١.

١٤- السابق، ص٤٥٢.

١٥- السابق، ص٤٥١.

١٦- السابق، ص٢٩٥، وانظر: الملحق رقم (٢) المتضمن تراجم لبعض الصوفية والأولياء من مخطوطة «**لواقح الأنوار**».

١٧- الكُوهِن المغربي، أبو علي الحسن بن محمد بن قاسم/ (ت بعد ١٣٤٧هـ/ بعد ١٩٢٨م)/ **طبقات الشاذلية الكبرى المسمى: جامع الكرامات العَلِيَّة في طبقات الشاذلية**، وضع حواشيه: مرسي محمد علي، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص١١٢.

١٨- السابق، ص١١٣.

١٩- السابق، ص١١٣.

٢٠- السابق، ص١٢٣.

٢١- السابق، ص١٤٠.

٢٢- السابق، ص٢٢٩.

٢٣- الطعمي: **الطبقات الكبرى**، ٢/ ٣٥٠.

٢٤- السابق، ٢/ ٣٥٠.

٢٥- الحضراوي، أحمد بن محمد بن أحمد (ت ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م)/ **نزهة الفكر فيما مضى من الحوادث والعبر في تراجم القرن الثاني**

عشر والثالث عشر، قطعة منه، تحقيق: محمد المصري، دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٦م، ١/١٧٦-١٧٧.

٢٦- فروخ، عمر (ت ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) / **التصوف في الإسلام**، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص٨٧.

٢٧- السابق، ص٨٨.

٢٨- السابق، ص ص٨٨-٨٩.

تحدث سنوك هورخرونيه [**صفحات من تاريخ مكة المكرمة**، ترجمة: علي عودة الشيخ ومحمد محمود السرياني ومعراج نواب مرزا، الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ٢/٣٦٢-٣٧٤] عن المناسبات، التي كانت تقام في مكة المكرمة للاحتفال بذكرى السيدة خديجة، والسيدة ميمونة رضي الله عنهما، وذكرى الولي المهدي والولي محمود بن إبراهيم الأدهم، الذي كان ضريحه مخصصاً للنساء في النهار. يحتفلون بذكراه لمدة ثلاثة أيام «حيث تقوم النساء المدعوات بواجب الضيافة... بإحضار الطعام بالإضافة إلى المفارش والسجاد وأدوات الطبخ، وحتى أدوات الشيشة... وتقوم النساء خلال هذا الاحتفال بسماع الأغاني التي تغنيها بعض الجواري المحترفات، اللواتي يؤتى بهن لهذا الغرض، ويصاحب الغناء الضرب على الطبلة والنقر على الدف».

٢٩- النبهاني، يوسف بن إسماعيل بن يوسف (ت ١٣٥٠هـ/ ١٩٣٢م) / **جامع كرامات الأولياء**، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، بيروت: دار المعرفة، ، ١/٣٥٤.

٣٠- السابق، ١/٤٢٠.

٣١- السابق، ٢/٣٨٢.

٣٢- السابق ٢ /٣٨٦-٤٠٧، وانظر: للمقارنة الملحق رقم (٣) عن الوسيط الروحي دانيال هوم.

٣٣- انظر مقالة للمؤلف بعنوان: «الروحية... وترسيخ الاسترخاء»، في: **من يقرأ المصباح**، الرياض: مؤسسة اليمامة، ١٩٩٤م (كتاب الرياض، ٧)، ص ص١٣٩-١٤٤.

٣٤- صروف، فؤاد (ت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م) / **رسائل الأرواح**، القاهرة: دار العرب للبستاني، طبعة مصورة عن طبعة مجلة المقتطف، ١٩٢٨م، ص١٢٠.

٣٥- إيسوب / **خرافات إيسوب**، ترجمة: مصطفى السقا، وعبدالحميد جودة السحار، القاهرة: مكتبة مصر ومطبعتها [١٩٧٦م]، ص ص١٤٢-١٤٣.

٣٦- السابق، ص ص٥٣-٥٤.

٣٧- إبراهيم، الصادق بن محمد: **خصائص المصطفى**، ص٢٥٨. نقلاً عن: **تفريح الخاطر في مناقب الشيخ عبدالقادر**، لمحمد صادق قادري.

٣٨- السابق، ٢٥٦.

٣٩- غازي، محمد جميل / **الصوفية: الوجه الآخر**، إعداد: عبدالمنعم الجداوي، القاهرة: المعد (المطبعة الفنية)، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص ص١٨-١٩.

حاول بعض المعجبين بأئمة التصوف التشكيك فيما يروى عنهم من كرامات نظراً لإسفافها، وبعدها عن العقيدة، كما فعل محمود النواوي في ترجمته لإبراهيم الدسوقي حين قال بوجوب التحفظ على ما نُقِلَ عنه من عجائب، وكرامات، وأن تؤخذ على أنها أخبار لم يُتَحَرَّ في نقلها «ما

يجب أن يراعى في صحة الأسانيد التي تلقي على الأخبار المنقولة ضوء العلم والإيمان الصحيح، يستوي في ذلك ما ينقل عن الدسوقي، وعن غيره - مهما علت رتبته - إلى سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه؛ فهم يذكرون أنه كان يتكلم في المهد، وأنه صام أول رمضان صادفه في حياته، وأن ذلك كان بعد ولادته بيوم واحد. ويقولون إنه كان يخاطب جبريل، وإنه يقرأ اللوح المحفوظ. ويذكرون عنه قصصاً كثيرة فيها كثير من العجائب والغرائب؛ ففي بعضها أن نقيبه دفع سبعة من القضاة جاءوا يمتحنونه إلى ما خلف جبل قاف، فمكثوا سنة، ثم عفا عنهم بعد توبتهم. وفي بعضها أنه أمر التمساح أن يلفظ حبيساً كان ابتلعه، فلفظه حياً، ثم قال للتمساح: مُت بإذن الله. فمات... وكثير وكثير جداً من أمثال تلك الأشياء التي قلنا إنه يجب التحفظ في الإيمان بها، مع الاعتقاد بأن الله قدير على خرق العادات، لا يقف أمام قدرته شيء» [محمود النواوي، سيدي إبراهيم الدسوقي، مجلة الأزهر، مج٢٢ (١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠م)، ص ص٢٢٩-٢٣٠].

والعجيب في الأمر ضعف دفاع الشيخ؛ فهو يدعو إلى التحفظ، وإن كان في النهاية يؤمن بإمكان وقوع مثل تلك الكرامات؛ لأن الله قادر على خرق العادات. ويُطالب الفقهاء النظر في ما اعتاد الناس عليه: من شدٍّ الرحال إلى الدسوقي، ونذر النذور، وإقامة الموالد. ويوصي بأن يساس الناس في التوجيه بلطف ودقة ورفق وحكمة، وتوجيه إلى الحسنى بالحسنى [السابق، ص٢٣١].

٤٠- البقاعي: **إنارة الفكر بما هو الحق في كيفية الذكر**، تحقيق: سليمان بن مسلم الحرش، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ص

ص٢٣-٢٤. وانظر الملحق رقم (٣) الوسيط الروحي دانيال هوم من كتاب: **الأحلام والخرافات والسحر**، تأليف: عبدالله حسين، القاهرة: مطبعة التوفيق، ١٩٤٨-١٩٤٩م، ص ص٩٤-١١٩.

٤١- ابن عربي، محيي الدين محمد بن علي بن محمد، أبو بكر الحاتمي (ت ٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م) / **الفتوحات المكية**، تحقيق: عثمان يحيى، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة بالتعاون مع معهد الدراسات العليا بالسربون، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، السفر الثالث، ص ص١٨٣-١٨٥.

٤٢- ماركيز، غابرييل غارسيا/ **مئة عام من العزلة (رواية)**، ترجمة: محمد الحاج خليل، ط٣، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٥م، ص١٠٢.

٤٣- السابق، ص١٠٣.

٤٤- ابن عربي: **الفتوحات**، ٣/ ٣٦٢.

٤٥- السابق، ٣/ ٣٦٥.

٤٦- السابق، ٣/ ٣٦٧.

٤٧- مبارك، زكي (ت ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م) / **التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق**، بيروت: دار الجيل، د.ت، ص ص١٢٣-١٢٤.

٤٨- دحلان، أحمد بن زيني (ت ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م) / **فتوى مخطوطة**، محفوظة في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

٤٩- البُوني، أبو العباس أحمد بن علي بن يوسف (ت ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م) / **كتاب اللمعة في الفوائد الروحانية**، ضمن كتاب: **اللؤلؤ المنظوم في الطلاسم والنجوم**، القاهرة: سعيد علي الخصوصي، د. ت، ص ص١٠١-١٠٢.

٥٠- السابق، ص٥٧.

٥١- البوني: **شرح الجلجلوتية الكبرى** في كتاب: **منبع أصول الحكمة**، القاهرة: محمود القوني، د. ت، ص٩٨.

٥٢- السابق، ص ص١٠١-١٠٢.

٥٣- السابق، ٩٣-٩٤.

٥٤- الجبرتي، عبدالرحمن بن حسن بن إبراهيم (ت ١٢٣٧هـ/ ١٨٢٢م)/ **تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، ط٢، بيروت: دار الجيل، ١٩٧٨م، ٢/ ٢٤٢-٢٤٤.

٥٥- السابق، ٢/ ٣٠٤.

٥٦- السابق، ٢/ ٣٠٥-٣٠٦.

٥٧- الراجحي، عبدالعزيز بن فيصل/ **مجانبة أهل الثبور المصلين في المشاهد وعند القبور**، الرياض: المؤلف، ١٤٢٥هـ، ص ص٣٣٧-٣٣٨.

٥٨- السابق، ص٣٣٨.

٥٩- العجيلي، التليلي/ **الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية (١٨٨١-١٩٣٩م)**، تونس: منشورات كلية الآداب بمنوبة، ١٩٩٢م، ص ص٩٣-٩٩.

٦٠- السابق، ١٢٣.

٦١- السابق، ص ص١١٦-١٢٠.

٦٢- الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٢م)/ **تاريخ بغداد**، بيروت: دار الكتاب العربي، د. ت، ٨/ ١١٢-١٤١.

٦٣- الجبرتي: **تاريخ عجائب الآثار**، ٢/ ٣٢-٣٣.

٦٤- السابق، ٢/ ٣٦.

٦٥- السابق، ٢/ ٨٨.

٦٦- المحبي: **خلاصة الأثر**، ٤ /٣٨٧-٣٨٩.

٦٧- السابق.

٦٨- السابق، ٤ /١٨٨.

٦٩- السابق، ٤ /٢٠٣.

٧٠- السابق، ٤ /٢٨.

٧١- السابق، ١ /٤٥٨.

٧٢- السابق، ٢ /١٥.

٧٣- السابق، ٢ /٢٠١.

٧٤- السابق، ٤ /٢٨-٢٩.

٧٥- السابق، ٤ /١١.

٧٦- السابق، ٢ /٢٠١.

٧٧- مرداد: **المختصر من نشر النور**، ص ص٣٣٨-٣٤٠.

٧٨- **مجموع لطيف يشتمل على أدعية وأبواب وفوائد وشرح الجلجلوتية والصلوات الكبرى وبعض فوائد من خواص البسملة بالتمام**، القاهرة: مكتبة الجمهورية، ص١٠.

٧٩- السابق، ص١٠.

٨٠- الطوخي، عبدالفتاح السيد عبده/ **إغاثة المظلوم في كشف أسرار العلوم**، القاهرة: مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح، د. ت، ص٣١.

٨١- السابق، ص٣٣.

٨٢- الأفشاري النجفي، حبيب بن موسى الرضا/ **أسرار المكتوم في أسرار المخزون**، ط٢، بيروت: مؤسسة البلاغ، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٨٣- **الوحدة والتنوع في الحضارة الإسلامية**، تحرير ج. أي. فون كرونباوم، ترجمة صدقي حمدي، بغداد: مكتبة المثنى، ١٩٦٦م، ص ص٣٥٩-٣٦٠.

وقد أفرد عبدالكريم بن محمد بن عبدالكريم الفَكُّون القسنطيني المتوفى سنة ١٠٧٣هـ/١٦٦٣م في كتابه: **منشور الهداية في كشف حال من ادَّعى العلم والولاية**، الفصل الثالث للحديث عمَّن «**ادَّعى الولاية من الدجاجلة والكذابين والمتشدقة والمبتدعة الضالين المضلين**»، أشار فيه إلى نماذج من أدعياء الولاية في بلدان المغرب العربي من مثل: علي العابد الشابي (ص١٦٨-١٦٩)، الذي «أشهر بدعة عظيمة وفتن كثيراً من العامة والبوادي»، ولما مات حُمل إلى بلد العضاب وعُملَ له مَشْهَدٌ عظيمٌ، «ودُفِنَ بجامع يقال له سيدي علي يسلخ، وأقبلت عليه العوائد والعطايا، وكاد أن يكون قبره وثناً يُعبد». وأبو مدين (ص١٧٧-١٧٨)، وكان سقيماً مصاباً بالجنون، ولما مات «دُفِنَ خارج قسنطينة بمحل يقال له أكدال وبنوا عليه مسجداً، ويُقال له جامع سيدي مدين».

٨٤- كرونباوم: **الوحدة والتنوع في الحضارة الإسلامية**، ص٣٦٠.

٨٥- تحتوي الصحف العربية على أخبار تتعلق بانتشار السحر والسحرة، وكيفية تَعَامُلِ أفرادٍ من المجتمع معهم في أمور أسرية، والبحث عن سبل لزيادة الدخل، وقد أوردنا نماذج مما نشرته الصحف السعودية في الملحق رقم (٧). كما انتشر التأليف في أمور غيبية تتعلق بالنجوم، وقراءة الطالع، وتحضير الأرواح، والسحر، وقراءة الكف، والبحث في موعد قيام الساعة. ونورد فيما يأتي بعض العناوين التي نُشِرَت في القرن العشرين، والعقد الأول من القرن الحادي والعشرين، وهي غيض من فيض:

طلوع الشمس من مغربها، علم الساعة لفريد قبطني، ترجمة: أحمد أمين حجاج أول، بيروت: دار البراق، ١٩٩٩م.

تنبؤات نوستراداموس، القاهرة: مكتبة مدبولي، ٢٠٠٢م.

تنبؤات نوستراداموس، [دمشق]: دار الكتاب.

آداب المنام وتعبير الأحلام، بيروت: دار المحجة البيضاء، ١٤٢٣هـ.

كشف الأستار عن وجه الغائب عن الأبصار، ميرزا حسين النوري الطبري، طهران: مكتبة نينوى الحديثة، ١٤٠٠هـ.

الحاسة السادسة لبول ريبو، ترجمة: عبداللطيف شرارة، بيروت: دار الكتاب العربي.

قراءة الكف، ترجمة: عمر البجاوي، وهيثم سرية، دمشق: دار الكتاب العربي.

أفعال شيطانية، ابو محمد الجبالي وسعد الدين علاقة، بيروت: دار اليوسف، ١٩٩٨-١٩٩٩م.

الموسوعة الميسرة في الرؤى المعبرة، محمد بن محمود الجيزاوي، عمان: مطبعة الشباب، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

توقعات في قراءات وفاء الزين ٢٠٠٤م، محلياً، وعربياً، ودولياً، بيروت: بيسان للنشر، ٢٠٠٣م.

التنجيم في الميزان، علي حسن موسى، دمشق، ٢٠٠٤م.

الإنسان والأشباح والجن، سعيد إسماعيل، القاهرة.

عالم الروح، مدينة الغرباء المطرودين من عالم الإنسان، هابيل توفيق السعيد، القاهرة.

العالم غير المنظور، علي عبدالجليل راضي، القاهرة، دار الفكر العربي.

قاموس تفسير الأحلام، خليل حنا تادرس، ط٢، القاهرة.

التقمص: أحاديث مع متقمصين، تجارب عملية، نور خالد دنكفزن، ترجمة: إلياس حاجوج، دمشق: دار علاء الدين، ٢٠٠٢م.

هالة الإنسان وطاقاته الكامنة وقواه الخفية وتأثيرها في صحته، قيس غدش، بيروت: مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

الطاقة الخفية والحاسة السادسة، شفيق رضوان، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

تنزلات الأمر في جفر العصر، محمد محمد الحريري، القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م.

حياة محمد الروحية، علي عبدالجليل راضي، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

ثلاثون سنة بين الموتى، علي عبدالجليل راضي، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

تكلم مع الأرواح، علي عبدالجليل راضي، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

سفير الأرواح العليا، علي عبدالجليل راضي، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

روح فرعونية تتكلم، علي عبدالجليل راضي، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

الكف وأسرار النفس، أحمد السنوسي، القاهرة: المؤلف، ١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م.

علم قراءة اليد، لجامعه وناقله عن اللغات الأجنبية: نجيب أفندي، بيروت: المكتبة الثقافية.

كيف تقرأ أفكار الآخرين، سامي علي، القاهرة: الدار المصرية للنشر، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

اعرف شخصيتك من خلال قراءة الكف وقراءة الفنجان وفتح المندل، أنور حافظ عبدالحليم، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة.

الجفر والفتن وأشراط الساعة، للإمام علي بن ابي طالب، إعداد وتحقيق: عبدالمنان الطيبي، بيروت: دار اليوسف.

إضافة إلى إعادة طبع كثير من كتب السحر التراثية، وكتب البروج والطوالع وغيرها مما يصعب حصره، وما أشرنا إليه هنا مجرد نماذج.

وانظر الملحق رقم (٦) ففيه نماذج من كتب السحر.

٨٦- بدران، عبدالقادر بن أحمد بن مصطفى بن عبدالرحيم بن محمد (ت ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م) / **منادمة الأطلال ومسامرة الخيال**، دمشق: المكتب الإسلامي، د. ت، ص ص٢٦٣-٢٦٤.

٨٧- متز، آدم (ت ١٣٣٥هـ/ ١٩١٧م) / **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري**، ترجمة محمد عبدالهادي أبو ريدة، ط٤، القاهرة: مكتبة الخانجي، وبيروت: دار الكتاب العربي، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، ١/ ٣٢٣.

٨٨- هونكة، زيجريد (ت ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م) / **شمس العرب تسطع على الغرب، أثر الحضارة العربية في أوروبا**، ترجمة: فاروق بيضون وكمال دسوقي، بيروت: المكتب التجاري للطباعة والتوزيع، ص ص ٣٩٣-٣٩٤.

٨٩- عويس، سيد (ت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) / **رسائل إلى الإمام الشافعي، ظاهرة إرسال الرسائل إلى ضريح الإمام الشافعي: دراسة سوسيولوجية**، ط٢، القاهرة: دار الشايع للنشر، ١٩٧٨م، ص ص١٧٠-١٧١.

٩٠- السابق، ص٢٨٩.

٩١- السابق، ص٣٧٥.

٩٢- عبده، علي عرفة: «**موالد المحروسة بين الماضي والحاضر**» [مجلة]، القاهرة، ع١٥٦ (نوفمبر ١٩٩٥م)، ص٥٨.

٩٣- السابق.

٩٤- Soares, Benjamin F, "Saint and Sufi in Cotemporary Mali, in: **Sufism and the' modern' in Islam,** Edited by Martin Van Bruinessen and Julia Day Howell, London: I. B. Tauris, 2007, P86.

٩٥- السابق، ص٨١.

٩٦- السابق، ص٨٢-٨٦.

٩٧- عبدالدائم، عبدالله: **التربية في البلاد العربية: حاضرها ومشكلاتها ومستقبلها من عام ١٩٥٠م إلى عام ٢٠٠٠م**، ط٤ مزيدة، بيروت: دار العلم للملايين، ص٧٥٣.

٩٨- **فهم الصوفية واستشراف أثرها في السياسة الأمريكية**، تقرير صادر عن مركز نيكسون في واشنطن العاصمة، ٢٠٠٤م، إعداد توبياس هيلمستروف، وياسمين سينر، وإيميت توهي، ترجمة: مازن المطبقاني، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م (تقارير خاصة مترجمة، ٣)، ص ص ١٤-١٥.

٩٩- سينويه، جيلبرت / **اللوح الأزرق: (رواية)**، ترجمة: آدم فتحي، كولونيا (ألمانيا)، دار الجمل، ٢٠٠٨م، ص٢٣٠.

١٠٠- وهبي، صالح: «مقامات وأضرحة أهل البيت وبعض الصحابة في مدينة دمشق وريفها ودورها في السياحة الدينية»، **مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية**، عدد خاص (دمشق عاصمة الثقافة العربية لعام ٢٠٠٨م)، ص٥٠٧.

١٠١- السابق، ص٥٠٩، وقد ناقش عبدالعزيز بن فيصل الراجحي - على نحو مفصل - مسألة الصلاة عند المقابر وبناء الأضرحة، وَوَضَّحَ الموقف

الشرعي منها في كتابه: **مجانبة أهل الثبور المصلين في المشاهد وعند القبور**، الرياض: المؤلف، ١٤٢٥هـ.

١٠٢- خاه، فاريبا عادل: **تقرير عن الزيارات الدينية الإيرانية إلى سورية**، ترجمة: محمد السبيطلي، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية (تقارير مترجمة، ١٣) ص ص١٣-١٤. وقد نُشرت الدراسة باللغة الفرنسية في مجلة بوليتكس (Politix)، العدد ٧٧، سنة ٢٠٠٧م.

١٠٣- السابق، ص١٨.

١٠٤- وهبي، صالح: **مقامات وأضرحة أهل البيت**، انظر هامش رقم ١٠٠.

ومن نماذج الاستغلال المادي للتصوف، والسعي للكسب التجاري من خلاله، ما لجأت إليه الفرقة البرهانية المنتشرة في السودان ومصر، في سبيل جمع المال من ابتداع «ما يُسمى بالحقيبة المباركة، وهي عبارة عن حقيبة صغيرة، بها مسبحة، ومجموعة من الأوراد الخاصة بالبرهانية، وكانت تُباع نظير خمسة عشر جنيهاً. فضلاً عن ذلك راح إبراهيم يوهم البعض بأنه قد مسهم جن، ويحصل منهم على أموال طائلة مقابل شفائهم، ويوهم الفتيات اللاتي تقدم بهن العمر دون زواج، بأنه قادر على أن يزوجهن، إذا اتبعوا تعاليمه، واشتروا الأحجبة التي كان يصنعها» [عمار علي حسن/ **التنشئة السياسية للطرق الصوفية في مصر...**، القاهرة: دار العين للنشر، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ص٢٥٨]، ويذكر حسن [ص٢٥٤]، أن جمال السنهوري نقيب البرهانية في مصر، سافر إلى السودان ليشارك في مراسم دفن زعيم البرهانية محمد عثمان في سنة ١٩٨٣م. وفي تلك الرحلة بايع إبراهيم محمد عثمان شيخاً للبيت

البرهاني، خلفاً لأبيه «إلا أن شهر العسل بينهما سرعان ما انقضى، حين تصارعا على أموال إيرادات بيع ما يسمى بالمبخرة المباركة، فضلاً عن النفحات والعطايا، التي كان يبذلها الأتباع كي يتقربوا زلفى من شيخهم، وكذلك عائدات بيع كتابي: (شراب الوصل)، و(تبرئة الذمة في نصح الأمة)».

١٠٥- **الصوفية**، مجلة إلكترونية على الموقع www.alsoufia.com، وانظر: الملحق رقم (٥) نماذج من المجلة.

١٠٦- **الصوفية**، ع١٠ (رمضان ١٤٢٩هـ/ سبتمبر ٢٠٠٨م)، ص ص١٢-١٣.

١٠٧- الوكيل، عبدالرحمن (ت ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م) / **هذه هي الصوفية**، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٧٩م، ص ص٣-٧.

١٠٨- السحار، عبدالحميد جودة (١٣٩٣هـ/١٩٧٤م) / **هذه حياتي**، القاهرة: دار مصر للطباعة، ص ص٢١٥-٢١٧.

١٠٩- انظر: صورة الخطاب في الملحق رقم (٧).

١١٠- انظر: صورة الخطاب في الملحق رقم (٧).

١١١- أسسها أحمد بن عليوه (١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م) في مستغانم، «وهي طائفة متشعبة من الطريقة الدرقاوية، ولهذه الحركة الصوفية صحيفة تعبر عن أفكارها المعارضة للحركة الإصلاحية التي يقودها الشيخ عبدالحميد ابن باديس، وهي جريدة البلاغ»، كتاب: **آثار ابن باديس**، إعداد وتصنيف: عمار الطالبي، الجزائر: دار ومكتبة الشركة الجزائرية للتأليف والترجمة والطباعة والتوزيع والنشر، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، ص٥٣.

١١٢- «صوفي جزائري يضمن كتابه رسوماً تجسد الرسول ﷺ

والصحابة والملائكة»، إعداد: حازم عبده، **الوطن** (الجمعة ٩ شعبان ١٤٣٠هـ/ ٣١ يوليو ٢٠٠٩م)، ص٢٧.

- «الجزائر تحتفل بمئوية الطريقة الصوفية العلاوية»، **الحياة** (الأحد ٤ شعبان ١٤٣٠هـ/ ٢٦ يوليو ٢٠٠٩م)، ص١٣.

١١٣- الطالبي، عمار: **آثار ابن باديس**، ص١٨.

١١٤- ومن نماذج الخلاف العبثي ما وقع بين مشايخ الطرق الصوفية في دمياط من اختلاف حول القراءة الجهرية الجماعية لدلائل الخيرات، وهل هي جائزة أو ممنوعة، ودُوِّن كل ذلك في وثيقة مكتوبة سنة ١٣٠٢هـ (١٨٨٤م)، انتهت إلى قرار من مشايخ الطرق في دمياط بتأييد ما أقره الأستاذ العلامة الشيخ الباجوري «أنه لا يجوز لمتمسك بالشرع أن يُمنع من قراءة دلائل الخيرات بأي كيفية وبأي موكب...»، [وثيقة مكتوبة في سنة ١٣٠٢هـ، محفوظة في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية].

١١٥- الصحاري، أبو محمد عبدالله بن محمد الأزدي (ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م)/ **كتاب الماء: (أول معجم طبي لغوي في التاريخ)**، تحقيق: هادي حسن حمودي، مسقط: وزارة التراث القومي والثقافة، ٢/ ٧٦.

١١٦- السابق، ٢/ ٧٦.

١١٧- السابق، ٢/ ٧٧.

١١٨- السابق، ٢/ ٨٤-٨٦.

الملاحق



الملحق رقم (١)

رسالة الحسن بن الحسن بن الهيثم
في تربيع الدائرة

تحقيق: رشدي راشد

في كتاب : Les Mathématiques Infinitésimales

الصادر عن مؤسسة الفرقان في لندن



ا – ٣٩ – ظ
ب – ١ – و
ت – ٨٤ – ظ
جـ – ١٢٤ – ظ
ش
د – ٧ – و
هـ – ١٠ – و
ط – ٩٣
ف – ١ – ظ
ك – ١٠٧ – ظ
م – ١ – ظ

بسم الله الرّحمن الرّحيم

قول للحسن بن الحسن بن الهيثم
في تربيع الدائرة

قد اعتقد كثير من المتفلسفين أن سطح الدائرة لا يمكن أن يكون مساويًا لسطح مربع مستقيم
5 الخطوط، وتردد هذا المعنى في كثير من محاوراتهم ومناظراتهم، ولم نجد لأحد من المتقدمين ولا المتأخرين شكلاً مستقيم الخطوط مساويًا لسطح دائرة على غاية التحقيق؛ والذي ذكره أرشميدس في مساحة الدائرة فإنما استعمل فيه بعض التسمّح، وهذا المعنى هو أحد ما قوّى رأي المتفلسفين في اعتقادهم. ولما كان ذلك كذلك، أنعمنا الفكر في هذا المعنى فتلوّح لنا أنه ممكن وغير متعذر وله نظائر: وهو أنه قد يوجد هلال يحيط به قوسان من دائرتين، وهو مع ذلك مساوٍ
10 لمثلث، وقد يوجد هلالٌ ودائرةٌ مساويان بمجموعها لمثلث. وقد ذكرنا من هذا النوع أشكالاً كثيرة مختلفة في كتابنا في الهلاليات. / ولما وجدنا الأمرَ على هذه الصفة في الأشكال الهلالية، قوّى/ في

ف – ٢ – و
هـ – ١٠ – ظ

1 بسم الله الرحمن الرحيم: ناقصة [جـ] أضاف ناسخ [هـ] بعد البسملة «وثقتي بالله وحده» – 2 قول ... الهيثم: قول للشيخ أبي علي الحسين بن الحسين بن الهيثم [ف] رسالة لابن الهيثم [٥] ترمز النجمة إلى هذه الأسرة من المخطوطات [ا، ب، ت، جـ، د، ش، ط، ك، م] – 4 قد: نقول قد [جـ، د، ش، ط] يقول قد [م] / اعتقد: يعتقد [ب، ت، جـ، د، ش، ك، م] / أن يكون: ناقصة [ف] – 5 وتردد: ويتردد [ف] وردد [ب، ت، ك] وتردد في [م] – 5-8 وتردد ... لنا أنه: ناقصة [ا] / ومناظراتهم: ناقصة [جـ] / نجد: يوجد [٥] / لأحد من: ناقصة [ط، م] لاخذ من [ف] / المتقدمين: للمتقدمين [ط، م] – 5-6 ولا المتأخرين: ولا للمتأخرين [ت، جـ، د، ط، م] وللمتأخرين [ش] – 6 مساويًا: مساوي [هـ] / غاية: ناقصة [ف] – 7 أرشميدس: ارشمدس [ف] / بعض: ناقصة [هـ، ف] / التسمّح: المنسخ [جـ، د، ش، ط، م] المنسخ [ت] / هو أحد: ناقصة [د، م، ش، ط] / أحد ما: أحدها [ب، ك] / رأي: آراء [٥] – 8 المتفلسفين: للمتفلسفين [ك] / اعتقادهم: اعتقادتهم [د] اعتقاداتهم [ط، م] / ذلك: ناقصة [د، م، ش، ط] / أنعمنا: انعا [ط] اتقينا [م]/ الفكر: النظر الفكري [٥] / فتلوّح: فسرح [ب، ت، ك] فلاح [ف] فسخ [جـ] فسح [د، ط، م] فتح [ش] / لنا: لل [جـ] / ممكن: وهو ممكن [ا] – 9 وغير: غير [م] / متعذر: معتذر [ف]/ هلال: هلال [٥] ولن نشير إلى مثلها فيما بعد / يوجد هلال: توهدال [ك] / يحيط به: كتب ناسخ [جـ] «يحيط» ثم أثبت «يحيط به» في الهامش – 9-10 يحيط ... هلال: ناقصة [ت] – 10 ودائرة: ودائرتان [ش] / بمجموعها: بمجموعها [ا، ت، جـ، د، ش، ط، م] / لمثلث: المثلث [ت] / من: في [جـ] – 11 مختلفة: ناقصة [د، ش، ط، م] / في كتابنا: ناقصة [٥] / ولما: واما [ك] / الأمر: مطموسة [ف] / هذه: هذا [د، ط] أثبتها في الهامش [جـ] / الأشكال: الأشكالى [ت، ك]/ الهلالية: الهلالي [ب، ت، ك] / في: ناقصة [هـ].

نفوسنا أنه من الممكن أن يكون سطح الدائرة مساويًا لسطح مربع مستقيم الخطوط. فاستقصينا الفكر في ذلك إلى أن تبيّن لنا بالبرهان أن هذا المعنى ممكن ولا شُبْهة في إمكانه. فألفنا فيه هذا القول.

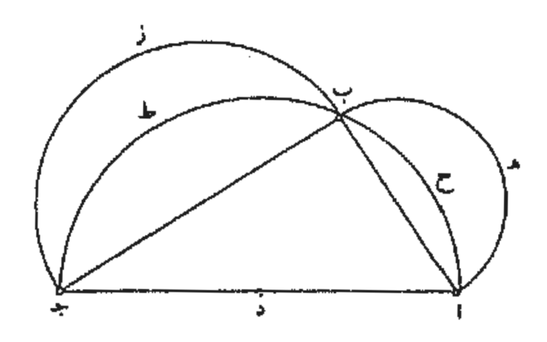
فنقول: إن كل دائرة يخرج فيها قطرٌ من أقطارها، ثم يُتعلم على أحد نصفيها نقطة كيفما

5 اتفقت، ونوصل بينها وبين طرفي القطر بخطين مستقيمين، ثم نعمل/ على هذين الخطين / ط - ٩٤
المستقيمين نصفي دائرتين، فإن الهلالين اللذين يحدثان من محيطي النصفين مع محيط الدائرة الأولى ب - ١ - ظ
مساويان/ بمجموعها للمثلث الحادث في الدائرة الأولى. وقد بيّنا هذا المعنى في كتابنا في د - ٧ - ظ
الهلاليات، ونحن نعيد البرهان عليه في هذا الموضع .

فليكن دائرة عليها ا ب جـ ، وليكن مركزها د ، ونجيز على نقطة د خط ا د جـ ، فيكون ا جـ

10 قطر الدائرة. ونتعلم على محيط الدائرة نقطة ب ،/ ونصل خطي ا ب ب جـ ، ونعمل على خطي ك - ١٠٨ - و
ا ب ب جـ نصفي دائرتين وهما ا هـ ب ب ز جـ.

فأقول: إن هلالي ا هـ ب ح ا ب ز جـ ط ب مساويان/ بمجموعها لمثلث ا ب جـ. ف - ٢ - ظ



1 أنه من: مطموسة [ف] / من الممكن: ممكن [ا] / الدائرة: مستدير [جـ، د، ش، ط، م] ناقصة [ب، ت، ك] دائرة [ا] / فاستقصينا: فاستقصينا [ف] — 2 الفكر: الفكرة [هـ] / تبين: يتبين [ف] / فألفنا: فالقينا [د، ش، ط، م] كتب «فالقينا» ثم أثبت الصواب في الهامش مع «خ» فوقها، يعني في نسخة أخرى [جـ] — 2-3 فألفنا فيه هذا القول: ناقصة [ا] — 4 إن: فوق السطر [جـ] / يخرج: تخرج [د] / فيها: فيه [ه، هـ] / قطر: قطرا [ف] / يتعلم: نُعلم [جـ، ط] / أحد: محيط أحد [ا] / نصفيها: نصفها [ا، ت، د، ش، ط، ك، ف، هـ] — 4-5 كيفما اتفقت: كيف اتفق [جـ، د، ش، ط، م] كيف ما اتفق [ا، ب، ت، ك] — 5 ونوصل: ويوصل [ب، د، ش، ف] ولن نشير إلى مثلها فيما بعد / بينها: بينهما [ط، جـ، م] / مستقيمين: ناقصة [ب] — 5-6 ثم نعمل ... المستقيمين: ناقصة [ا] — 6 المستقيمين: ناقصة [ف، هـ] / الهلالين: الهلالتين [د، ط، م] ولن نشير إلى مثلها فيما بعد/ اللذين: الذين [جـ، ش، ط] / محيطي: محيط [ف] / النصفين: النصف [د، ش، ط، م] — 7 بمجموعها: بمجموعها [ا، ت، جـ، د، ط، م] / مساويان ... الأولى: ناقصة [ت، ف] / في (الثالثة): ناقصة [د، ش، ط م] — 9 دائرة: ناقصة [جـ] / عليها: عليه [ه] ناقصة [ت]/ ليكن: ناقصة [ف] / د: ناقصة [ت، ك] / نقطة: ناقصة [ه] / د: ناقصة [ت] — 9-10 فليكن ... محيط الدائرة: في الهامش بخط آخر وفي النص نجد «فليكن ا ب ح قطر الدائرة» [جـ] — 10 الدائرة: للدائرة [هـ] / ونتعلم: ونعلم [ه] ونتعلم [ف] / محيط: المحيط [د، ط، م] / نقطة: نقط [ا] / ب: ناقصة [ت] / ونصل: ويطل [ف] — 11 وهما: هما [ه] / ب ز جـ: ب د جـ [هـ] ب ز هـ [ت، ك] — 12 هلالي: الهلالي [ب، د، ط، م] هذا التي [ت] هذا لي [ك] هلالتي [ا، ب] الهلالتين [ش] / ا هـ ب ح ا: ا هـ ب حـ [ط، م] ا هـ ب ح [ا، ب، ت، جـ، ش، ف، ك، م] / ب ز جـ ط ب: ب ز جـ ط [ت، جـ، د، ط، م، ف] ب وجـ ط [ك] / بمجموعها: بمجموعها [ه] / لمثلث: المثلث [ت].

برهان ذلك: أن كل دائرتين فإن نسبة إحداهما إلى الأخرى كنسبة مربع قطر إحداهما إلى مربع قطر الأخرى كما تبيّن في شكل ب من المقالة الثانية عشر من الأصول. فنسبة دائرة ب ز جـ إلى دائرة ب هـ آ كنسبة مربع جـ ب إلى مربع ب آ، وبالتركيب تكون نسبة مربعي جـ ب آ ب إلى مربع آ ب كنسبة دائرتي ب ز جـ ب هـ آ إلى دائرة ب هـ آ. ومربعا جـ ب آ ب هما مربع
5 آ جـ، فنسبة مربع / آ جـ إلى مربع آ ب كنسبة دائرتي ب ز جـ ب هـ آ إلى دائرة ب هـ آ. ونسبة مربع آ جـ إلى مربع آ ب هي كنسبة دائرة آ ب جـ إلى دائرة ب هـ آ. فنسبة/ دائرتي ب ز جـ ب هـ آ إلى دائرة ب هـ آ هي نسبة دائرة آ ب جـ إلى دائرة ب هـ آ. فدائرة آ ب جـ مساوية لدائرتي ب ز جـ ب هـ آ. فنصف دائرة آ ب جـ/ مساوٍ لنصفي دائرتي آ هـ ب ب ز جـ. فإذا أسقطنا قطعتي آ ح ب ب ط جـ المشتركتين لدائرة آ ب جـ ولدائرتي آ هـ ب ب ز جـ، بقي مثلث
10 آ ب جـ مساويًا لهلالي آ هـ ب ح آ ب ز جـ ط ب؛ وذلك ما أردنا أن نبيّن.

فإن كان قوسا آ ح ب ب ط جـ / متساويتين، فإن خطي آ ب ب جـ يكونان متساويين،/ ويكون دائرتا آ هـ ب ب ز جـ متساويتين، ويكون نصفاهما متساويين، ويكون هلالا آ هـ ب ح آ ب ز جـ ط ب متساويين. ونصل ب د، فيكون مثلثا آ ب د ب د جـ متساويين. وقد/تبين أن الهلالين/ مساويان بمجموعهما لمثلث آ ب جـ، فإذا كان الهلالان متساويين ومثلثا

ط – ٩٥
ش
م – ٢ – و
هـ – ١١ – و
ن – ٣ – و
جـ – ١٢٥ – و
ب – ٢ – و

1 برهان ذلك: برهانه [ا] / دائرتين: دائرة تبين [ط، م] / إحداهما: احدهما [ت] / إلى: ناقصة [ف] / الأخرى: الاخر [د] / إحداهما: احدهما [ت] – 2 الأخرى: الاخر [ط، ف، م] / شكل ب من: ناقصة [هـ، ف] شكل تبين [ت] / المقالة: مقالة [ب، ت، ك] / الثانية عشر: يب [ا، ب، ت، ك] / الأصول: كتاب أقليدس [ف] كتاب أوقليدس [هـ] – 3 ب آ: آ [ت، ك] / جـ ب: ح ب [ش] / آ ب: ب آ [ا، د، ط، هـ، ف، م] – 4 آ ب: د آ [هـ] ب آ [ف] / ب ز جـ: ب ز ح [ش] / ب هـ آ (الأولى): آ هـ ب [د، ش، ط، م] ب هـ [ك] / آ ب: ما [ف] / هما: ها [ك] – 4-5 ومربعا... آ جـ (الأولى): ناقصة [ش] – 5 فنسبة: ونسبة [ش] / مربع آ جـ: كتب بعدها «كما يقدر في شكل العروس» [ا] / آ جـ إلى: آ جـ آ الى [ب، ت، ك] / إلى دائرة ب هـ آ: أثبتها في الهامش [جـ] – 6-5 كنسبة ... آ ب: ناقصة [ف] / ونسبة مربع آ جـ إلى مربع آ ب: ناقصة [ط، م] – 6 هي: ناقصة [ه] / آ ب جـ: في الهامش [جـ] ناقصة [ك] / إلى دائرة: في الهامش [جـ] ناقصة [ك] / ب هـ آ: ب هـ ر [ب، ت، د، ش، ك] – 6-7 فنسبة ... ب هـ آ (الثانية): ناقصة [ط، م] – 7 هي نسبة: كنسبة [ه] هي كنسبة [ف] / مساوية: متساوية [ط] – 7-8 هي نسبة ... ب ز جـ ب هـ آ: أثبتها في الهامش [جـ] – 8 فنصف: فنصفي [جـ، د، ط، م] / دائرة: دائرتي [جـ، د] / آ ب جـ: آ ب ب جـ [د، ط، م] ولكن نجد في [د] الصواب في الهامش، أي «فنصف دائرة آ ب جـ» / آ هـ ب: آ هـ ر [ب، ت، ك] – 9 آ ح ب: آ خ ب [ط، ف، م] / المشتركتين: المشتركين [ا، ب، ت، ك، هـ، ف] / ولدائرتي: ودائرتي [ت، ب، ك] / بقي: هي [ت] / مثلث: ناقصة [ب، ت، جـ، د، ط، ك، م] – 10 لهلالي: لهلالين [جـ] لهلالتي [ت، د، م] / آ هـ ب ح آ: آ هـ ز ح [ف] / أن نبين: بيانه [ا، ب، ت، د، ط، ك، م] بيانها [جـ] – 11 متساويتين: مساوبين [جـ] / ب جـ: كتب ناسخ [ا] بعدها «ايضا» / يكونان: يكون نا [ك] يكون [م] / متساويين: متساوية [ا] متساويتين [ط، ك] – 12 دائرتا: كتب «دائرتي» ثم صححها عليها [جـ] / متساويتين: متساويين [ط، جـ، م] / متساويين: متساويتين [ك] – 12-13 ويكون (الثالثة) ... متساويين: ناقصة [ط، م] – 13 ب ز جـ ط ب: ز جـ ط ب [ف] / متساويين: متساويتين [ك] / ونصل ... متساويين: ناقصة [ه] / متساويين: متساويتين [ف] – 14 وقد: و [ف] فقد [ا] / تبين: بين [د، ط، م] / الهلالين: الهلال [ف] الهلالتين [م] / مساويان: متساويان [ف] متساويين [هـ] / بمجموعهما: لمجموعها [ف] / مساويان... الهلالان: ناقصة [ه] / فإذا: فان [ف، م] / متساويين: متساويان [ه، هـ] متساويتين [ف].

ا ب د ب جـ د متساويين، فإن كل واحدٍ من الهلالين يكون مساويًا/ لواحد من المثلثين، فيكون د - ٨ - و
هلال ا هـ ب ح ا مساويًا / لمثلث ا ب د. ١ - ٤٠ - و

وإذ قد تبيّن ذلك، فلنعد الدائرة وهلال ا هـ ب ح ا ومثلث ا ب د، ونقسم خط ب ا بنصفين على نقطة ك، فتكون نقطة ك مركز دائرة ا هـ ب. ونصل د ك وننفذه على استقامةٍ،
5 وليقطع قوسي ا ح ب / ا هـ ب على نقطتي ح هـ، فيكون خط د ك ح هـ قطرًا لدائرة ا ب جـ / ك - ١٠٨ - ظ ط - ٩٦
وقطرًا لدائرة ا هـ ب، لأنه مارّ بمركزيها./ ونقسم خط هـ ح بنصفين على نقطة ل؛ ونجعل ل مركزًا ف - ٣ - ظ
وندير ببعد ل ح دائرة، ولتكن دائرة ح م هـ ن، فتكون هذه الدائرة مماسةً لدائرة ا ب جـ من خارجِها ومماسةً لدائرةِ ا هـ ب من داخلِها، لأنها تَلْقَى كل واحدة من الدائرتين على طرف قطرٍ مشتركٍ لها وللدائرة المماسة لها. فدائرة ح م هـ ن جميعها في داخل هلال ا هـ ب ح ا، فهذه
10 الدائرة إذن هي بعض هذا الهلال. وكل مقدار فَلَهُ إلى كل مقدار – هو بعضه – نسبة ما وإن لم يعلم أحد تلك النسبة ولم يقدر على الوصول إلى علمها، لأن النسبة بين المقادير ليست هي من أجل علم الناس بها ولا من أجل قدرتهم على استخراجها ومعرفتها، وإنما النسبة بين المقادير معنىً خاص للمقادير التي تكون من جنس واحد. فإذا كان مقداران من جنس واحد وكان كل واحد منها محصورًا متناهيًا ثابتًا على مقداره لا يتغير بوجه من الوجوه – لا تغيُّرَ زيادة ولا تغير نقصان ولا

ا ب جـ د : ب د جـ [هـ، ف] / متساويين: متساويان [ه] متساويتين [ف] / فيكون: ويكون [ه] – 2 ا هـ ب ح ا : ا هـ ب حـ [ط، م] هـ ب ح ا [ف] – 3 قد: ناقصة [ا، ت، ك] / فلنعد: فلنعيد [هـ] / ا هـ ب ح ا : ا هـ ح [ف] / ا ب د : ناقصة [ف] – 3-4 وهلال ... نقطة (الأولى): ناقصة [ت] – 4 ا هـ ب : ا ب [ب] / وننفذه: ونبعده [ط] – 5 وليقطع: ولقطع [ف] / قوسي: قوس [ت، جـ، د، ط، ك، م] قوسا [ا] / ا ح ب : ا حـ ب [ك] / ح هـ : ح و هـ [ه] / خط: ناقصة [ب، ت، د، ط، ك، م] نقطة [جـ]، وكتب فوقها «ذه يعني «كذا» / قطرًا لدائرة: وقطر الدائرة [ا] – 6 وقطرًا لدائرة: وقطر الدائرة [ا] وقطر دائرة [ب، ت، ك، م] / ا هـ ب : ا ب هـ [ف] / لأنه: ناقصة [د، ط، م] / مارّ: مسار [د، ط، م] / بمركزيها: لمركزيها [ط، م] / هـ ح : ح هـ [جـ] / ل : ناقصة [ت] ر [جـ، د، ط، م] / ل : ر [د، جـ، ط، م] – 7 ببعد: نبعد [ف] / ل ح : ح ل [ا، ب، ت، ك] ح ر [د، جـ، ط، م] / ولتكن: كتب ناسخ [جـ] «ولكن» ثم أثبت الصواب في الهامش / دائرة: ناقصة [هـ] / ح م هـ ن : ح م ن هـ [ف] ح م هـ ق [جـ، د، ط، م] كتب هؤلاء النساخ النون قافًا ولن نشير إليها فيما بعد – 8 خارجها: خارج [ه] / ومماسةً: ومماسه [ت] / من: أثبتها فوق السطر [ب] / داخلها: داخل [ا] / تلق: تبق [ف] / واحدة: واحد [ا] – 9 لها: لها [ا، ب، جـ، د، ط، ف، هـ، م] / لها: لها [ه، ف، هـ] / فدائرة: ودائرة [ف] ودوائر [هـ] / ح م هـ ن : هـ م ح ن [ا] / جميعها: جميعا [جـ، د، هـ] جمعا [ا، ب، ت، ك] / هلال: هلال [ط، م] – 10 إذن: ناقصة [ف] اذا [هـ] / هي: ناقصة [هـ] / الهلال: كتب بعدها «مقدمة» [ا] الملال [ط، م] أثبت ناسخ [جـ] الصواب في الهامش مع «ذه» فوقها / فله: عله [ت، ك] / ما: ناقصة [ب، ت، ط، ك، م] / وإن: واين [ف] – 11 على: الى [ا، جـ، د، ط، م] / إلى: على [هـ] / علمها: عملها [هـ] / المقادير: المادية [ف] / النسبة بين المقادير: أثبتها في الهامش [د] / ليست: ليس [ه، هـ] لنسب [ف] / هي: مال [ف] / من: ناقصة [ا] – 11-12 ليست ... وإنما: أثبتها في الهامش [د] – 12 بها: ناقصة [هـ] / ومعرفتها: ومعرفها [ت، ك] – 13 خاص: خاصي [هـ] / فإذا: فاذن [ا، جـ، د، ط، م] / كان: كل [ه] / مقداران: مقدارين [ه] – 14 منها: منها [ت] / محصورًا: مصورا [د، ط، م] نصورا [ب، ت، ك] متصورا [ا] / ثابتًا: باقيا [ه] / مقداره: كتب بعدها «ثابت» [ت] / بوجه: لوجه [ف] / تغير (الثانية): ناقصة [د، ط، م] / بوجه ... نقصان ولا: أثبتها في الهامش [ف].

تغير جنس— فإن لأحدهما إلى الآخر نسبة واحدة بعينها ثابتة لا تتغير/ ولا تنتقل عن صورتها بوجه ف – ٤ – و
من الوجوه.

وكل مقدار فبعضه هو من جنسه إذا كان ذلك البعض محصورًا متناهيًا، لا يتغير، لا في
جنسه ولا في مقداره ولا في شكله / ولا في هيئته، وكان المقدار الأعظم أيضًا ثابتًا على حاله لا ط – ٩٧
5 يتغير، لا في جنسه ولا في مقداره ولا في شكله ولا في هيئته. وإذا كان المقدار وبعضه على هذه
الصفة، فإن لجملة المقدار إلى بعضه نسبة واحدة بعينها ثابتة لا تتغير ولا تختلف بوجه من الوجوه.

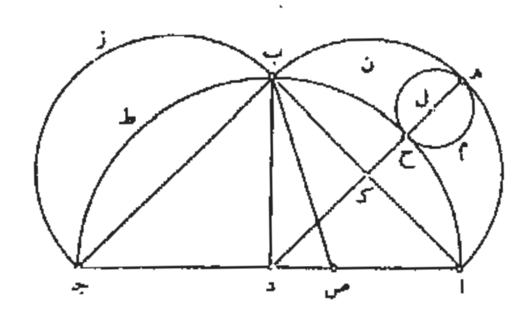
وإذا كانت/ دائرة ا ب جـ معلومة المقدار، فإن محيطها يكون معلومًا وقطرها يكون معلومًا هـ – ١١ – ظ
أيضًا ومركزها/يكون معلومًا، فقطر ا جـ يكون معلومًا /، وقوس ا ب التي هي ربع محيطها تكون د – ٨ – ظ / ك – ١٠٩ – و
معلومةً، وخط ا ب يكون معلومًا، وخط ب د يكون معلومًا، ومثلث ا ب د يكون معلومًا، وأعني
10 بكل معلوم ذكرته في صفة دائرة ا ب جـ أنه ثابت على حاله لا يتغير، لأن / المعلومَ عند أصحاب ب – ٢ – ظ
التعاليم هو الذي // لا يتغير. ويكون نصف دائرة ا هـ ب معلومًا، لأن خط ا ب الذي هو قطرها ف – ٤ – ظ / م – ٢ – ظ
هو معلوم، ويكون قوس ا هـ ب معلومةً لأنها لا تتغير، وقوسُ ا ح ب معلومة، فيكون هلال
ا هـ ب ح ا معلومًا، أعني أنه يكون ثابتًا على صفة واحدة لا يتغير في جنسه ولا في مقداره ولا في
شكله؛ وأعني بجنسه أنه سطحٌ مستوٍ. ويكون خط ك هـ الذي هو نصف قطر الدائرة معلومًا،
15 ويكون خط ك ح معلومًا / لأن نقطتي ك ح معلومتان، فيبقى خط هـ ح معلومًا، أعني أنه لا ا – ٤٠ – ظ
يتغير، لا في مقداره/ ولا في جنسه ولا في هيئته. / وخط هـ ح هو قطر دائرة ح م هـ ن، فدائرةُ ط – ٩٨ / جـ – ١٢٥ – ظ

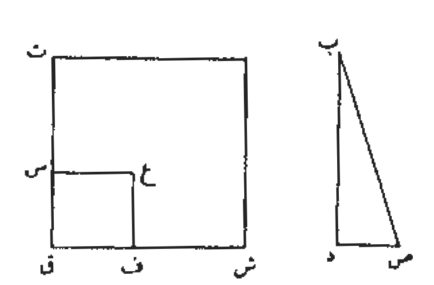
1 تغير: أثبتها في الهامش [ف] / فإن: فلان [هـ] / ثابتة: ناقصة [ه] / تتغير: يتغير [ف] / تنتقل: ينتقل [ف، ط، هـ] تتقبل [ت] – 1-3 لا تتغير ... فبعضه: ناقصة [ك] – 3 مقدار: ناقصة [ا] / من: ناقصة [ا، ت، د، ط، م] / إذا: اذ [ب، ت، ك] / محصورًا: محصور [ط، م] متناهيًا [ف، هـ] / متناهيًا: محصورًا [ف، هـ] / لا يتغير: ناقصة [ث] – 4 هيئته: هيئاته [ا، ب، ت، د، ط، ك، م] / أيضًا: ناقصة [ب، ت، ك] / ثابتًا: مماسا [ث] / لا: ناقصة [هـ] – 5 لا في جنسه: لا في شكله [ه] / ولا في شكله: ولا في جنسه [ه] / هيئته: هيئاته [ه] ولن نشير إليها فيما بعد / وإذا: إذا [ط] / وبعضه: بعضه [ث] – 6 لجملة: الجمله [ث، ك] / ثابتة: ناقصة [ه] / تتغير: يتغير [ف] تختلف [جـ] / تختلف: يختلف [ف] تتغير [جـ] / الوجوه: الوجود [ف] – 7 وإذا: وإن [ث، د، ط، ك، م] وإذًا [ب] فإن [جـ] كتب ناسخ [ا] بعدها «يقرر هذا فإن» / كانت: كتب ناسخ [د] «كان» ثم أضاف فوق السطر «ت» / ا ب جـ : ا ب [جـ] / المقدار: القدر [ه] / محيطها: قطرها [ف، هـ] / وقطرها: ومحيطها [ف، هـ] – 8 أيضًا: ناقصة [د، ط، ف، م، هـ] / ا جـ : ا خ ر [ث] / معلومًا: معلومان [ف] / وقوس: قوس [ف] / التي هي: هو [ه] الذي هو [هـ] / تكون: يكون [جـ ، د، ط، ف، ك، م] – 9 معلومة: معلوما [ه ، ف، هـ] ناقصة [ث] / ومثلث ا ب د يكون معلومًا: ناقصة [ط، م] – 10 ذكرته في صفة دائرة ا ب جـ : ناقصة [ا] / ذكرته: ذاته [ه] ذكربه [ف] / ا ب جـ : ا ب [ه] / على حاله: ناقصة [ف] على حالة [ط] – 11 ا هـ ب : ا ب [ث] / ا ب : ا هـ ب [ا، ب، د، ط، م] ا هـ ر [ت، ك] / هو: ناقصة [د، ط، م] – 12 ا هـ ب : ا هـ ر [ب، ث، ك] / معلومة: معلوما [ه] / تتغير: يتغير [ف] ولن نشير إلى مثلها فيما بعد / ا ح ب : ا ح ر [ث، ك] / معلومة: معلوم [ا، ب، ت، ك] – 13 أعني: ناقصة [ف] – 14 ك هـ : اله [ت] / قطر: القطر [د، ط، م] – 15 ك ح : ك هـ ح [ط، م] / ك : ط [ت] / معلومتان: معلومتا [د، ط] معلوما [م] / أنه: ناقصة [ه] – 16 لا (الأولى): ناقصة [ف، هـ] / في (الثانية): ناقصة [ث، ف] / هـ ح : ح هـ [ف].

ح م هـ ن معلومة، لا يتغير مقدارُها ولا شكلها ولا هيئتها. ودائرة ح م هـ ن هي بعض هلال
ا هـ ب ح ا. وكل واحد من هلال ا هـ ب ح ا ودائرة ح م هـ ن لا يتغير في حال من الأحوال،
وهما من جنس واحد لأن أحدهما هو بعض الآخر، فلِهلال ا هـ ب ح ا إلى دائرة ح م هـ ن نسبة
/ ثابتة على صفة واحدة لا تتغير بوجه من الوجوه. وكلُّ نسبة لمقدار من المقادير إلى بعضه فهي ف – ٥ – و
5 نسبة كل مقدار إلى بعضه النظير لذلك البعض، فنسبة هلال ا هـ ب ح ا إلى دائرة ح م هـ ن
هي نسبة خط ا د إلى بعضه، علمنا مقدار ذلك البعض أو كنّا لا نعلم مقدار ذلك البعض ولا
نقدر على استخراجه ولا نصل إلى وجوده. فليكن ذلك البعض د ص، فتكون نسبة ا د إلى د ص
هي نسبة هلال ا هـ ب ح ا إلى دائرة ح م هـ ن، فيكون نسبة ا د إلى د ص نسبةٌ ثابتة لا تتغير
أبدًا، / لأن نسبة الهلال إلى الدائرة / نسبةٌ ثابتة لا تتغير. وإذا كانت نسبة ا د إلى د ص نسبة ت – ٨٥ – و / ف – ٥ – ظ
10 ثابتة / لا تتغير أبدًا، فإن خط د ص / خط واحد بعينه لا يتغير لأن خط ا د خطٌّ معلوم القدر لا ك – ١٠٩ – ظ / د – ٩ – و
يتغير مقدارُه. ونصل ب ص ليكون ب ص د مثلثًا. ونسبة مثلث ا ب د إلى مثلث ب د ص / ط – ٩٩
كنسبة خط ا د إلى خط د ص. ونسبة ا د إلى د ص هي كنسبة هلال ا هـ ب ح ا إلى دائرة
ح م هـ ن، فنسبة مثلث ا ب د إلى مثلث ب د ص هي كنسبة هلال ا هـ ب ح ا إلى دائرة
ح م هـ ن. وإذا بدلنا / كانت نسبة مثلث ا ب د إلى / هلال ا هـ ب ح ا كنسبة مثلث هـ – ٣٠ – ظ / ب – ٣ – و
15 ب د ص إلى دائرة ح م هـ ن. وهلال ا هـ ب ح ا قد تبيّن أنه مساوٍ لمثلث ا ب د، فدائرة
ح م هـ ن مساوية لمثلث ب د ص. وكل مثلث فهو مساوٍ لمربع، وقد تبيّن ذلك في آخر المقالة
الثانية من كتاب أقليدس في الأصول.

1 لا يتغير: ليتغير [ف] / مقدارها: مقدارتها [جـ] / ولا: لا [ف] / ولا شكلها: ناقصة [جـ، د، ط، م] – 2 ا هـ ب ح ا: ا ب هـ ح [٥] / وكل: فكل [جـ، د، ط، م] / ا هـ ب ح ا: ا ب هـ ح [ا، ب، ت، ك] / ح م هـ ن: هـ م ق [ط، م] ح م ق [ت، جـ، ك] ح هـ م ق [ب] / لا: ولا [ت] / في: من [ا] / من: مكررة [م] – 3 لأن: الا ان [ط، م] / هو: ناقصة [ف] / ا هـ ب ح ا: ا هـ ب جـ [ت] / إلى: في [ط، م] / ح م هـ ن: حـ هـ م ن [ت] – 4 صفة: هيئة [٥] / لا تتغير: ناقصة [ت، ب، جـ، د، ط، ك، م] ونجد في [جـ] «لا تختلف» في الهامش / لمقدار: بمقدار [هـ، ط، م] / من المقادير: ناقصة [د، ط، م] – 4-5 إلى بعضه ... مقدار: ناقصة [ط، م] – 6 ا د: هـ ا د [ف] – 7 ولا: فلا [ط، م] / وجوده: وجوه [ب، ت، ط، ك، م] / د ص: هـ ص، وكتب «د» فوق «هـ» [جـ] / فتكون نسبة ا د إلى د ص: ناقصة [٥] – 8 هي: وهي [ت، ب، ك] على [جـ] / ا هـ ب ح ا: ا ب حـ [ب، ت، د، ط، ك، م] / فيكون: ويكون [هـ، ف] فاذن [٥] / ا د إلى د ص: ا هـ ص [ت] – 9 أبدًا: ناقصة [ف، هـ] / لأن نسبة ... لا تتغير: ناقصة [٥] / نسبة (الرابعة): ناقصة [ا، ب] – 9-10 وإذا ... أبدًا: ناقصة [ط] / ثابتة: ناقصة [ف، هـ] / أبدًا: ناقصة [ف، هـ] / فإن: وان [ا] / خط (الثانية): ناقصة [هـ] – 11 ليكون ... ونسبة: فيكون نسبة [هـ، ف] / ب ص ليكون: ناقصة [د، ط، م] / ب ص د: ب ص هـ [ت، ك] / مثلثًا: ومثلث [ت، ك] مثلث [ا، ب، د، ط، م] / ب د ص: ب ص د [٥] – 12 خط (الأولى): ناقصة [د، ط، م] فوق السطر [ب] / د ص: ص د [هـ] / ونسبة: فنسبة [ف] / هي: ناقصة [هـ] / كنسبة: نسبة [٥] / ا هـ ب ح ا: ا هـ ب حـ [ت، ك] – 13 ح م هـ ن: ح م ن هـ [ت، ك] ح م ق هـ [ب] ح م ق [جـ، د] / ا ب د: في الهامش [جـ] / هي: ناقصة [ب، ت، ك] / ا هـ ب ح ا: ا هـ ح [ف] – 14 بدلنا: ابدلنا [جـ، ط، م] / ا ب د ... مثلث: في الهامش بخط آخر [جـ] – 15 وهلال: فهلال [هـ] / مساو: مساوية [ف] / ا ب د: ا ب هـ [ت] مطموسة [ف] – 16 مساوية: مساو [٥] / ب د ص: ف د ص [ت] / وقد: قد [ا، جـ، د، ط، ف، هـ، م] / آخر: ناقصة [٥] – 17 كتاب: ناقصة [ا، ب، ت، جـ، ك] / أقليدس في: ناقصة [٥].

ولنعمل مربعًا مساويًا لمثلث ب د ص ، وليكن مربع س ق ف ع . فتكون دائرة ح م هـ ن
مساويةً لمربع / س ق ف ع . ونسبة قطر ا جـ إلى قطر هـ ح نسبةٌ معلومة ، لأن كل واحد من ف - ٦ - و
هذين القطرين معلومُ المقدار ، ولتكن نسبة ا جـ إلى هـ ح كنسبة ش ق إلى ق ف ، فتكون نسبة
مربع ا جـ إلى مربع ح هـ كنسبة مربع ش ق إلى مربع ق ف . ونعمل على خط ش ق مربعًا ،
5 وليكن مربع ش ت ، فتكون نسبة مربع ا جـ إلى مربع هـ ح كنسبة مربع ش ت إلى مربع ق ع .
ونسبة مربع ا جـ إلى مربع ح هـ هي نسبة دائرة ا ب جـ إلى دائرة ح م هـ ن ، فنسبة مربع ش ت
إلى مربع ق ع كنسبة / دائرة / ا ب جـ إلى دائرة ح م هـ ن . ومربع ق ع مساوٍ للدائرة ط - ٣ - و / م - ١٠٠
ح م هـ ن ، فمربع ش ت مساوٍ لدائرة ا ب جـ .





فقد تبيّن من هذا البيان أن كل دائرة / فهي مساويةٌ لمربع مستقيم الخطوط. ك - ١٠١ - و

10 فأما كيف يوجد هذا المربع ، فإنّا نستأنف فيه مقالة مفردة ، إذ ليس غرضُنا في هذه المقالة
سوى أن نبيّن أن هذا المعنى ممكن / ليتبين به فساد اعتقاد من اعتقد أن الدائرة لا تصحّ أن ف - ٦ - ظ
تُساوي مربعًا مستقيم الخطوط. وقد تبيّن بالبراهين التي ذكرناها في هذا القول أن كل دائرة فهي

1 مساويًا: متساويًا [ف] / مربع: ناقصة [د، ط، م] / س ق ف ع: ق ف ع [ا، جـ، د، ط، م] ق ف ع [ب، ت، ك] — 2 س ق ف ع: ق ف ع [٥] س ق ع ف [ف] / هـ ح: ح هـ [جـ، ا، د، ف] — 3 هـ ح: هـ حـ [ك] ح هـ [ف، د، م] وح هـ [ط] / ش ق: س ق [هـ] كتب الشين مبيّنًا [٥، ف] — 4 ح هـ: هـ ح [٥] / ش ق: س ق ر [ط] / على: ناقصة [د، ط، م] — 5 ش ت: س ب [ا] / فتكون: ليكون [ا، ب، جـ، د، ط، ك] لكون [م] / هـ ح: ح هـ [ا، ب، ث، جـ، ط، ف، ك] حـ هـ [م] / ش ت: س ب [ا، جـ] — 6 ونسبة: فنسبة [٥] ولكن كتب ناسخ [د] الواو في الهامش / هي: وهي [ط، م] / ا ب جـ إلى دائرة: ناقصة [ط، م] كتب ناسخ [د] وا جـ د إلى دائرة في الهامش — 7 ا ب جـ: ا ب [ت] / ح م هـ ن: ح هـ م ن [ب، ت، ك] / مساوٍ: مشار [هـ] — 8 ش ت: س ب [جـ] — 9 فقد: وقد [٥] / فهي: مكررة [ت] / مستقيم: مستقيمة [ت] — 10 فأما: وأما [ب، ت، ك] / فإنّا: فاما [ت] / غرضنا: عرضيا [ف] / في هذه: في هذا [جـ، د، ط] ونجد في مخطوطة [جـ] الصواب في الهامش — 11 ممكن: امكن [ف] / ليتبين: ليس [ب، ت، ك] / به: فيه [جـ] ناقصة [ت، ك] / تصح: يصح [جـ، د، م] — 11-12 ليتبين ... الخطوط: ناقصة [ا] — 12 تساوي: يساوي [جـ، د، م] / بالبراهين: ناقصة [ط، م] / ذكرناها: ذكرنا [ب، ت، ك] / القول: مكررة [ب] / فهي: وهي [ت].

مساوية لمربع مستقيم الخطوط. فقد تبين من ذلك فساد اعتقاد هذه الطائفة / وصح أن كل د - ٩ - ظ
دائرة فهي مساوية لمربع مستقيم الخطوط. والمعاني المعقولة ليس تحتاج حقائقها إلى إيجاد الإنسان
لها وإخراجها إلى الفعل، بل إذا قام البرهان على إمكان المعنى فقد صحّ ذلك المعنى، أخرجه
الإنسان / إلى الفعل أم لم يخرجه. وفيما ذكرناه من تحقيق هذا المعنى كفاية وهو الذي قصدنا له في هـ - ٣٠ - و
5 هذا القول.

تم القول في تربيع الدائرة.

أقول على هذه المقالة * ر - ١٥١ - و

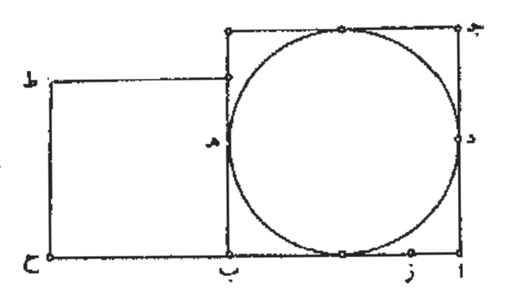
لو كفى في إثبات / هذا المطلوب إثبات إمكانه بالوجه الذي ذكره / لكان له عن جميع هذا جـ - ١٢٦ - و ١ - ٤١ - و
التطويل غنىً بهذا القدر من البيان، وهو أن يقال:

10 ليكن ا ب خطًا معلومًا، ولنعمل عليه مربع ب جـ، فهو/ معلومٌ، وفيه دائرة د هـ، فهي ط - ١٠١
معلومة لكون قطرها وهو د هـ - المساوي لـ ا ب - معلومًا. ولأن الدائرة جزءٌ معلوم من كُلٍّ
معلوم، وهو المربع، يكون لها إليه نسبة، ولتكن كنسبة ب ا إلى ب ز. / ونخرج ب ح وسطًا فيما ب - ٣ - ظ
بينهما في النسبة لتكون نسبة ا ب إلى ب ح كنسبة ب ح إلى ب ز، ونعمل على ب ح مربع
ب ط فيكون نسبة ا ب إلى ب ز، أعني نسبة مربع ب جـ إلى دائرة د هـ كنسبة مربع ب جـ إلى

1 هذه: ناقصة [ا] / الطائفة: الطارد [ت] / وصح: ووضح [ف، هـ] - 1-5 وصح ... القول: ناقصة [ا] - 2 المعقولة: المعنوية [ه] / إيجاد: الإيجاد [د، ط، م] وجود [ب، ت، ك، ف، هـ] / الإنسان: الان [ت، ك] والانسان [م] - 3 لها وإخراجها إلى الفعل: اياها بالفعل [ب، ت، جـ، د، ك] فاياها بالفعل [ط، م] / فقد صح ذلك: ناقصة [د، ط، م] / المعنى: ناقصة [د، ط، م] في الهامش [جـ] - 4 الإنسان: الان [ت، ك] / أم لم: ولم [ط، م] أولم [ب، ت، جـ، د، ك، هـ] / ذكرناه: ذكرنا [هـ] / تحقيق: تحقق [ه] -
4-5 في هذا القول: بالقول [ه] - 6 تم القول: تمت المقالة [ه] / في تربيع الدائرة: ناقصة [ه]؛ كتب ناسخ [ا] بعدها «قال مولانا نصير الملة والد<ين> برّد الله مضجعه»؛ «والحمد لله وحده والصلاة على نبيه وآله» [هـ] - 6 = «تم القول والحمد لله رب العالمين والصلاة على رسوله محمد وآله أجمعين ووقع الفراغ منه في يوم الاثنين رابع عشر شهر جمادى الثاني في سنة إحدى وثلاثين <و>ألف من الهجرة النبوية» [ف]؛ نجد في الهامش: «بلغ عرضًا وتصحيحًا في ليلة الجمعة التاسعة من رجب الفرد لسنة ست وتسعمائة هجرية بأدرنه المحمية ولله الحمد» [جـ] -
*7 ينسب بعض النساخ - مثل [ا] - هذا التعليق لنصير الدين الطوسي / أقول: وأقول [جـ] مطموسة [ط]، كتب ناسخ [ر] قبلها «كتب رحمه الله على رسالة لابن الهيثم رحمه الله في تربيع الدائرة هذا» / هذه: هذا [ط] - 8 المطلوب: المط [ت، ب، جـ، ك] كتب ناسخ [ر] بعدها «وهو أنه من الممكن أن يكون سطح الدائرة مساويًا لسطح مربع مستقيم الخطوط» - 9 غنى: أعني [ر] / يقال: يقا [ك] يق [د، ط، م] / أن يقال: اربعا [ت] - 10 ليكن: كتب ناسخ [جـ] «ولكن» ثم أثبت الصواب في الهامش / ولنعمل: ونعمل [ب، ت، ك] / ب جـ: كتبها ب ح في كل النص [ر] / د هـ: هـ د [جـ] / فهي: فهو [ر] - 11 ولأن: لأن [ط] - 11-12 من كل معلوم: ناقصة [ت] من كل المعلوم [ا] - 12 وهو: هو [ا، ب، جـ، د، ك] / لها إليه: له إليها [ر] / نسبة: ناقصة [ت] / ولتكن: فلتكن [ا، ب، ت، ر، ك] / كنسبة: نسبة [ب، ت، ك] / ب ز: ب ب [جـ] / ب ح: ب جـ [جـ] / فيما: فيا [د] - 13 بينهما: بينها [جـ] / ب ح: ب د [ك، ط، م] / كنسبة: نسبة [ت، ك] / ب ح: روح [ك] زوح [ت] ب جـ [جـ] / ب ح: ب جـ [جـ] د ح [ط، م] -
14 ب جـ: ب ح [ط، م] / كنسبة ... إلى: ناقصة [م].

مربع ب ط. فنسبة مربع ب جـ إلى دائرة د هـ وإلى مربع ب ط واحدة. فدائرة د هـ مساوية لمربع ب ط.

فإذن وجدنا ما طلبنا، وليس هذا ممّا يوجب كُلّ هذا التحيّر للمتقدمين والمتأخرين.



الاعتراض

هـ - ٣٠ - و

5 المعنى الذي ذكره الشيخ أبو علي في هذا القول إن كان قد بان مما بينه به، فإنه يتبين على هذه الطريقة بأيسر مما ذكره: وهو أن كل دائرة نرسم فيها ⟨مربعًا⟩ فإن المربع بعضها، وللبعض إلى الكل نسبة ما، على ما ذكره، وإن لم تعلم النسبة. فلتكن تلك النسبة كنسبة ذلك المربع إلى مربع آخر؛ فنسبة المربع المعمول في الدائرة إلى الدائرة وإلى المربع الآخر واحدة، فالدائرة مساوية للمربع الآخر.

10 غير أنني أرى أنه لم يصنع في هذا القول شيئًا، لأن المطلوب: هو أن نعمل مربعًا مساويًا لدائرة. فأمّا هل ذلك ممكن في علم الله أم لا، فلا يُغني في المطلوب؛ فأمّا أن ذلك ممكن ولا قدرة عليه، فما زاد على ما يعتقده المتقدمون، إذ قولهم إنه إلى الآن لم يوجد ذلك بالبرهان. وليس هذا البيان بأوضح من القول في وتر درجة، فإنه إذا كان وتر درجة ونصف معلومًا ووترُ نصف وربع درجة معلومًا، فللدرجة وتر موجود، ولكن نسبته إلى القطر إلى الآن لم تعلم، وهما من جنس واحد.

1 مربع (الأولى) ... د هـ (الأولى) : ناقصة [م] / د هـ : ز هـ [ب، ث، ك] هـ د [ا، جـ] / د هـ : د [ز] – 3 فإذن: فاذا [ب، ث، ك] / التحير: تحيز [ز] / كل هذا... والمتأخرين: ناقصة [ا] وأضاف «الشيخ والله اعلم» / والمتأخرين: ولا للمتأخرين [ز]، كتب نساخ [ب، ث، ك] بعدها «فيه»، كتب ناسخ [د] بعدها «فيه هذا الشكل تمت (كذا) كتاب تربيع الدائرة»، «تمت (كذا) الكتاب بعون الله تعالى» [ط]، «والحمد لله ربّ العالمين [جـ]»، «تم ٢٩ محرم ١٠٥٨» [م] – 7 تعلم: يعلم – 10 مربعًا مساويًا: مربع مساو – 14 فللدرجة: وللدرجة.

فالممتنع ما امتنع علينا علمه، واعتقادنا أن علمه ممكنٌ لا يغني شيئًا. وإذا حرّر القول في هذه المعاني تقسمت إلى ثلاثة أقسام هي: أن يكون المعنى معلومًا وهو ما قام البرهان عليه، على علمه ⟨أو على امتناع علمه⟩، أو يكون علمه ممتنعًا وهو ما لم يقم البرهان على علمه ولا على امتناع علمه: ⟨كعلم⟩ وتر تسع الدائرة وعلم وتر درجة، وأشباه لها كثيرة من هذا القسم. ولم يبيّن أيضًا أن
5 علم تربيع الدائرة واجب وما وعد به. فإلى الآن لم يظهر له قولٌ فيه ولا ذُكر في فهرست مصنفاته.

وجدت في آخره مكتوب هذا الاعتراض.

أظنه كلام ابن السميساطي أو كلام علي بن رضوان الطبيب.

4 كثيرة: كثير.

الملحق رقم (٢)

نماذج معبرة عن العناية بالعلم والاهتمام به في المجتمع العربي قبل الانحدار

الطعم حسن اللون طيب الرائحه رقيق القوام يميل في لونه الى الحمرة
الناصعه وينبغي بالجمله ان يرجع صاحب العله فيما وصفنا
من هذه الاطعمه والاشربه الى تجربته فما استمراه استمرا
جيدا تناوله بغير توقي وما لم يستمرئ توقاه فاما الاغذيه
المذمومه التي ذكرناها في الباب الذي قبل هذا فينبغي ان يحذرها

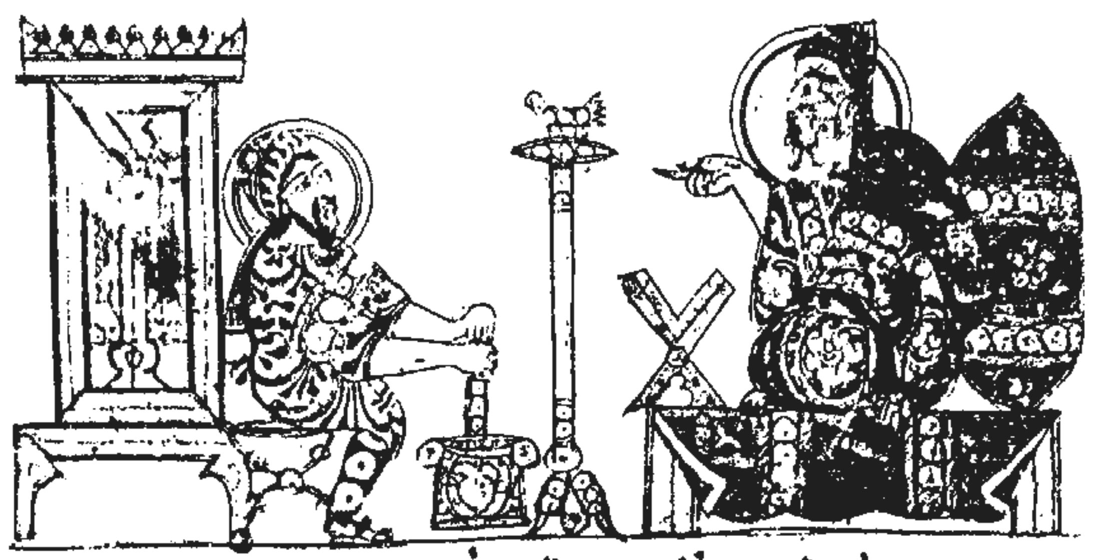
الباب ــــــــــــــــــــــ الثالث عشر

كيف ينبغي ان يجري الامر في علاج المنقرسين بالاسهال

الاسهال ينبغي ان يستعمل في اصحاب النقرس على جهتين احدهما في
حال الصحه ليسلموا من العله والاخرى في حاله العله
ليخرجوا به من حال العله فاما الاسهال الذي ينبغي ان يستعمل
في حال الصحه ليدوم لهم وبامتوابه وجع المفاصل فانا نذكره في
الابواب التي ياتي فيما بعد واما الاسهال الذي يحتاج في
حال العله ليخرج به العليل من حال العله الى حال الصحه
فانا نذكره في هذا الموضع فنقول انا قد بينا فيما تقدم
ان النقرس يتولد عن ماده تنصب الى الرجلين وان المواد

ويعالج لدغة الرتيلا بهذا ان وضع عليها ضمادا ان يصنع

من زنابير ... وملح ويحر بشراب او من ... سان



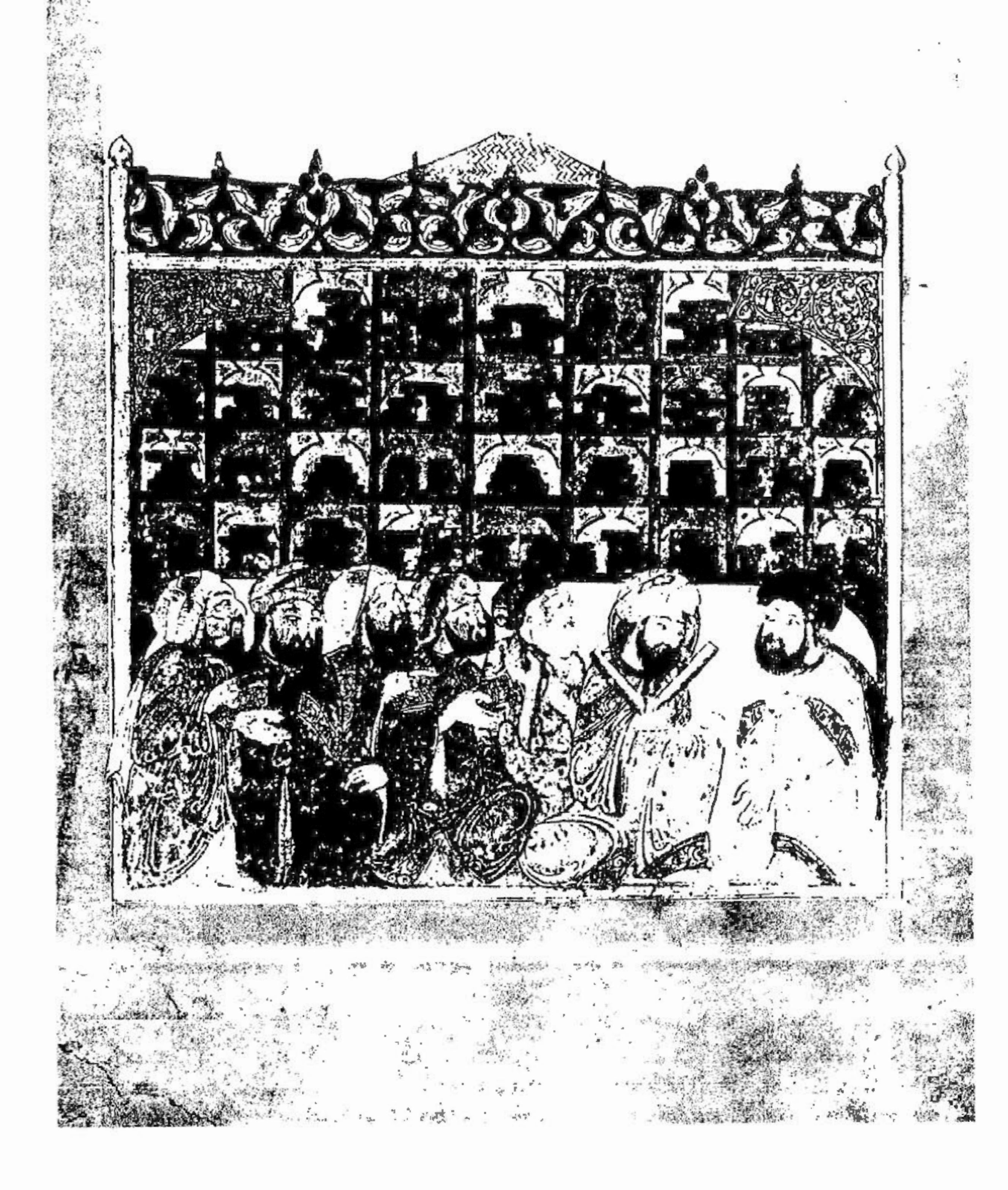
عفص مدقوق او من زراوند مسحوق بدقيق شعير وخل

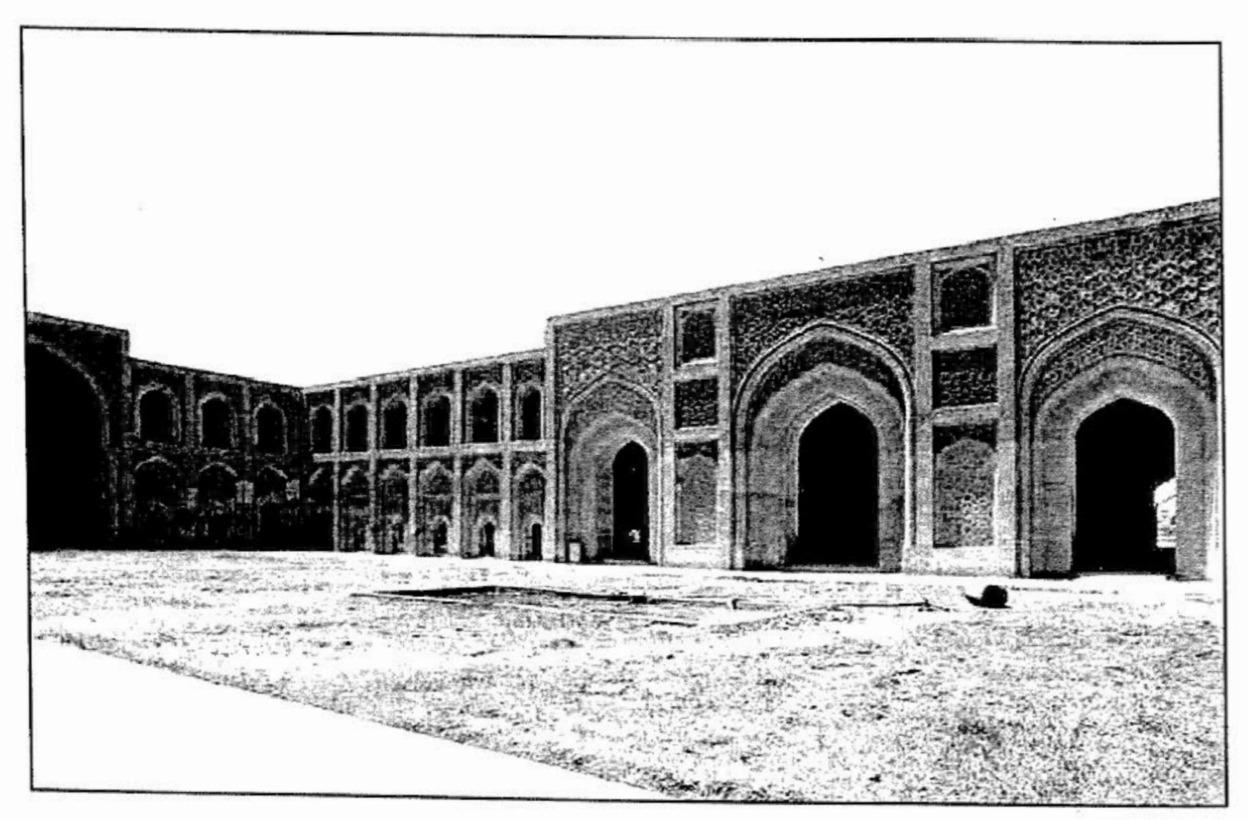
وينبغي ان يبطل الجرح بماء ملح او بماء طبيخ زراوند عاملين ويعمل

من ورقه ضمادا ايضا ويدخلون الحمام اياما

تباعا ويسمون هذه الادويه منها بريديعا بالروميه

حار وطوس وبالسريانيه ركنا وانسون وزراوند



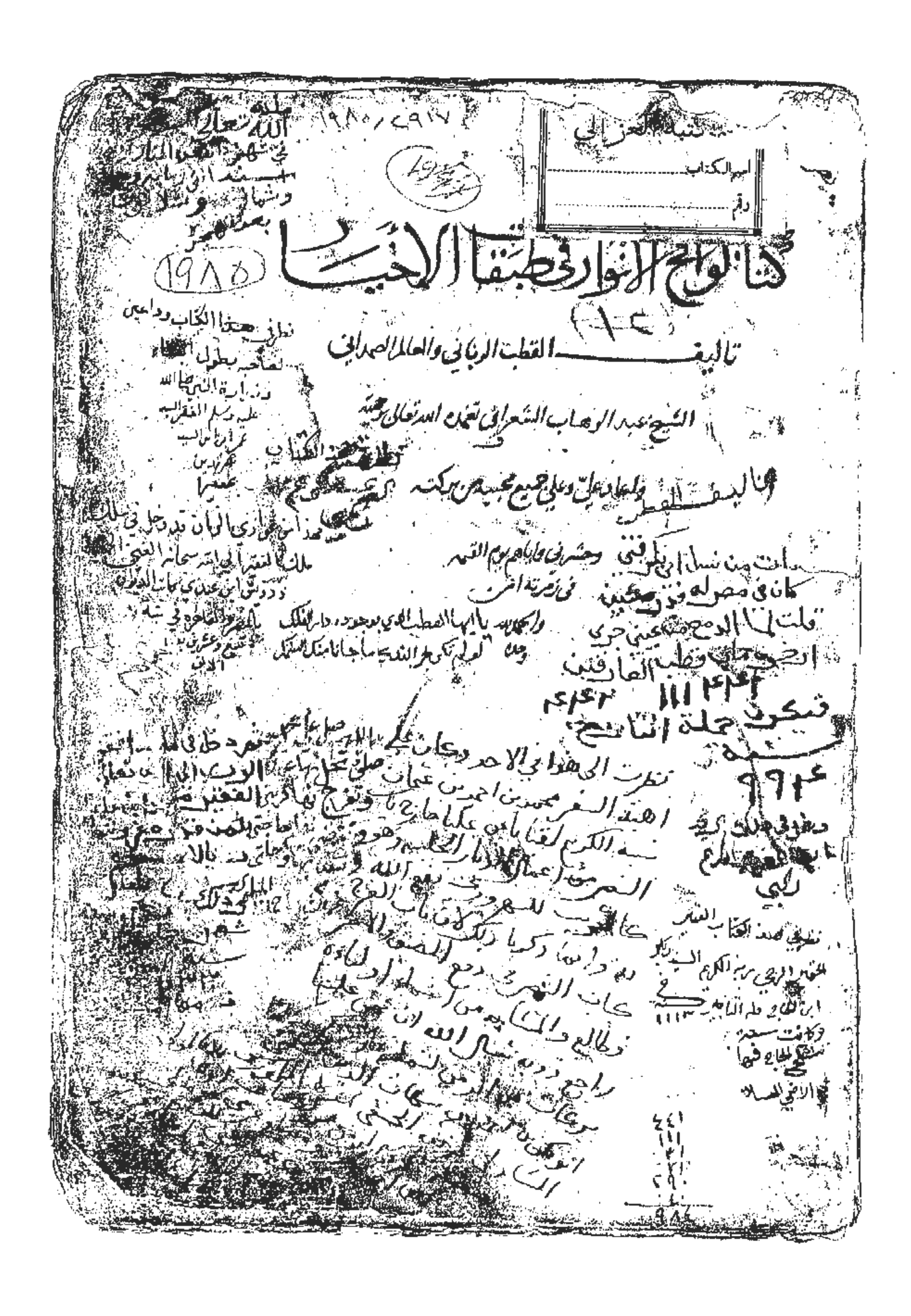


الملحق رقم (٣)

تراجم لصوفية وأولياء

من نسخة مخطوطة من لواقح الأنوار





كتاب لواقح الأنوار في طبقات الأخيار

تأليف القطب الرباني والعالم الصمداني

الشيخ عبد الوهاب الشعراني نفعنا الله تعالى به

رضي الله عنه

الدنيا كلها لا تساوي ارعاب مسلم وخلي سبيله • وكان شديد المحبة
الي حتي قال لي مرة لا احب احدا في مصر مثلك ابدا رضي الله عنه ومنهم
الشيخ علي ابو خودة كان من ارباب الاحوال ومن الملامتية
وكان يتعاطي اسباب الانكار عليه قصدا فاذا انكر عليه احد عطبه
ورايته خارج باب الشعرية وهو يقول لخادمه ايش قلت من يخلي
هذا الرجل هراوة في رجليه يعني الشيخ عبد القادر الدشطوطي فلما مر
عليه كركبت بطن الشيخ عبد القادر وساح هراره علي المسطبة التي
كان قاعد عليها فقال الله الله يا فقير نعرف انه ابو خودا وكان الشيخ
عبد القادر قد كف بصره وكانت خودة سيدي علي من الحديد وكان

رضي الله عنه

زنتها قنطار ونيف لم يزل حاملها ليلا ونهارا وكان شيخا اسمر قصيرا
وكان معه عصاه طولها شبر من زاحمه ضربه بها وكان يهوي

رضي الله عنه

العبيد السود والحبش لم يزل عنده نحو العشرة يلبسون الخود •
ولكل واحد منهم حمار يركبه فكانوا هم جماعته كل موضع ركبه
يركبون معه ولم يراه احد يصلي مع الناس الا وحده • وكان اذا راي
امراة او امردا راوده عن نفسه وحسس علي مقعدته سوي كان
ابن اميرا او ابن وزيرا وكان بحضرة والده او غيره ولا يلتفت الي الناس
ولا عليه من احد • وكان اذا حضر السماع يحمل المنشد ويجري به
كالحصان واخبرني الشيخ يوسف الحريثي قال كنت في دمياط فاراد

رحمه الله تعالي

السفر في مركب قد انوسقت ولم يبق فيها مكان لاحد فقالوا للريس
ان اخذت هذا غرقت المركب لانه يفعل في العبيد الفاحشة فاخرجه
الريس من المركب فلما ان اخرجوه من المركب قال يا مركب تسمري فلم
يقدر احد يسيرها بريح ولا بغيره وطلع جميع من فيها ولم تسير •
واخبرني ايضا انه نزل معه في مركب فرس عليها الريح فضربها بعكازه
فلم تتزحزح فنزل هو وعبيده يمشون علي الماء الي ان وصلوا الي شربين
والناس ينظرون وكان يخرج خلفه علي قفا ... امير كبير كان علي ايام
الغوري فيضربه بحضرة جنده فاذا آلمه الضرب يهرب منه فيتبعه •
فاذا اقفل عليه الباب خلعه فلا يستطيع احد ان يرده عنه حتي يرجع هو باختياره

اجتمعت به

التاسع والعشرون

اجتمعت به مرات عديدة وقال لي مرة احذر ان تنهكك امك فقلت
لعلها من عيبك يا معنى كلام الشيخ قال يحذرك ان يدخل حب الدنيا
في قلبك لان الدنيا هي امك مات سنة نيف وعشرين وتسع مائة ودفن
بزاويته بالحسينية بالقرب من جامع الامير شرف الدين الكردي رضي
الله عنه ومنهم سيدي محمد الشربيني شيخ طايفة الفقرا الشرقية
كان من ارباب الاحوال والمكاشفات وكان يتكلم على ساير اقطار الارض
كانه تربى فيها ورايته مرة وهو لابس بشتا من ليف وعمامة من ليف
ولما ضعف ولده احمد واشرف على الموت حضر عزرايل لقبض روحه فقال
له الشيخ ارجع الى ربك راجعه فان الامر قد نسخ فرجع عزرايل وشفي احمد من
تلك الضعفة وعاش بعدها ثلاثين عاما وكان يقول للعصاة التي
كانت معه كوني انسانا فتكون انسانا ويرسلها تقضي الحوايج ثم تعود كما
كانت وكراماته كثيرة وكان يخرج من بلده شربين كل ليلة من المغرب
لا يرجع الى الفجر لا يعلمون اين يذهب وكان الامير قرقماس امير كبير
وغيره من الامرا يعتقدونه اعتقادا زايدا وعمر له زاوية عظيمة
ولم تكمل وكان من طريقته انه يامر مريديه بالشحاتة على الابواب
دايما في بلده ويتعممون بشراميط الزرد الحمر والسود والحبال وكان
الشيخ محمد بن عنان وغيره ينكرون عليه لعدم صلاته مع الجماعة ويقولون
نحن ما نعرف طريقا تقرب الى الله تعالى الا ما درج عليه الصحابة والتابعين
وكان يقبض من الهوى كل شيء يحتاجون اليه للبيت وغيره ويعطيه
لهم واخبر بتحول ابن عثمان السلطان سليمان بسنتين وكان
يقول ابو بكر علقمين الحجا فكانوا الناس يضحكون عليه لقوة
التمكين الذي كانت الشراكسة عليه فما كان احد يظن انقراضهم
في مدة يسيرة مات قبل العشرين والتسعماية ودفن بزاويته
بشربين وقبره فيها ظاهر يزار رضي الله عنه ومنهم سيدي علي
الدويب بنواحي البحر الصغير كان من الملامتية الاكابر
وارسل لي السلام مرات ولم اجتمع به الا في النوم وذلك اني سمعت
باسمه فتنا لتجاعة الشيخ ابن عنان فاخبروني به وقالوا له

[هوامش:]
سنة مات سنة خمس وعشرين وتسع مائة رحمه الله تعالى
بزاوية الحسينية رحمه الله تعالى
رضي الله عنه
رضي الله عنه
رحمه الله تعالى
رحمه الله تعالى

عليه فوقع بينهم القتل وخربوا وهي خراب إلى وقتنا هذا فقلت له الفقير
يعمر بلده والأمير يخربها فقال هؤلا منافقون وفي حصادهم مصلحة للدين
فنسأل الله أن يحفظنا من الشيطان بكرمه وإحسانه رضي الله عنه
ومنهم الشيخ بهاء الدين المجذوب المدفون بالقرب من باب الشعرية
بزاويته كان من أكابر العارفين وكان كشفه لا يخطئ وكان أولا خطيبا
بجامع الميدان وكان أحد شهود القاضي فحضر يوما عقد زواج فسمع
قايلا يقول هاتوا النار جاوا الشهود فخرج هايما على وجهه فمكث ثلاثة
أيام في الجبل المقطم لا يأكل ولا يشرب ثم ثقل الحال عليه فخرج بالكلية
وكان يحفظ البهجة فكان لا تزال تسمعه يقرأ فيها وذلك أن كل
حالة أخذ العبد عليها يستمر فيها ولو خرج عنها يرجع اليها سريعا حتى
أن المجاذيب من تراه مقبوضا على الدوام لكونه انجذب عن حالة قبض
ومنهم من تراه مبسوطا وهكذا وكان الشيخ فرج المجذوب لم يزل
يقول عندك رزقة فيها خراج ودجاج وفلاحين لكونه جذب وقت
اشتغاله بذلك وزمن المجذوب من حين يجذب إلى أن يموت زمن
فرد لا يدري بمرور زمان عليه ورأيت ابن الخاكي لم يزل يقول الفاعل
مرفوع والمخفوض مجرور وهكذا لأنه جذب وهو يقرأ في النحو ورأيت
القاضي ابن عبد الكافي لما جذب لم يزل يقول وهو في بيت الخلاء غريم
ولا حقا ولا استحقاقا ولا دعوى ولا طلبا ولا غير ذلك ومن وقايعه رضي الله عنه
أننا حضرنا يوما معه وليمة فنظر للفقها في الليل فزعق فيهم وقال
لهم كفرتم بكلام الله ثم أخذ فيهم بقلة من القلل كانت بجانبه فصعدت
إلى نحو السقف ثم نزلت فقال فقيه منهم كسر القلة فقال كذبت
فوقعت على الأرض صحيحة كما كانت فبعد خمسة عشر سنة رأى الفقيه
فقال أهلا بشاهد الزور الذي يشهد أن القلة انكسرت ومكاشفاته
مشهورة بين أكابر مصر من المباشرين وعامة الناس مات سنة
نيف وعشرين وتسع ماية رضي الله عنه ومنهم الشيخ عبد القادر الدشطوطي
كان من أكابر الأولياء صحبته نحو عشرين سنة وحصل لي منه نفحات
وجدت بركتها وكان صاحيا وهيئته هيئة المجاذيب وكان مكشوف

الراس

ومنهم الشيخ شهاب الدين بجامع الميدان

رضي الله عنه

رضي الله عنه

رضي الله عنه

الراس حافي ولما كف بصره صار يتعمم بجبة حمرا وعليه جبة اخري فاذا اتسخت
تعمم بالاخري واجتمعت به في اول يوم من رمضان سنة اثني عشر وتسع
ماية وكنت دون البلوغ فقال اسمع مني هذه الكلمات واحفظها
تجد بركتها اذا كبرت فقلت له نعم فقال يقول الله تعالي يا عبدي
لو سقت اليك دخاير الكونين فملت بقلبك اليها طرفة عين فانت
مشغول عنا لا بنا فحفظتها فهذه بركتها وقال امور احزم باذن لي في
افشايها وكان يسمي بين الاوليا صاحب مصر وقالوا انه ما روي قط
في معدية انما كانوا يرونه في مصر وفي الجيزة وحج رضي الله عنه حافيا
ماشيا واخبرني الشيخ امين الدين امام جامع الغمري انه لما وصل الي
المدينة المشرفة وضع خده علي عتبة باب السلام ونام مدة
الاقامة حتي رجع الحج فقام ولم يدخل الحرم وعمر عدة جوامع في مصر
وفي الريف وكان له القبول التام عند الخاص والعام وكان
السلطان قايتباي يمرغ وجهه علي اقدامه ومن مناقبه انهم
زوروا عليه برجل كان يشبهه فاجلسوه في تربة مهجورة في
القرافة ليلا وراحوا الي السلطان وقالوا له ان سيدي عبد
القادر الدشطوطي يطلبك بالقرافة فنزل اليه السلطان
وصار يقبل اقدامه فقال الرجل المزور عليه الفقرا محتاجين
لعشرة الاف دينار فقال السلطان بسم الله ومضي ثم ارسلها
له فبلغ السلطان انهم زوروا عليه فارسل خلف المزور وضربه
الي ان مات وكان من شانه انه لا يتطور وحلف اثنان ان الشيخ نام
عند كل منهما الي الصباح في ليلة واحدة في مكانين فافتي الشيخ
جلال الدين السيوطي بعدم وقوع الطلاق واخبرني الامير يوسف
ابن ابي اصبع قال لما اراد السلطان قايتباي يسافر لبحر الفرات
استاذن الشيخ عبد القادر الدشطوطي في السفر فاذن له قال
الامير يوسف فكنا طول الطريق ننظره يمشي امامنا فاذا اراد
السلطان ينزل اليه يختفي فلما دخلنا حلب وجدنا الشيخ ضعيف
بالبطن في زاوية بحلب مدة خمس شهور فتحيرنا في امره ودخلت

دون الله تعالي

رضي الله عنه

رضي الله عنه

رضي الله عنه

رضي الله عنه

رضي الله عنه

عليه وانا شاب اعزب فقال لي تزوج واتكل على الله خذ بنت الشيخ
محمد بن عنان فانها صبية هايلة فقلت ما معي شي من الدنيا قال
بلى قل معي اشرفي قل اثنين قل ثلاثة قل اربعة قل خمسة وكان لي عند
شخص بنواحي المنزلة ذلك القدر فحسبه الشيخ ولست انا اعلمه
ثم اذن الظهر فتغطى الشيخ بالملاية وغاب ساعة ثم تحرك ثم قال
الناس معذورون يقولون عبد القادر ما يصلي والله ما اظن اني
تركت الصلاة منذ جذبت ولكن لنا اماكن نصلي فيها فقلت
للشيخ محمد بن عنان [رضي الله عنه] فقال صدق له اماكن انه يصلي في الجامع الابيض
برملة لد وسمعته مرة يقول كل من قال السعادة بيد احد غير الله
كذب واني كنت مجتهدا ناني الدنيا يضرب بي المثل فحصل الجاذب
الي وصرت اغيب اليومين والثلاثة ثم افيق اجد الناس حولي
وهم يتعجبون من امري ثم صرت اغيب العشرة ايام والشهر لا اكل
ولا اشرب فقلت اللهم ان كان هذا وارد منك فاقطع علايقي [حقا]
من الدنيا فمات الاولاد ووالدتهم والبهايم ولم يبق احد دون
اهل البلد فخرجت سايحا الي وقتي هذا فهذا كله كان في قدر
العبد قلت له وسمعته يقول للشيخ جلال الدين البكري يا جلال
الدين وقفنا هذا كله للفقرا والمساكين والمكشوفين الركب
وكاني بك وقد جاوا اليك بسياق فلان وفلان اجعل لهم وظيفة
فتخرب المكان وكان عالما باحوال الزمان وما الناس عليه وكان رضي الله عنه
اكثر ما يبات عند شخص نصراني في باب البحر فتلومه الناس فيقول
هذا مسلم ومن بركته اسلم النصراني على يديه وحسن اسلامه
وسمعته يقول وقد ساله الشيخ شمس الدين البهنسي عن جماعة
في مصر من الفقرا الذين في عصره فقال يا ولدي هولا بعيدون
عن الطريق والله ما يذوقون فشم الطريق فضلا عن لبها ولما دنت
وفاته اكثر من البكا والتضرع وكان يقول للبنا الذي يبني في القبة عجل
في البنا فان الوقت قد قرب فمات وبقي منها يوم فكملت بعده ودفن في قبره
واوصاني يعل قبره وجانبه مجادل حجر حتى لا ينبش احد ليدفن معه ثم مات

سنة

سنة ست وثلاثين وتسع مائة وصلى عليه ملك الامرا خيربك وجميع
الامرا وكان بمصر وكراماته مشهورة في مصر والبلاد التي كان يسير فيها رضي

وخيرتها

الله تعالى عنه ومنهم الشيخ سيدي حسن العراقي المدفون بالكوم الخارج

العارف بالله تعالى

باب الشعرية بالقرب من بركة الرطلي وجامع البشيري ترددت اليه مع الشيخ
ابي العباس الحريثي وقال اريد احكي لك حكايتي من مبتدا امري الى وقتي
هذا كانك كنت رفيقي من الصغر فقلت له نعم فقال كنت شابا من
دمشق وكنت صانعا فكنا نجتمع يوما في الجمعة على اللهو واللعب والخمر
فجاني التنبيه من الله تعالى يوما لما هذا خلقت فتركت ما هم فيه
وهربت منهم فتبعوا ورائي فلم يدركوني فدخلت جامع بني امية فوجدت
شخصا يتكلم على الكرسي في شان المهدي فاشتقت الى لقايه فصرت

عليه السلام

لا اسجد سجدة الا وسالت الله تعالى ان يجمعني عليه فبينا انا ليلة بعد
صلاة المغرب اصلي السنة واذا بشخص جلس خلفي وحسس على كتفي
وقال قد استجاب الله دعاك يا ولدي ما لك انا المهدي فقلت له
تذهب معي للدار فقال نعم فذهب معي فقال اخل لي مكانا انفرد فيه
فاخليت له مكانا فاقام عندي سبعة ايام بلياليها ولقنني الذكر
وقال اعلمك وردي تدوم عليه ان شا الله تصوم يوما وتفطر يوما وتصلي
كل ليلة خمس مائة ركعة فقلت نعم فكنت اصلي خلفه كل ليلة الخمس مائة
ركعة وكنت شابا امرد حسن الصورة فكان يقول لي لا تجلس قط الا ورائي
فكنت افعل وكانت عمامته كعمامة العجم وعليه جبة من وبر الجمال فلما
انقضت السبعة ايام خرج فودعته وقال لي يا حسن ما وقع قط مع احد
ما وقع لي معك فدم على وردك حتى تعجز فانك ستعمر عمرا طويلا انتهى كلام
المهدي قال فعمري الان مائة وسبع وعشرين سنة قال فلما فارقني المهدي عليه السلام
خرجت سايحا فرحت الى ارض الهند والسند والصين ورجعت الى بلاد العجم
والروم والغرب ثم رجعت الى مصر بعد خمسين سنة سياحة فلما اردت الدخول
الى مصر منعوني من ذلك وكان المشار اليه فيها سيدي ابراهيم المتبولي رضي الله عنه
فارسل يقول الزم في القرافة فاقمت في قبة مهجورة عشر سنين تخدمني
الله تبارك في صورة عجوز تاتيني كل يوم برغيفين واناء فيه طعام فلا كلمتها

قط ولا كلمتني ثم سالت في الدخول فاذنوا لي ان اسكن في بركة القرع فاقمت
سنين فيها عديدة في راحة ثم جا الشيخ عبد القادر الدشطوطي يريد يبني
له جامعا هناك فصار يشاقلني ويقول اخرج من هذه الحارة فقلت له يوما
ما لك وما لي انا ما لي احد يعتقد في من الامرا ولا غيرهم فما لك ولي فلم يزل
بي حتى خرجت الي هذا الكوم فمكثت فيه سبع سنين فبينما انا ذات يوم
جالس هنا اذ طلع الدشطوطي فقال انزل من هذا الكوم فقلت لا انزل لخرجت
النفس مني ومنه فدعا علي بالكساح فتكسحت ودعوت عليه بالعمى فعمي
فهو كالطوبة الآن هناك وانا رمة في هذا الموضع وانا اوصيك يا عبد الوهاب
انك لا تصالح احدا قط بنفسك وان صالحك فلا تصادمه وان قال لك اخرج
من زاويتك او دارك فاخرج واجرك على الله تعالى انتهى وكان اذا جاءه
شخص بجوخة او ثوب صوف ياخذ السكين ويشرحها سيورا سيورا ثم
يخيطها بخيط دارج ومسلة ويقول ان نفسي تميل الي الاشيا الجديدة فاذا
قطعتها لم يبق عندها ميل توفي سنة نيف وثلاثين وتسعمائة ودفن
في القبة التي في الكوم المتقدم ذكره رضي الله تعالى عنه ومنهم الشيخ ابراهيم
العصفوري خطه الذي يمشي فيه من باب الشعرية الي قنطرة الموسكي الي
جامع الغمري وكان كثير الكشف وله وقايع مشهورة وكان اصله
من البحر الصغير وظهرت له كرامات وهو صغير منها انه كان ينام في الغيط
ويأتي البلد وهو راكب الديب الي الصبح ومنها انه كان يمشي علي الما لا يحتاج
الي مركب وكان بوله كاللبن الحليب ابيض وكان يغلب عليه الحال
فيغيب من ذهاب وجهه وكان يتشوش من قول المؤذن الله اكبر فيرجمه
ويقول عليك يا كلب نحن كفرنا يا مسلمين حتى تكبروا علينا وما
ضبطت عليه قط كشفا اخرم فيه وليلة حرقت منارة المدرسة التي
هي سكننا بين الصورين اخذ من البقال نصفين واعطاها للسقا
وقال كب هذه الروايا علي هذا الحريق فصبه علي الارض تجاه المدرسة
فقالت الناس للسقا اللهم ان هذا مجذوب ما عليه حرج تصب الما
علي الارض خسارة فطلع الوقاد تلك الليلة فاوقد المنارة ورشق
الجنيب في حايطها وكانت خشبا ونزل ونسيها فاحترقت تلك الليلة

منا هذا الكوم

رضي الله عنه

رضي الله عنه

ووقعت

٥٥٤

ووقفت الثلاثة اذ واركان النساان نزعها وحملها ووضعها محمد ودة
في الشارع لم تصب احدا من الجيران وكان يقول جاكم ابن عثمان جاكم
ابن عثمان فكان عز الغوري يسخرون به وكان كثير الشطح وكان اكثر
يومه في الكنيسة ويقول النصارى لا يسرقون النعال في الكنيسة
بخلاف المسلمين وكان يقول انا ما عندي يصوم حقيقة الا من لا ياكل
اللحم الضاني ايام الصوم كالنصارى واما المسلمون الذين ياكلون
اللحم والدجاج ايام صومهم فصومهم عندي باطل وكان يقول لخادمه
اوصيك ان لا تفعل الخير في هذا الزمان ينقلب عليك بالشر وجرب
اثنت ولما سافر الامير جانم الى الروم شاوره فقال تروح وتجي سالم ففارقه
وراح للشيخ عبيس فقال ان رحت شنقوك وان قعدت قطعوا
رقبتك فرجع الى الشيخ عصيفير فقال روح تجي سالم وكان الامر كذلك فراح
تلك السفرة وجا سالما ثم اضربوا عنقه بعد ذلك فصدق الشيخان ولما
سافر ابن موسى المحتسب بلاد العصاة ارسل اليه عياله بقميص ما ورده
وقال صبوه على كفنه وهو على المغتسل فجا الخبر بانهم قتلوه واتوا به في
سحلية فصبوه عليه كما قال الشيخ وكان شخص يوذيه في الحارة فدعى
عليه بان لا يخرج من بيته الى ان يموت فتورمت رجلاه وتفتحا
وخرج منها الصديد وترك الصلاة حتى الجمعة وصار لا يستنجي قط
واذا غسلوا ثوبه يجد وافيه العذرة كثوب الاطفال وقال له شخص
مرة ادعي لي يا سيدي فقال الله يبليك بالعمى في حارة اليهود فعمي كما
قال في حارتهم وقال له شخص ومعه بنية حاملها ادعي لبنتي فقال
الله يعدمك حسها فماتت بعد يومين وكان يفرش عتبته في بحر
التبن ليلا ونهارا وقبل ذلك كان يفرش زبل الخيل وكان اذا مرت
عليه جنازة واهلها يبكون يمشي امامها معهم ويقول زلابية هريسة
واحواله غريبة وكان يحبني وكنت في بركته وتحت نظره الى ان مات
سنة اثنين واربعين وتسع مائة ماية ودفن بزاويته بخط بين السورين
تجاه زاوية الشيخ ابي الحمايل رضي الله عنه ومنهم الشيخ شهاب الطويل
كان من اولاد خليل الشبلي احد اصحاب سيدي ابي العباس المرسي رضي الله عنه

رضي الله عنه

رضي الله عنه

والدجاج

وكان كذلك فراح تلك السفرة وجا سالما

رضي الله عنه

الشيخ

الشبلي

والاذكار انا الليل واطراف النهار وكان يختم القران كل اسبوع
في التهجد وكان الشيخ ابو الحسن بن القزويني يكاشف ويتكلم
علي الخواطر وكان ملازما للصمت لا يخرج من بيته الا الي الصلاة
وكان يدرس العلم في بيته ويقري الحديث ويمليه في بيته فكل
هولا كانوا علما عاملين غير مشهورين بالعبادة والزهد والورع
فذكرناهم لننبه علي فضلهم رجا الخير والترحم عليهم والاقتدا بهم
واما من اشتهر بالعبادة والزهد والورع كالشيخ ابي اسحاق الشيرازي
والامام الغزالي والامام الرافعي والامام النووي فاكتفينا بشهرتهم
بذلك رضي الله عنهم اجمعين قال المولف الشيخ الامام العالم
العامل الكامل الراسخ المحقق المدقق احد ملوك العارفين بالله
تعالي سيدي عبد الوهاب ابن احمد بن علي الشعراوي الانصاري
رضي الله تعالي عنه والله اعلم وكان الفراغ من كتابة هذه
النسخه المباركه يوم الخميس المبارك رابع ذي القعده من شهور
سنة ٩٧٠ من الهجره النبويه علي ساكنها افضل الصلاة
والسلام علي يد اقل عباد الله تعالي واكثرهم
عيوبا وذنوبا المعترف بالعجز والتقصير
الراجي عفو ربه القدير الفقير
شرف الدين بن الشيخ نور الدين
الشافعي البابلي غفر الله
له ولوالديه ولجميع
المسلمين ولمن قرا
فيها او طالع فيها
امين امين
امين
امين

رحمه الله

وكان الفراغ من كتابتها خامس عشر شهر رجب الفرد سنة اثنين وتسعماية بمصر المحروسة والله اعلم

الملحق رقم (٤)

الصوفية في الشبكة العنكبوتية ونماذج من صور معبرة



عقدت أكاديمية القاسمي في باقة الغربية بالاشتراك مع الجامعة العبرية في القدس مؤتمرا هو الأول من نوعه في اسرائيل حول: التصوف في فلسطين، في الماضي وحاضر وذلك في يومي الأربعاء والخميس (26-27/4/2006). جرت أحداث اليوم الأول في قاعة منيرسدورف في الجامعة العبرية في القدس، وقد افتتحتها البروفيسورة ساره سترومزا نقبة عميد الجامعة العبرية، بكلمة مقتضبة عبرت فيها عن سرورها لعقد مؤتمر التصوف في البلاد، وذلك للمرة الاولى وعن استعداد الجامعة العبرية لمزيد من التعاون مع أكاديمية القاسمي في مختلف المجالات العلمية. بعد ذلك ألقى العديد من الباحثين محاضراتهم في الجوانب المختلفة للتصوف في فلسطين تتناول التطور التاريخي للتصوف في فلسطين، الجوانب الاجتماعية وزيارة قبور الأولياء. حضر جلسات المؤتمر في القدس العديد من طلاب الجامعة العبرية وطلاب أكاديمية القاسمي. أما المحاضرات فقد القاها عدد من الباحثين مثل: البروفيسورة ساره سفيري والبروفيسور خليل عثامنه والبروفيسور بطرس أبو منه، ود. عارف أبو ربيعة، والدكتور خالد سنداوي والأستاذ عبد الرحمن الزعبي وغيرهم. أما اليوم الثاني من المؤتمر فقد عقد في حرم أكاديمية القاسمي في قاعة المؤتمرات ، افتتحه رئيس أكاديمية القاسمي الدكتور محمد عيساوي حيث رحب بالحضور وأعلن عن نية الأكاديمية في مواصلة عقد مثل هذه المؤتمرات العلمية بمشاركة مختلف المؤسسات الجامعية في البلاد. كما أعرب عن استعداد الكلية لإصدار كتاب يحتوي على ملخص للمحاضرات التي قدمت في هذا المؤتمر. وقد تشرف المؤتمر بزيارة الشيخ عبد الرؤوف القاسمي شيخ الطريقة الخلوتية ورئيس مجلس أمناء أكاديمية القاسمي. ألقى فضيلته كلمة قصيرة عبر فيها عن سعادته لعرض موضوع التصوف في هذا الإطار الأكاديمي المرموق. بعد ذلك قام العديد من الدارسين بعرض نتائج أبحاثهم من خلال عدد كبير من المحاضرات، وذلك بحضور حشد من طلاب الأكاديمية والمهتمين بالتصوف وأبناء الطريقة الخلوتية في باقة العربية والمنطقة. وقد تفاعل الحضور مع عروض المؤتمر من خلال المناقشات مع الباحثين. ومن الباحثين الذين شاركو في جلسات هذا اليوم: الدكتور غالب عنابسه والدكتور خالد محمود والاستاذ توفيق سيدي والأستاذ أحمد قعدان (جميعهم من أكاديمية القاسمي) والدكتورة نعمه بن عامي وفضيلة مفتي طولكرم الشيخ عمار بدوي. وفي الندوة العلمية شارك البروفيسور خليل عثامنه والبروفيسور بطرس أبو منه والبروفيسورة ساره سفيري والبروفيسور منير بار-اشير والدكتور عطاالله قبطي. نظم المؤتمر طاقما مشتركا من أكاديمية القاسمي والجامعة العبرية (مركز الأبحاث الإسلامية على اسم البروفيسور نحميا لفتسيون) ضم: د. أحمد غبن، البروفيسور خليل عثامنة والأستاذ وليد أبو أحمد ود. خالد سنداوي (كلهم من أكاديمية القاسمي) والبروفيسور رئوبين عميتاي والبروفيسور منير بار-أشير من الجامعة العبرية. تعرب كل من أكاديمية القاسمي والجامعة العبرية عن شكرهما الجزيل لجميع المحاضرين ورؤساء الجلسات الذين شاركوا في المؤتمر.





انعقاد مؤتمر "التصوف في إسرائيل/فلسطين: الماضي والحاضر" يومي 26-27 /4/2006 في حرمي الجامعة العبرية وأكاديمية القاسمي

العربية

عربي فارسي اردو English

▪ الصفحة الأولى ▪ أخبار ▪ سياسة ▪ رياضة ▪ الأسواق العربية ▪ الصفحة الأخيرة

▪ آراء ▪ برامج العربية ▪ المكتبة التفاعلية ▪ فيديو العربية ▪ جوال العربية ▪ اجعلنا صفحتك الرئيسية



الإثنين 13 يوليو2009م، 20 رجب 1430 هـ ، السنة السادسة، اليوم 144




ارسال حفظ طباعة

الخميس 24 جمادى الأولى 1429هـ - 29 مايو 2008م

في خطوة قد تثير غضب تيارات إسلامية أخرى
توقع إطلاق قناة فضائية للطرق الصوفية في مصر بداية العام القادم



انتقادات لموالد الصوفية

القاهرة - أحمد السيد

شهدت جامعة الأزهر في مصر الإعلان عن اطلاق قناة صوفية بداية العام المقبل، في خطوة يتوقع أن تثير ردود فعل من التيارات السلفية والجماعات الاسلامية المناهضة للتصوف والتي تعتبرهم من المبتدعين في الدين.

وجاء الاعلان الخميس 29-5-2008 من خلال مؤتمر "دور الصوفية في مواجهات تحديات العصر" الذي تم تنظيمه في جامعة الأزهر، وذلك في الكلمة التي ألقاها شيخ الطريقة العزمية الصوفية محمد علاء ماضي أبو العزائم.

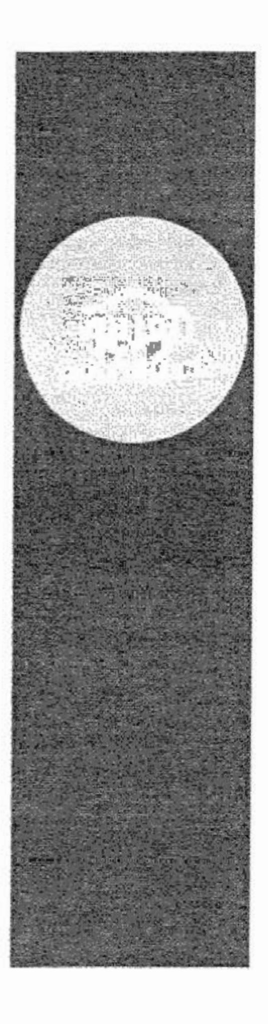
وقال إنه سيتم تدشين وبدء بث قناة فضائية باسم "مشيخة عموم الطرق الصوفية" للرد على "الاساءات المستمرة ضدهم، وللتعريف بحقيقة مبادئهم والدور الذي يقومون به في العالم الإسلامي".

روابط ذات علاقة

- خلافات الصوفية والسلفية تؤخر قيام مرجعية موحدة للسنة بالبحرين
- زعيم الصوفية بمصر: حقيقة تشيع أتباعه ولقاءاته بالسفير الأمريكي

اقرأ أيضا

- بيرلسكوني يطالب رونالدينيو بالتعهد بـ"التصرف كمحترف طوال الموسم"
- صحافية سودانية مهددة بالجلد بسبب لباسها "غير اللائق"
- ديكتاتورياتنا الفردية
- إسرائيل تقرر "تهويد" اللافتات وحذف أسماء المدن العربية
- بانوراما: نصف طهران منطقة أزمة




انتقادات للموالد الصوفية

ولاقى إعلان أبو العزائم ترحيبا شديدا من مريدي الطرق الصوفية الذين حضروا المؤتمر الذين أخذوا يهتفون للصوفية.

وشهد المؤتمر مشادات عنيفة وانتقادات شديدة لما يحدث في "موالد الصوفية" من فوضى واختلاط بين الرجال والنساء، وتبرج، مما جعل الشيخ أبو العزائم يرد بالقول إن المسؤول عن ذلك هو الأمن لأن شيخ الطريقة الصوفية يكون جالسا في مكان محدد ولا علاقة له بالعمليات التنظيمية.

وأوصى المشاركون في المؤتمر، الذي اختتم فعالياته مساء الخميس، بضرورة العناية بالإعلام الصوفي باعتباره أداة توعية وتثقيفا للشعوب الإسلامية والعمل على إعادة طبع ونشر كتب التصوف.

ولا توجد احصائيات رسمية عن عدد المتصوفين في مصر، لكن هناك من يقدرهم بعدة ملايين، ويعد مسجد السيد البدوي في طنطا (100 كم من القاهرة) من أكبر معاقلهم.

وينظم القانون المصري الطرق الصوفية، ويجعل على رأسها مجلسا أعلى يتكون 10 اعضاء منتخبين من مشايخ الطرق الصوفية، و5 اعضاء معينين بحكم وظائفهم يمثلون الأزهر والأوقاف والحكم المحلي والداخلية والثقافة، وتتخذ قراراته بالأغلبية، إلا أنه في حالة اضافة طريقة صوفية جديدة لابد من مراجعة اللجنة العلمية والثقافية ومهمتها توثيق نسب الأشراف، بعد موافقة الجهات الأمنية.

٨



الأربعاء 16 من إبريل 2008م - 10 من ربيع الآخر 1429هـ - العدد 3634 - السنة

الصفحة الرئيسية

آخر تحديث يوم 4/15/2008 - الساعة 2:00:26 PM بتوقيت القاهرة

مؤتمر التصوف في أمريكا فجر الخلافات بين المشايخ في مصر
اختراق شيعي للطرق الصوفية!

محمد نور

أثارت الدعوة التي وجهت لبعض مشايخ الطرق الصوفية في مصر لحضور مؤتمر عن التصوف في الولايات المتحدة الأمريكية، يعقد في الفترة من 25 الى 28 ابريل الجاري في ضاحية سان رفائيل بسان فرانسيسكو بولاية كاليفورنيا.. ردود فعل غاضبة في أوساط مشايخ الطرق الصوفية.. إذ اعتبرها البعض دعوة مشبوهة تروج للفكر الشيعي، فالشيعة يحاولون بكل الطرق اختراق الطرق الصوفية عن طريق آل البيت ومحبتهم لأن الصوفية اشتهروا بمحبة آل البيت ودائما ما يستخدم الشيعة هذه المحبة لبث أفكارهم ومذاهبهم في نفوس البعض.. فالتاريخ يذكرنا بأن المجتمع المصري ارتبط بالطرق الصوفية في القرن الثالث الهجري منذ أن ظهر ذو النون المصري لنشر رسالة التصوف النابعة من منهج الكتاب والسنة.



الشيخ محمد علاء الدين

ويصل عدد المتصوفين في مصر الى نحو 11 مليون صوفي يتبعون 73 طريقة صوفية لكل طريقة شيخ يسمى شيخ الطريقة.

وبقراءة اللوائح والقوانين التي تنظم الطرق الصوفية في مصر.. نجد أن المادة الثالثة من القانون رقم 118 لسنة 1976 نصت علي تأسيس المجلس الأعلي للطرق الصوفية كهيئة ذات شخصية معنوية مستقلة وذات أغراض دينية وروحية واجتماعية وثقافية ووطنية.. ويتبع المجلس الأعلي للطرق الصوفية مشيخة الطرق الصوفية.

ويتشكل المجلس الأعلي للطرق من عشرة أعضاء يتم انتخابهم من مشيخة الطرق الصوفية وغالبا ما يكونون مشايخ طرق، بالإضافة إلي ممثلين عن الأزهر ووزارة الأوقاف ووزارة الداخلية ووزارة الثقافة والحكم المحلي، إضافة إلي مفوض من مجلس الدولة.

ويرأس المجلس الأعلي للطرق الصوفية شيخ المشايخ ويتم تعيينه بقرار جمهوري.

وحددت المادة الرابعة من القانون 118 لسنة 1976 اختصاص المجلس الأعلي للطرق الصوفية في الإشراف العام علي النشاط الصوفي ودعمه والموافقة علي إنشاء الطرق الصوفية الجديدة ومتابعة نشاط كل الطرق أو أعضائها وإصدار قرارات بحظر نشاط أية فئة أو جماعة أو شخص يزعم الانتساب إلي الطرق الصوفية أو يباشر نشاطا صوفيا ولم يكن مدرجا ضمن سجلات الطرق الصوفية أو إبداء الرأي في التشريعات المتعلقة بتنظيم الطرق الصوفية.

واللوائح الداخلية للمجلس الأعلي للطرق الصوفية والمشيخة العامة تنص علي الموافقة علي تعيين وتأديب وعزل مشايخ الطرق الصوفية ووكلائها.

عالم عشوائي

المثير للدهشة أن هذه اللوائح التي تحكم عمل المجلس والمشيخة العامة للطرق وسلطاتها يضرب بها عرض الحائط.

فعالم التصوف في مصر يوصف بأنه عالم عشوائي أبوابه مفتوحة لكل من هب ودب.. وأصبحت بعض الطرق الصوفية مجالا واسعا لاستغلال المتاجرين بالدين والدجل والشعوذة، بل وأصبح معروفا أن من أسهل الطرق لجمع الأموال في مصر إنشاء طريقة صوفية.

وقد تم توجيه دعوة مشبوهة لبعض مشايخ الطرق الصوفية في مصر لحضور مؤتمر عن التصوف في أمريكا.. وقد تم توجيه هذه الدعوة لأفراد وليس للمجلس الأعلي وهذا دليل علي غياب المجلس الأعلي للطرق الصوفية وعدم الاعتداد به كجهة رسمية مسئولة عن تنظيم عمل الطرق الصوفية والاشراف علي عمل المشايخ.

كما أن الغريب أن الدعوة وجهت لأحد المشايخ من قبل شخص يدعي "علي كياتقر" يزعم بأنه رئيس الاتحاد العالمي للتصوف في أمريكا..وأحمد تيجاني الأمين العام فالأول قام بالاتصال والثاني قام بإرسال الدعوة عن طريق البريد الالكتروني مما يثير علامات استفهام حول هذا المؤتمر..

الخطير أن من وجهت لهم الدعوة من مشايخ الطرق لحضور المؤتمر ليس لديهم المعلومات الكافية عن المؤتمر أو عن الجهة المنظمة له.

المؤتمر الأول!

وسألنا الشيخ محمد علاء الدين ماضي أبوالعزائم شيخ الطريقة العزمية وعضو المجلس الأعلي للطرق الصوفية والمفوض باختيار مشايخ الطرق الذين يشاركون في المؤتمر عن الدعوة لحضور المؤتمر فقال:

الدعوة وجهت لي من قبل اثنين، حيث تلقيت اتصالا من "علي كياتقر" رئيس الاتحاد العالمي للتصوف وتلقيت رسالة بالبريد الالكتروني عبارة عن دعوة لحضور المؤتمر من أحمد تيجاني.. والدعوة موجهة لنحو 12 شيخ طريقة صوفية في مصر لحضور المؤتمر.

سألت الشيخ علاء عن معلوماته أو حدود معرفته بـ "علي كياتقر" قال: لا أعرفه ولا أعرف جنسيته.. وأشار إلي أن هذا هو المؤتمر الرابع لكنه الأول الذي يحضره مشايخ من مصر ويناقش عدة محاور منها قمة الحب ومراحل القلب والسبيل إلي الحج وأجمل الأسماء لله، إضافة إلي القلب المفتوح والعالم المفتوح.

ويضيف أن نص الدعوة كتب فيها "أن الصوفيين في أمريكا يتشوقون إلي تعلم الكثير عن الصوفية في مصر.. من فضلك أجل كل شيء وادع الكثير من مشايخ الطرق الصوفية ليشاركوا في هذا المؤتمر الهام التاريخي".

وقال إنه سيقوم بتقديم بحث في المؤتمر عن مراحل القلب والحالات الصوفية للقلب باعتبار أن القلب مكان الحب.. وسوف أشرح للأمريكيين أن التصوف مرحلة وسطية لا يميل للتشدد والعنف ولا يميل للانفلات



العلماني.

ويبرئ شيخ الطريقة العزمية علي المخاوف التي تتردد من أن تكون الصوفية جسرا لدخول التشيع إلى مصر.. قائلا: يوجد عدد كبير من الناس في مصر تحولوا للشيعة وهم ليسوا من أصول صوفية.. لافتا إلى أن مصر كانت شيعية أيام الدولة الفاطمية وكان فيها صوفيون ولم يتشيعوا.

ليس من حقه

ويشير علاء أبوالعزائم إلي أنه قام بتبليغ المجلس الأعلى للطرق الصوفية بالسفر لحضور المؤتمر وأن المجلس موافق وأن المجلس ليس له الحق في الموافقة أو غير الموافقة علي السفر، وإنما نخطره بالمؤتمر لأنه دائما ما يكون له آراء وملاحظات وتوصيات.

وعندما سألته: ماذا تفعل في حالة عدم موافقة المجلس على السفر؟

أجاب: أن المجلس ليس له الحق في منعي من السفر وليس له سلطة علي المؤتمر لأن المؤتمر ليس تحت رعايته كما أنه مؤتمر صوفي وليس سياسيا.

وقال: إن الهدف من مشاركتي في المؤتمر هو إعطاء صورة صحيحة عن الإسلام والعالم العربي للأمريكيين مشيرا إلى أنه إذا أتيحت له فرصة مقابلة مسئولين أمريكيين فلن يتردد عن مقابلتهم بل سيسعى لكي يصحح الفكر الأمريكي تجاه الإسلام والمسلمين.

أول دعوة

أما المهندس محمد عبدالخالق الشبراوي شيخ الطريقة الشبراوية فبدأ حديثه بقوله: عندما يدعون إخواننا من أهل التصوف لزيارتهم فهل نرد الدعوة أم نقبلها؟!

وأجاب علي السؤال: بالطبع نقبل الدعوة من باب مكارم الأخلاق.. فهذه أول دعوة تأتينا من أمريكا ولذلك سنذهب ونشارك في المؤتمر.

ويشير إلى أننا لا نرفض أي دعوة توجه لنا من أي مكان بما في ذلك إسرائيل.. وقال سنذهب إليها فليس لدي مانع من زيارة إسرائيل علي أساس إحلال السلام الشامل.. لافتا إلي الجالية الإسلامية الصوفية في إسرائيل إذا وجهت لنا الدعوة سنذهب لمناصرة إخواننا فالرئيس السادات فعلها وذهب إلي إسرائيل.. ونحن نفعل مثلما فعل السادات فنحن أهل دين لسنا أهل سياسة وجوهر الدين المحبة والسلام.

وافقنا لسببين

ونفي شيخ الطريقة الشبراوية ما يتردد من عدم موافقة المجلس الأعلي للطرق الصوفية لحضورنا المؤتمر.. مؤكدا أن هذا الكلام لا أساس له من الصحة وأن المجلس موافق لسببين: الأول: أن مشايخ الطرق الصوفية مثال أعلي لمريديهم ومن آداب الطريق الصوفي الاستئذان، فنحن قمنا بإخطار المجلس من باب الأدب.. والثاني: العلاقة بين مشايخ الطرق الصوفية والمجلس الأعلي للطرق علاقة محبة وود وبالطبع يشملها الأدب، إضافة إلى أن القانون يكفل حرية السفر مادام صاحبه أهلا لذلك.

ويضيف: أن الدعوة جاءت من قبل الشيخ علاء ماضي أبو العزائم.. وعندما تحدثت معه علمت أن مولانا شيخ مشايخ الطرق الصوفية سيذهب إلي المؤتمر، وبذلك أردنا أن نكون مرافقين له وفي خدمته حيث أنه رمز للتصوف في العالم أجمع.. وأن هدفي من حضور المؤتمر نشر الدعوة.. والتصوف في مصر بخير ولم يخرج عن الكتاب والسنة وتلاقي الأرواح ونحن نلاقيها عن قرب في هذا المؤتمر.

مؤتمر شيعي

ويحذر د. محمد أبو هاشم شيخ الطريقة الهاشمية الخلوتية الأحمدية وعميد كلية أصول الدين بالزقازيق من حضور هذا المؤتمر.. قائلا: أن هذا المؤتمر شيعي، والهدف من دعوة بعض مشايخ الطرق للمؤتمر هو محاولة تهيئتهم لدخول التشيع لمصر، لأن المنظمين للمؤتمر من الشيعة قاسم علي كيالار اسم شيعي، وهناك محاولات كثيرة من الشيعة لاستمالة بعض أعضاء مشايخ الطرق الصوفية بحجة محبتهم لآل البيت ويقدمون لهم دعوات لزيارتهم.. ثم يتضح أن الأمر وراءه مخطط شيعي لمحاولة دخول الشيعة مصر وانتشارهم فيها، كما أن هناك اتصالات أمريكية مع بعض الجهات لتحسين الوجه الأمريكي أو تحسين صورة أمريكا في العالم العربي والإسلامي، ووجدوا أن الطرق الصوفية تمثل التيار المعتدل في مصر ولهم أتباع كثيرون وبذلك يحاولون أن يستثمروا هذا الأمر في توجيه بعض الدعوات لبعض مشايخ الطرق الصوفية لزيارة أمريكا غير مدركين الهدف من وراء هذه الدعوة.

ويوضح أن المجلس الأعلي للطرق اتخذ قرارا بعدم سفر أي شيخ طريقة إلا بعد موافقة المجلس ومعرفة سبب الدعوة، وذلك خوفا من أن تكون تابعة من هذين التيارين.. التيار الأمريكي والتيار الشيعي، فالمجلس الأعلى للطرق الصوفية هو الهيئة العليا التي تدير التصوف في مصر. ولذلك يجب عليه أن يحذر بعض مشايخ الطرق في حالة مشاركتهم في المؤتمر دون علم المجلس فإن هذا يعرضهم للمساءلة القانونية وعقوبات تصل إلى حد العزل من المشيخة.

مشايخ "بزنس"

ويضيف أن المجلس الأعلى للطرق الصوفية يوجد به ضعف من جهة العقاب والمساءلة واتخاذ قرارات صارمة.. فهناك مجموعات بزنس تريد المنفعة الشخصية وتريد أن تسافر من أجل الأموال ومن أجل "البزنس" وأن مايحدث ليس له أي علاقة بالتصوف ويندرج تحت مسمى البزنس.. لافتا إلى أن الشيخ حسن الشناوي شيخ مشايخ الطرق الصوفية سلبي ولايتخذ قرارات حاسمة وهذا ما أدى إلى ماوصلت إليه المشيخة حاليا.

محاولات شيعية

ويري د. محمد فؤاد شاكر أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة عين شمس والباحث في الدراسات الصوفية: أن هناك محاولات من قبل الشيعة لاختراق الصوفية تحت مسمى محبة آل البيت والذي اشتهر الصوفية به.. لكن الحق والواضح إنه إذا كانت الشيعة قد استخدموا هذه المحبة ليضللوا أفكار الكثيرين لتكون من خلالهم فإن المحبة الحقيقية في مصر لآل البيت محبة وسطية لاتميل إلى التفريط. ولذلك نحن نبصر القائمين على نشر الفكر الصوفي حتى لاينجروا وراء المؤتمرات والندوات واللقاءات.. كما نناشد القائمين على أمر التصوف أن يتحروا علانية ممن يذهبون لحضور هذه المؤتمرات دون تنسيق مسبق ودون خطط عمل وبرنامج واضح.

ويضيف أن أعداء الأمة يتصورون خطأ أن التصوف هو الخضوع وهذا ما يخطط له اعداء الأمة وأن الصوفيين لايدعون إلي جهاد ومقاومة وهذا أمر لا دليل عليه فالصوفية منذ ظهورهم أرباب سيف وقلم وجهاد متواصل.

موافقة المجلس

ويقول د. أحمد عمر هاشم رئيس اللجنة الدينية بمجلس الشعب عضو المجلس الأعلي للطرق الصوفية أن حضور هذا المؤتمر لابد له من شرط موافقة المجلس الأعلي للطرق الصوفية لأن المجلس هو الجهة والهيئة المسئولة عن التصوف في مصر.. مشيرا إلي أنه لامانع أن تعقد مثل هذه المؤتمرات باسم الإسلام وباسم التصوف وذلك للرد علي الإساءات الموجهة للإسلام.. فاذا كانت علي هذا النحو وكان القائمون عليها من المسلمين فما المانع من حضور مثل هذه المؤتمرات؟
ويعود بنا د. عمر هاشم إلي الوراء قليلا عندما كان رئيسا لجامعة الأزهر. قائلا: دعيت ذات مرة لعمل ندوات ومحاضرات في إحدي الجامعات الإسلامية المفتوحة في أمريكا ونتج عن هذه المحاضرات والندوات اعتناق اكثر من 50 شخصا للدين الإسلامي وكان هذا قبل أحداث 11 سبتمبر ولكن بعدها تغير الجو ومن هنا فأنا أقول لامانع من قيام هذه المؤتمرات طالما القائمون عليها من المسلمين.

موضوع حساس!

ورفض الشيخ أحمد كامل ياسين شيخ الطريقة الرفاعية وعضو المجلس الأعلي للطرق الصوفية التحدث فيما يخص المؤتمر المزعوم بحجة أن هذا الموضوع حساس جدا لافتا إلي أنه لن يتحدث فيه وأن الشخص الوحيد الذي يتحدث عن مؤتمر التصوف في أمريكا هو الشيخ حسن الشناوي باعتباره المسئول الأول عن الطرق الصوفية في مصر.





رئيس مجلس الإدارة
ورئيس التحرير
محمد حسن الألفي

رقم العدد : 166 ، تاريخ النشر : 7 يوليو 2009 ، السنة : 3

اتصل بنا

اشتباك

الشيخ علاء أبو العزائم شيخ الطريقة العزمية وعضو المجلس الأعلى للطرق الصوفية: عمرو خالد في سنة أولى حضانة و" قناة الناس " تفرق الناس

حوار: هبة عبد المنعم

يصفك البعض بأنك شيخ «مودرن» لانك تستخدم اللاب توب ولديك عدد من الموبايلات الحديثة فما تعليقك؟

نعم انا شيخ موردن فلماذا نحرم ما لم يحرمه الله علينا؟! فلا يوجد دليل شرعي يحرم هذه الادوات علي الشيوخ بشرط عدم استخدامها فيما يغضب الله من مشاهدة أغان وافلام بها معاص.

تردد ان فتاة تدعي سحر العزمي وهبت نفسها لخدمة ضريح ومسجد الإمام أبي العزائم فما ردك؟

هذا كلام لا أساس له من الصحة علي الاطلاق والمسجد ليس تحت إدارة الطريقة العزمية وانما تديره وزارة الأوقاف وجمعية أولي العزم الدينية وخطيب الجمعة بالمسجد هو عالم أزهري معين من قبل الاوقاف وليس تابعا للطريقة العزمية فكيف ستوافق الوزارة ان تهب فتاة نفسها للضريح وهو تحت ادارتها ومسئوليتها؟

هل قلت: ان وزير الاوقاف متزوج من يهودية وان شيخ الازهر احل الربا؟

هذا الكلام الغرض منه الوقيعة بين الطريقة العزمية والمؤسسة الدينية في مصر ممثلة في الازهر والأوقاف، قلت: ان وزير الاوقاف عالم ومفكر كرمته الطريقة العزمية بمنحه جائزة الإمام ابي العزائم العالمية.

يقول الناس إن اتباع الطريقة العزمية يطلقون عليك لقب امير المؤمنين؟!

رأي الحريف

الموقع الرسمي للحزب الوطني الديمقراطي

انا لست اميرا للمؤمنين ولم يحدث اطلاقا ان اطلق اتباع الطريقة علينا هذا اللقب.

لماذا احتفلت الطريقة العزمية بمولد السيدة فاطمة تحت رعاية لجنة التقريب بين المذاهب الاسلامية؟

هذه فكرة الشيخ محمود عاشور عضو دار التقريب بين المذاهب الاسلامية لكي يحتفل السنة والشيعة جميعا بمولد السيدة فاطمة الزهراء معا في محاولة للتقريب بينهم.

ولماذا حضر المستشار الثقافي الايراني هذا الاحتفال؟

علم فحضر بصفة غير رسمية.

هل دعمت دار التقريب الاحتفال؟

لا لم نتلق دعما من ايران!

أعلنت ان قناة الصوفية ستنطلق مع بداية العام القادم فلمن ستكون رئاسة القناة؟

حتي الان لم ننته من اجراءات انطلاق القناة وتواجهنا صعوبة شديدة في تمويلها.

هل الطريقة العزمية تفضل ليلة المولد النبوي ومولد السيدة فاطمة علي ليلة القدر التي هي خير من الف شهر؟

تفضيل مولد السيدة فاطمة علي ليلة القدر فهو تسب زورا لنا لما تفضيل ليلة المولد النبوي علي ليلة القدر فقد قال بها الامام مالك والامام النووي.

ما علاقة الطريقة العزمية بالإخوان المسلمين؟

لا علاقة لنا بالإخوان المسلمين لأنهم لهم أطماع سياسية ويسعون لتحقيقها وليس صحيحا ان الطريقة العزمية شاركت في حرب 1948 ضمن كتائب الاخوان المسلمين لان الطريقة شاركت في حرب 48 بكتيبة مستقلة عددها 119 فردا.

ذكرت جريدة «الأنباء الدولية» أنك قلت أن 99% من المصريين كذابون فما ردك؟

هذا افتراء علينا لان هذه النسبة المبالغ فيها ستشملنا.

لماذا تعتقد هذا الهجوم الكبير الذي تعرض له مؤتمر التصوف في أمريكا؟

من هاجم المؤتمر كان يريد السفر لامريكا بمعني «لاقيها لأخفيها» فهم أعداء أي نجاح في الدنيا وعندهم حقد وغل وهذا ونحن لم نتلق اي دعم من امريكا بدليل ان الأجهزة الامنية وافقت علي سفرنا.

هل تري ضرورة لحضور مثل هذا المؤتمر؟

كان ضروريا للحوار مع الأخرين وفرصة للمشايخ لمشاهدة العالم المتحضر.

هل تسافر إيران باستمرار؟

أنا عضو بالمجمع العلمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية ولم أسافر إلا ثلاث مرات لحضور مؤتمرات.

ولكن يري البعض أن الطريقة العزمية هي بوابة للتشيع في مصر؟

نحن نحتفل كل عام بمولد السيدة فاطمة كل عام يحضره سنة وشيعة فهل انا شيعي؟

وهل أطرد أي شيعي يحضر الاحتفال؟!

قيل إن الطريقة العزمية أقرب الطرق إلي مذهب الاثني عشرية الشيعية؟

هذا الكلام عار تماما من الصحة فالطريقة العزمية طريقة سنية علي مذهب الامام مالك.

هل فعلا الشيخ عبدالحميد الأطرش رئيس لجنة الفتوي بالأزهر انتقد الطريقة العزمية وقال: انهم يقدسون السيدة فاطمة لدرجة التأليه؟

هذا كلام خال تماما من الصحة فلا يوجد عالم ازهري يتهم احدا بالشرك والالحاد بدون بينة.

ما رأيك في قناة الناس؟

قناة الناس تفرق الناس ولا تجمع فهي اسم علي غير مسمي ويسيطر عليها الفكر الوهابي.

من هو أفضل داعية إسلامي ظهر في السنوات الأخيرة؟

لا يوجد.

ما رأيك في الداعية خالد الجندي؟

لا يصلح إلا لسنة أولي حضانة وعمرو خالد؟

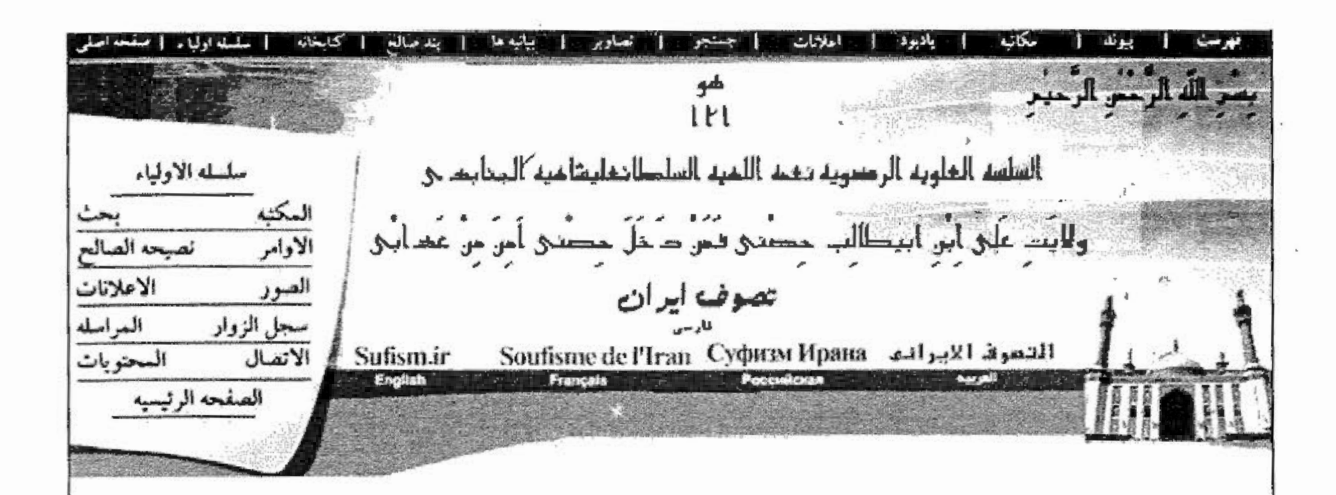
سنة أولي حضانة!

وجمال البنا؟

يفتي بغير علم.

ما هو آخر فيلم شاهدته ام ان الصوفية ضد السينما والفن؟

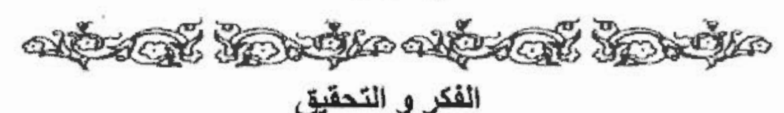
لا طبعا.. آخر فيلم شاهدته كان «ليلة سقوط بغداد» واعجبت بالفيلم جدا لدرجة انني حاولت الاتصال بمؤلف الفيلم محمد امين والفنان حسن حسني.



يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد

ای مردم شما درویش به خدا هستید و خداست که دارا و ستوده است

(سورهٔ فاطر، آیهٔ ١٥)



الفكر و التحقيق

إخوتي

إمتيازُ الإنسان عن سائر الكائنات الحية بالعقل والفكر بعيدُ الأمد فالطفل مُنذ أول تولده يُشبه سائر الحيوانات ولكن مع نُمو جسده فإن فِكره يتطور أيضاً ويزداد بُعد أمَدِهِ ويَكْشف المجهول من الأمور التي عَلِمها وَرأها وسَمِعها، ويَكْشف أيضاً تأثير سائر المَوجودات فيقوم بتجميل وتحسين بدنه ولوازمه من الداخل والخارج كذلك فإنه بقَدر إستخدامه لِفكره أكثر وكلما كانت تجربته أكبر يكون نُموه أفضل وكذلك كما هو معلومٌ لنا فإنه يتدرج في معرفة آثار وأسرار عالم الخَلق، ولإستفادة بني نَوْعِه فإنه يقوم بالإختراعات والصناعات. ولكن يجب أن لا يقف عند هذا الحد وأن يَصْرِف فِكره إلى خارج حد وجوده وأن لا يَجْمع كل قواه بالحاجات المُتعلقة ببدنه ولوازمه الفانية بل على العكس عليه أن يرجع إلى أصل نفسه وأن يتأمل في

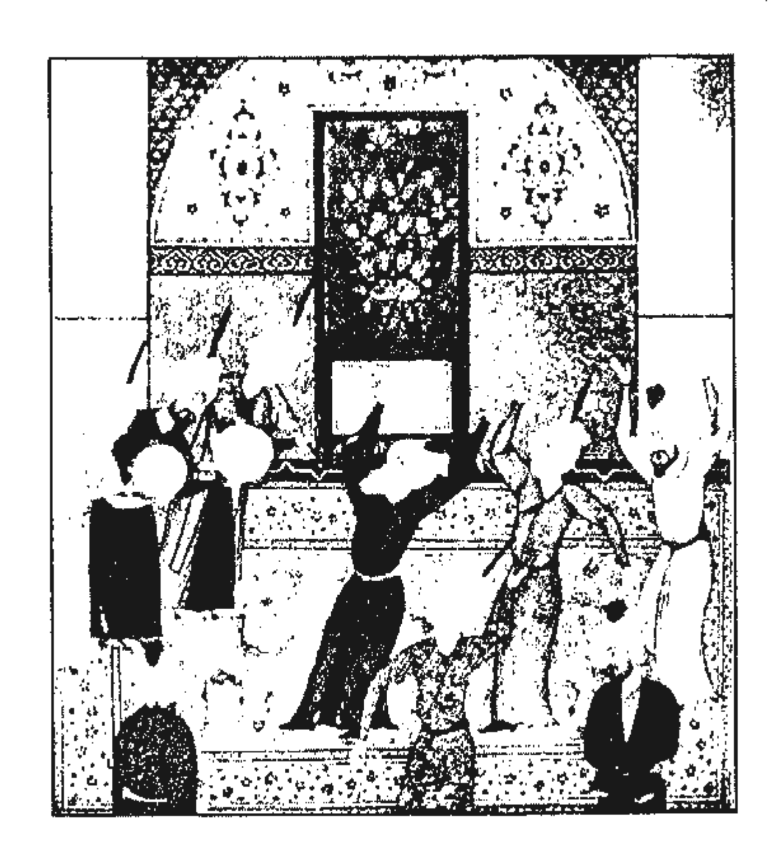
امن أين أتيت؟ وأتيتُ لأجل ماذا؟ إلى
أين سأذهب؟ وأخيرا لم تخبرني بموطني

دلائل بقاء الروح و تجرُّد النفس و عالم الآخرة

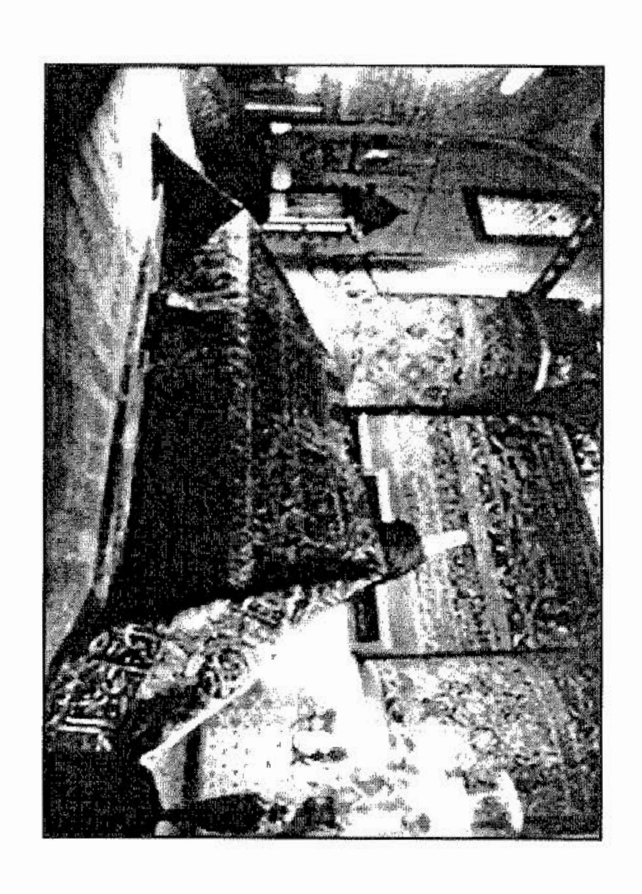


ومِنَ الجسم والجِسمانيات المَحدودين وإنقلاباتهما والفناء التدريجي والكُلّي للجسد و من عدم إنطفاء البحث والشوق الفطري للوصول إلى الميولات الدنيوية والجَزي لأجل الحُصول على آماله ومُراده الضائع، سيتضح له أن الجَولان الفكري اللامُتناهي غيرُ مُنحصر بالدنيا. وأن الحقيقة الإنسانية غير هذا الجسد بل أن الأمر لسائر القوى والأعضاء وتحولاتُ الجسد هو ثابتٌ وغير مُتبدل ومع تعدد القُوى هو واحدٌ ومع معرفته الضَميمة بكل الأعضاء إلا أنه غريب عنها وعارفٌ وبصيرٌ ومُتحكمٌ بها وحتى في حالة عدم شُعور الجسم وعدم توجه خياله، فإنه في أيام الطفولة والشباب والشيخوخة وفي حال السرور والحزن والسُمنة والضعف والصحة والمرض ثابتٌ و واحدٌ وأن الفكر والعقل يعودان له و هذا ما نُسميه بالروح والنفس، و هو حقيقة وشخصية الإنسان اللاجسمانية و غير المحسوسة وأن القلب ومركزُ الفكر هما الرابطةُ بين الروح والجسد وأن الروح هي المُهيمنة على القلب وأن القلب هو المُسيطر على الجسد، لذا فإنه لايَصِحُ أن نسجن الروح بواسطة الأوهام في بئر سِجن الجسد دائماً بل يجب أن نُضيء بدننا بنور الروح عن طريق القلب، وأن لا نُفني حقيقتنا لأجل هذه الدُنيا بل علينا ولو بقدر قليل أن نتوجّه لأنفسنا وأن نفهم أن الآثار والأقوال والأفكار والأعمال المُلازمة لنا في أيام الحياة وحتى المَمات أنها غيرُ محسوسة وليست في هذا الجسد المحدود. إذاً و حيثُ أنها باقية في صفحةِ الروح وأنها بالموت الطبيعي والفناء الكُلي للبدن والذي يزول تدريجياً بمرور أيام الحياة لم تَزُل بل أنها لم تنتهي ولأنها مُتصلةٌ بالروح كما في النوم تماما فإنها حيةٌ بدون جسد ومن حالاتها و وقائعها ستنعكس عليه في الصحو إما بحسن

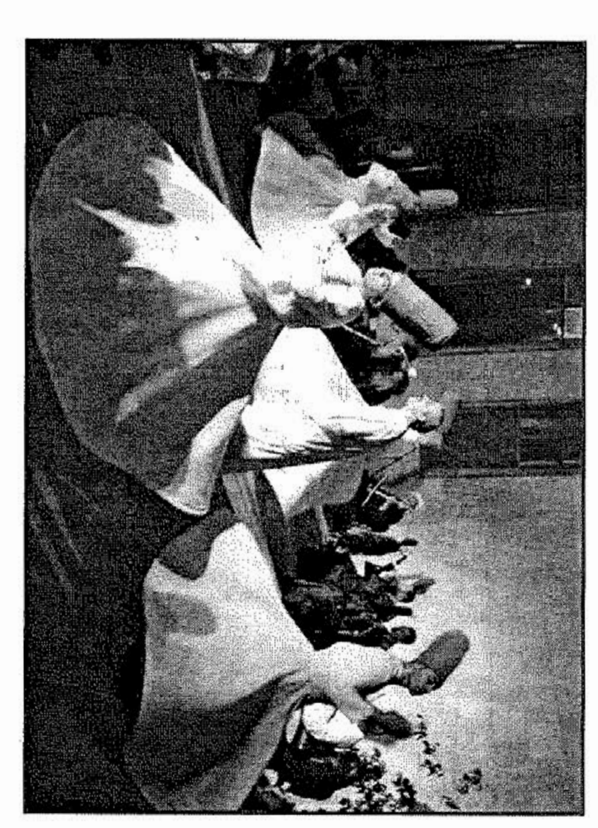
















ـ ألعاب التسليه فى مولد «الإمام الشافعى».



ـ جانب من النشاط التجارى في مولد السيد البدرى.

الملحق رقم (٥)
خطابان للدعوة إلى مولد البدوي



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين وبعد فقد صدرت هذه المكاتبة الشريفه من باب القطب النبوي السيد الشريف العلومي ابي العباس سيدنا احمد البدوى عمت بركاته علينا وعلى حضرتكم والمسلمين اجمعين

الى حضرة

محسوب السيدين حفظه الله وابقاه آمين

بعد اهدي حضرتكم ازكى التحية وقرأة الفاتحة لحضرتكم داخل ...

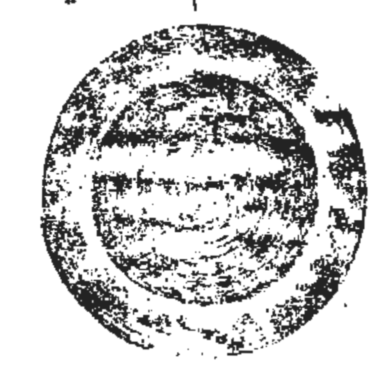
الاحمدية فمانبديه لحضرتكم العليه اطال الله لنا في حياتكم المرضيه انه قد ...

الاحمدية من مقام صاحب الرتبة العليه ان يكون ابتداء عمار المولد الاحمدى

المعتاد في كل عام يوم يمضي من شهر سنة ١٣٤ وانتهاؤه يوم

من الشهر المذكور يكون في شريف علمكم وكل عام وحضرتكم بخير

الفقير	الفقير
عبد العزيز محمد الشناوي	امين مصطفى الخليفه
خليفة المقام الاحمدي	خليفة المقام الاحمدي





بسم الله الرحمن الرحيم

من باب القطب النبوي السيد الشريف العلوي ابا العباس سيدنا احمد البدوى عمت بركاته ونوالت نفحاته

الى حضرة

وبعد اهدي مزيد تحياتي وقراءة الفاتحة في القبه الشريفه الاحمديه فيما نبديه لحضرتكم العليه اطال الله لنا في مدتكم المرضيه انه قد برزت الاشارات الاحمديه ان يكون ابتداء المولد الاحمدي الصغير هذا العلم يوم الجمعه الموافق ٢٧ رجب سنة ١٣٣٥ لغاية يوم الجمعه ٤ شعبان فعلى حسب المعتاد تحيط علم سيادتكم بذلك م

الفقير خادم الفقراء والمساكين
خليفة المقام الاحمدى
امين

الفقير
عبد العزيز محمد الخليفه
بالمقام الاحمدي



الملحق رقم (٦)
نماذج من كتب السحر والطوالع

اكحل معجون مع بول الغنم وتبخيرها في النار لهلاك من شئت من
اعوانهم ثم قال رحمه الله وانفع به الفعل والمعاني ثم به يتخواص السحر منطقة الغير
ثم ذكر رحمه الله فتح الافعال والمعاني التي يتلو في نقوا الباسم وذكر فيه
ترويح المسحور وفي الدائرة تأخذ من تحت قدم المسحور بكاني اب
وامزجه بريق وماء ورد واعمل منه كما جا مربعا فاذا ابانت القمر
في القوس ان كان طالع المسحور ناريا فاكتب له في ساعة الناري وفي الترابي
وكذلك في سائر الطوالع وتكتب في ابن بها هذا الخاتم [illegible] من طلفية
من السحر فارحا وينتفع له من اخراج العلقة لانها من معنا المسحور
بشرط ان يطلع الكاتب على كل حرف ماله من النقط في ثلاث بروات
من سوغر ان اكتب في الاولى يكهد يتبخر بها وفي الثانية زهج يعلقها
في العنق وفي الثالث واح يبخر بها ايضا وان كتبت باسمه يوم الاثنين
بعد الفجر في قرصة من تراب من تحت رجل المسحور وعلقها على [illegible]
اسبوع خروج وان كتبته في ثالث ساعة الاثنين كانا قوم وان اخذت
من التراب الذي في السجن وتعمل منه قرصا مربعا وتكتب عليه السوم
اذا كان القمر في العقرب وتكتب معه تخلص فلان بن فلانة من السجن كما
تخلصت هذه الشفعة من السحر فانه يتخلص ان شاء الله وان كتبته
في كف مسجون في ساعة عطارد خرج من عاوا حسنه يوم الاربعاء
وهو الاثنين بعد صلاة العصر فان المسجون لا يبيت فيه ولم يرج خلاصه
وان كتبته في وجه الرهبة بدم وطواط او ضفدع في كعاد الابن تجتمع
به الفعل الرهب نحو هذا ٨٧٥ سو ونقل به ايضا الغير ولكن جح
العزيمة ثم قال رحمه الله تعالى :.

اكتب

أكنه بتراب الرجال يابسة ، في كفه من الاغلال ينفض ،
قوله بتراب الرجل اراد رجل المسجون والالف عوضا من الاضافة في الرجل
وهذا البيت تعبير للذي قبله كما قررت حاله وقوله يابسة يريد الكف
اليابسة في الاسم ثم قال رحمه الله تعالى ،
وان ذريه الجمع او وبيته فسمتها ، وسقفه منها التراب وانكـد
يشير في هذا البيت الى تفريق العساكر وترحيل المحلة وترحيل البحار وتخريب
الديار وغير ذلك مما يشاكله مما عليه العراف وقوله او وهبت فسمتها
يريد قسمة الحدود كما تقدم وذلك انك اذا وقعت على جيش من العدو ورنا
قبضة من تراب وافرا عليها سيهزم الجمع ويولون الدبر بالسلامة
من عدوهم وقد يقدح وارم التراب في وجه العدو ولاسيما ان كان الريح
عليهم فانهم ينهزمون باذن الله وان كتبته مقطعا من تحت في شقف
جديد ومحي ورشربه دار من شئت فانها تخرب ولا تعمر ابدا وفي نسخة
اخرى تعمر ولا تخرب ابدا واجعله تحت الصبح وان كتبته اسم ٩٧٥ وزحل
في محفه او سقوطه او وباله في رصاص وادفنه في موضع فانه يخلا
ولا يعمر ابدا وان كتبته مقطعا كما ذكر وجعلته في موضع وان اعتزل
وان كتبته مقطعا في اخر سبت من الشهر ويكون القمر بنحسه مثل
العقرب المريخ او غيرهما من النحوس من تربيع او مقابلة او مقارنة وبد
في اي موضع شئت فانه لا يعمر ابدا واعظم تاثيره في العساد يوم
السبت في ساعة زحل معكوسا ويكون القمر ناقصا في بيته سقوط زحل
او في وباله او بيت عدوه ويكون زحل مقترنا بذنب الراس وينظر به
هو الله لقريب في بين المتحابين في الارض و ... اقوى ما يعمل الجمعة

الشجرة

ما اصل مع فروج الشجر من بجسم مرا هذا الانسان غد سعادة [illegible]

السادسة والاربعون انكون بينكما المودة والنغبة بعضكما

بعضهم تكونا ثابتا في [illegible] وسلكا تدعم هذا الشخوص السبق تدفع عن

تصيب من اموال المواريث هذا الاجل ليس يكثر النعما ولن في امر البنيا

السعادة عن هذا الدواء النافع مبارك ويكون منه البر [illegible] الى انه تلام مرحلة انثى

[illegible] يبنى هذا البنيان تكون على قيمته صالحا [illegible] والانسان ليس يكثر العلل ولكنه

وسكه فيه اضع ماله عند من [illegible] ولا [illegible] شيئا [illegible] عيشا

حسنا [illegible] تخرج من بعد الثامنة والاربعون

الا تكبر بعدوك والله تعالى اعلم لا تكون بينكما مودة ولا الفة [illegible] عملك

هذا [illegible] هذا السبق والشخوص ليس فيه نفع بل فيه ض

لا تصيب من اموال المواريث [illegible] ليس لهذا الرجل النسا بركة مما هذا الدواء

والعلاج [illegible] الى انه تلام مرحلة ذكرا لا تبني هذا البنيان ا

الى [illegible] ليس له علم ولا ادب ا لا تنفع ماله هنيئا [illegible] يذهب

منه هذا [illegible] التاسعة والاربعون

اهذا الا [illegible] مودة وبين بعضكما

بغض [illegible] هذه البلدة التي [illegible]

من الموضع الذي تريده تصيب من اموال المواريث شيئا كثيرا الا هذا الانسان ليس يكثر

الجماع وله واحدة [illegible] هذا الدواء والعلاج تكون فيه البركة [illegible] الى انه من حملها

انثى [illegible] هذا البنيان [illegible] الانسان [illegible]

ماله [illegible] المتوفية الخمسون انصيب

ثم هذا النصيب الاول من هذا الوجه ما لا كثير [illegible] هذا الانسان صحيح المولد [illegible]
[illegible] بهذا العدو وتغلبه [illegible] تكون بينكما مودة وثقة تامة [illegible] تصيب
بعد هذا العمل عملا وسلطانا في هذا البلدة التي انت فيها [illegible] لا تصيبها من اموال
المواريث شيئا كثيرا [illegible] الاجل تكون له [illegible] هذا الدواء والعلاج نافع
[illegible] تلك [illegible] ذكرنا [illegible] هذا البنيان [illegible] هذا الى اجل [illegible]
[illegible] **الحادية والخمسون** الاجل [illegible]
[illegible] عند الناس [illegible] تصيب من هذا الوجه [illegible]
[illegible] هذا الانسان [illegible] من الصحة [illegible] بهذا العدو.
ولا [illegible] بينكما مودة [illegible] لا تصيب بعد هذا العمل عملا
وسلطانا لا تلك البلدة [illegible] لا تصيبه من اموال المواريث شيئا
[illegible] هذا الدواء والعلاج [illegible]
[illegible] هذا البنيان **الثانية والخمسون** هذا الذي
[illegible] هذا الاجل [illegible] النصيب
من هذا الوجه [illegible] هذا الانسان صحيح المولد [illegible] تكون بينك
[illegible] بينكما المودة والثقة [illegible] تصيب بعد
هذا العمل [illegible] هذه البلدة التي [illegible] تصيب من
اموال المواريث شيئا كثيرا [illegible]
[illegible] **الثالثة والخمسون** [illegible]
[illegible]
[illegible] هذا الوجه [illegible] الانسان [illegible]

— ٦٤ —

أهل المعرفة ومفاتيح بواطن العلم الشريف (الاول)

٢ ـــ ـــ ١ م ـــ ١١١ ١٦١ مم٢ ١ ٥

٦ ٦ ١ ٨ ٦ ١ ممم ٦ ١ ١١١ ٩ ٥

ـــ ١ ٨ ٥ ١ ـــ ١ ٠ ١ ٠ ١ ـــ ١ ٢٢٢٢ ١ ٥

اللهم بلغ حامله جميع مراده بحق هذه الاسماء عندك وانجح له كل عمل يعمله بحق محمد وآله عليك (الثاني)

ح ك م ل و ه ه

و مكلهو م ل ل

و لا م لا ح ه و ل ل م ك

اللهم اني أسالك أن تحمد لحامله جميع الانفاس واجعله مقبولا عند جميع الناس من بنى آدم أجمعين (الثالث)

ـــ ١١١١ ١ ١ ٨ ٦ ١١١ ٦ ١ ١١١ طم ١١١ ا

و ا ى ك ك ل م ن ة ل ندره

بامر د ام صر ل س و ط ى

اللهم لين لحامله كل قلب من عبادك أجمعين بحق محمد حبيبك وخيرتك

اللوح المبارك للخوف

لبلوغ الآمال ونيل المقاصد وقضاء الحوائج وبلوغ الاماني والنصر والظفر بالاعادي وهو هذا

ـــ ١ ـــ ه ـــ ١ ٧ ١١١ ـــ ٩ ط ٢

ـــ ط ـــ ١ ١١١ ٨ ١ ك ـــ ه ـــ ١

ا ا ب و ا ك ك ١١ ك ١ ه ١١١ ١١١ ٥

وهذه افادة رجل مبارك ذكر أن له فعلا عظيما الدميغ ويدعو يارخطايل ششفار شينونال ارشيال يادرغال احجب (دعاء عمر بن الخطاب) رضي الله عنه لفيض

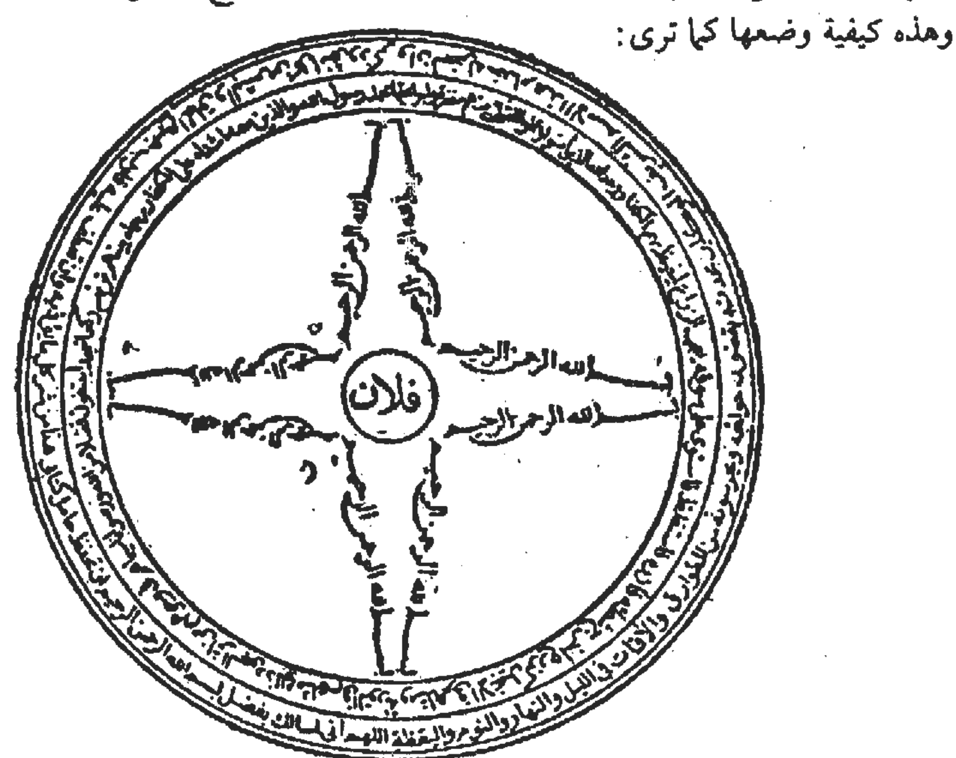
ومن خواصها لقضاء الحوائج والدخول على الحكام أن من أراد ذلك فليصم الخميس ويفطر على الزبيب أو التمر ويصلي المغرب ويقرؤها مائة مرة وإحدى وعشرين مرة، ثم يصلي ركعتين بنية قضاء الحاجة ثم يذكر البسملة بلا عدد إلى أن يغلب عليه النوم، ولا يتكلم في أثناء ذكرها بشيء إلا بصلاة العشاء فإذا أصبح يوم الجمعة فليصل الصبح ويقرؤها العدد المذكور ثم يكتبها مثله مفرقة هكذا ب س م ا ل ل هـ ا ل ر ح م ن ا ل ر ح ي م كل مرة في سطر بمسك وزعفران وماء ورد وبخرها بعود وعنبر فوالله الذي لا إله إلا هو ما حملها رجل أو امرأة إلا وصار في أعين الناس كالقمر ليلة البدر وكان عزيزاً مهاباً وجيهاً مطاعاً وكل من رآه أحبه وأكرمه وقضى حاجته.

ومن خواصها أنها إذا كتبت في رق غزال مائة وإحدى وعشرين مرة بمسك وزعفران وماء ورد وبخرها بقسط وجاوى ولبان ذكر وميعة سائلة وحملها المقتر عليه في الرزق فتح الله عليه ووسع رزقه، وإن حملها مديون أوفى الله تعالى دينه وكانت له أماناً من كل مكروه.

وإذا كتب في جام زجاج أربعين مرة ومحيت بماء زمزم أو ماء بئر عذب وشرب من ذلك الماء أي مريض كان عافاه الله تعالى: وإذا شربت منه متعسرة في الولادة وضعت في الحال.

وإذا كتبت في ورقة خمساً وثلاثين مرة وعلقت في البيت لم يدخله شيطان ولا جان وتكثر فيه البركة، وإذا علقت تلك الورقة في دكان كبير وازداد ربحه وكثرت بضاعته وأعمى الله عنه أعين الحاسدين.

وإذا كتبت ثمان مرات في وسط دائرة حول اسم الطالب وكتب حولها قوله تعالى: ﴿محمد رسول الله والذين معه﴾ إلى آخر السورة وبخرت بعود هندي فمتى حملها فإنه يصير مهاباً معظماً مكرماً عند الناس ولا يراه أحد إلا أحبه ومال إليه بطبعه وتنجح له كل المقاصد بإذن الله تعالى، وهذه كيفية وضعها كما ترى:



وإذا كتبت مائة مرة وعشرة للمرأة التي لا يعيش لها ولد وعلقت عليه فإنه يعيش.

وإذا كتبت كذلك وعلقت على العاقر بعد طهرها من الحيض فإنها تحمل.

وإذا كتبت في أول يوم من المحرم مائة وثلاثين مرة في ورقة وحملها إنسان فلا يناله مكروه لا في نفسه ولا في أهله مدة عمره.

وإذا كتبت في ورقة مائة مرة وواحدة ودفنت في الزرع خصب وحفظ من الآفات.

وإذا كتبت سبعين مرة ووضعت مع الميت في لحده أمن من هول منكر ونكير وكانت له نور إلى يوم القيامة.

وإذا نقشت في لوح رصاص ووضعت في شبكة الصياد كثر صيده.

وإذا كتبت مرة واحد في بطاقة ووضعت تحت فص خاتم ووضع ذلك الخاتم في لبن مخيض وشربه ملسوع وتقيأه فإن السم يخرج بإذن الله تعالى.

ومن خواصها لقضاء الحوائج المهمة تذكر البسملة سبعمائة وستا وثمانين مرة ثم يقول الله أكبر ثلاثاً لا حول ولا قوة إلا بالله صاحب الحول والطول السميع السريع المجيب القاهر اللهم ليس في ملكك شيء يعزب عنك ولا غالب لك ولا فار منك ولا عظيم عليك إله الآلهة ورب كل شيء وأنت على كل شيء قدير أسألك بالاسم الذي عز فعلا وجل فأخذ بالنواصي وأنزل من الصياصي واسمك الأعظم الذاتي الذي سخرت به البحر لموسى بن عمران فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم، وأسألك بالاسم الذي ألنت به الحديد لداود تنوخ تنوخ مذل كل عزيز ومطيع كل شامخ، وأسألك اللهم بما كان مكتوباً على خاتم سليمان الذي كان له آية كبرى الله الله وحيا وحيا ومهمهوب آخذ بالنواصي والقلوب والأرواح، وأسألك بكلمات عيسى الذي كان إذا تلاها يحيي بها الرفات والعظام النخرة، وأسألك بما أوحيته إلى حبيبك محمد ﷺ الفاتح الخاتم حين دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فسخرت له القلوب انفعالاً قهرياً فلا تقاعس عن طاعته إلا من حجب عن مشاهدة أنواره أن تسخر لي كذا، وناصيته حتى أتصرف فيه كما أحب منه وهو مأخوذ بجميع حواسه معي مع التلبس بصفة الرعب والرهب يا أحد يا أحد يا أحد يا الله يا الله يا الله وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى كافة رسله أجمعين وسلم تسليماً كثيراً اهـ.

ومن خواصها للكشف والاستخبار تكتبها بالصفة الآتية في كف ناظر وتجعل فوقه سلطانية صغيرة داخلها حبر وزيت وتبخر بعود هند ولبان ذكر وكزبرة وتذكر البسملة إلى أن يحضر الخادم

ويزاه الناظر فتسأله عما تريد، وهذه صفة كتابتها كما ترى:

ومن خواصها لكل أمر تريده خيراً كان أو شراً تكتب الوفق الآتي وتكتب اسم المطلوب في الخانات الخالية، ثم علقه في سبية رمان وتطلق بخور الكندر وتذكر البسملة الشريفة عليه أربعة عشر ألفاً وتسعمائة وأربعاً وثلاثين مرة وتوكل الخدام بقضاء حاجتك على رؤس العقود فإنك ترى عجباً وهذه صفة الوفق كما ترى.

. . . .

ب س م ا ل ل هـ

. . . .

ا ل ر ح م ن

. . . .

ا ل ر ح ي م

يستخلفنكم

ومن خواصها لكل أمر أيضاً تقرؤها سبعمائة وستا وثمانين مرة ثم تقول: اللهم إني أسألك بعظمة بسم الله الرحمن الرحيم، وأسألك بجلال بسم الله الرحمن الرحيم، وأسألك بجمال بسم الله الرحمن الرحيم، وأسألك بكمال بسم الله الرحمن الرحيم، وأسألك بسناء بسم الله الرحمن الرحيم، وأسألك ببهاء بسم الله الرحمن الرحيم، وأسألك بثناء بسم الله الرحمن الرحيم، وأسألك بآلاء بسم الله الرحمن الرحيم، وأسألك بضياء بسم الله الرحمن الرحيم، وأسألك بنور بسم الله الرحمن الرحيم، وأسألك بفضائل بسم الله الرحمن الرحيم، وأسألك بتصريف بسم الله الرحمن الرحيم، وأسألك بخصائص بسم الله الرحمن الرحيم، وأسألك بمقام بسم الله الرحمن الرحيم، وأسألك بلطائف بسم الله الرحمن الرحيم، وأسألك بأسرار بسم الله الرحمن الرحيم، وأسألك بهيبة بسم الله الرحمن الرحيم، وأسألك برقائق بسم الله الرحمن الرحيم، وأسألك بدقائق بسم الله الرحمن الرحيم، وأسألك بملوك بسم الله الرحمن الرحيم، وأسألك بحروف بسم الله الرحمن الرحيم، وأسألك بابتداء بسم الله الرحمن الرحيم، وأسألك بانتهاء بسم الله الرحمن الرحيم، وأسألك بإمداد بسم الله الرحمن الرحيم، وأسألك بإحاطة بسم الله الرحمن الرحيم، أن تدخلني في كنفها وتمدني من مددها وترزقني بحقها، إلهي ألق إلي مفتاح الإذن الذي هو كاف المعارف حتى أنطق في كل بداية باسمك البديع الباقي البار البارىء الباعث الباسط الباطن الذي افتتحت به كل رقيم مسطور وأنت بلا هو، فأنت بديع كل شيء وبارئه لك الحمد يا بار على كل بداية ولك الشكر يا باقي على كل نهاية أنت الباعث لكل خير باطن البواطن بالغ آيات الأمور كلها باسط أرزاق العالمين بارك اللهم علي في الآخرين كما باركت على سيدنا إبراهيم إنه منك وإليك وإنه بسم الله الرحمن الرحيم، إلهي أسألك ببسم الله الرحمن الرحيم وبجاه سيدنا محمد ﷺ أن تفعل لي كذا وكذا إنك على كل شيء قدير اهـ.

بسم	الله	الرحمن	الرحيم	
الرحيم		بسم	الله	الرحمن
الله	الرحمن	الرحيم		بسم
	بسم	الله	الرحمن	الرحيم
الرحمن	الرحيم		بسم	الله

ومن خواصها لجميع الأمور أيضاً تقرأ سورة الزلزلة ثلاثاً وألم نشرح إحدى عشرة مرة والفيل إحدى عشرة وتقول اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم

إحدى عشرة وتذكر البسملة سبعمائة وستا وثمانين مرة وتواظب على ذلك سبع ليال وأنت تبخر بذي رائحة طيبة ولابس ثياباً بيضاء مستقبل القبلة فإنك تنال غرضك:

ومن خواصها لعطف القلوب وبلوغ المطلوب تكتب هذا الوفق كما ترى:

الله	الله	الله	الله	الله	الله	الله
الرحمن	الرحمن	الرحمن	الرحمن	الرحمن	الرحمن	الرحمن
الرحيم	الرحيم	الرحيم	الرحيم	الرحيم	الرحيم	الرحيم

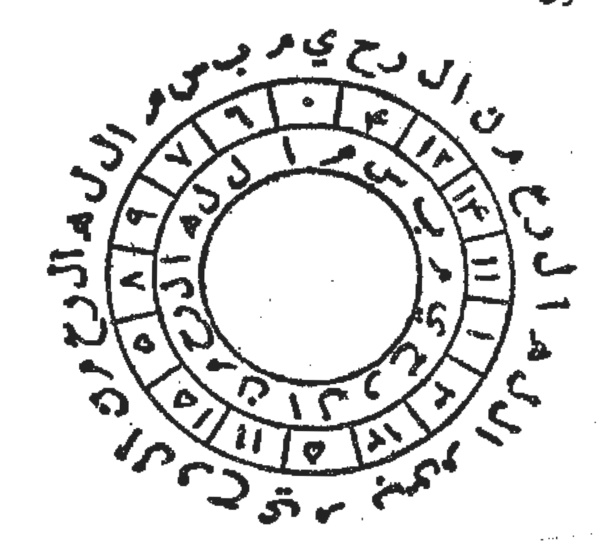
وتكتب حوله لين اللهم قلب كذا وكذا على كذا وكذا واجعل عنده الرأفة والرحمة والحنان والعطف والقبول: ﴿فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم﴾﴿وإذقال إبراهيم ربي أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعياً﴾كذلك يأتي فلان الفلاني خاضعاً ذليلاً إلى كذا وكذا: ﴿فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد﴾وتكون الكتابة بزعفران ورصاص وفلفل، ثم تذكر عليها البسملة سبعمائة وستا وثمانين مرة والدعاء المذكور مرة، ثم تدور بهذا المكتوب سبع مرات على رأس المطلوب كيفما تيسر لك ولو كان بعيداً عنك إذ يكفيك رؤيته ببصرك وتكبر مع كل دورة وتكون الكتابة وقت اتصال القمر بالزهرة اتصالاً سعيداً، فمتى فعلت ذلك رأيت العجب.

ومن خواصها لتفريج الكروب تقول من غير عدد يا عظيم أنت العظيم قد أهمني كرب أليم وكل كرب أهمني يهون باسمك العظيم بفضل بسم الله الرحمن الرحيم اهـ .

ومن خواصها لإرسال الهاتف تأخذ ورقة وتكتب فيها الخاتم الآتي وحوله توكلوا يا خدام هذا الاسم المبارك بحقه عليكم وطاعته لديكم، واذهبوا إلى فلان الفلاني في هيئتي ومثالي وخوفوه وارعبوه وامروه بقضاء حاجتي وهي كذا وكذا وتكون الكتابة بزعفران وماء ورد ثم تجعل الورقة في قصبة غاب فارسي وتسد فمها بشمع وتبخر بجاوي وتذكر البسملة سبعمائة وستا وثمانين مرة، ثم توكل وتصرف بالزلزلة وآخر سورة الجمعة، وعلامة الإجابة دوران القصبة فمتى دارت فاقطع التلاوة وإلا فأعد عدداً ثانياً أو ثالثاً، فإن الغرض يتم لك لا محالة وهذه صفة الخاتم كما ترى:

ب	س	م	ا	ل	ل	ها	ا	ل	ر	ح	م	ن	ا	ل	ر	ح	ي	م
س	م	ا	ل	ل	هـ	ل	ل	ر	ح	م	ن	ا	ل	ر	ح	ي	م	ب
م	ا	ل	ل	هـ	ا	ر	ر	ح	م	ن	ا	ل	ر	ح	ي	م	ب	س
ا	ل	ل	هـ	ا	ل	ح	ح	م	ن	ا	ل	ر	ح	ي	م	ب	س	م
ل	ل	هـ	ا	ل	ر	م	م	ن	ا	ل	ر	ح	ي	م	ب	س	م	ا
ل	هـ	ا	ل	ر	ح	ن	ن	ا	ل	ر	ح	ي	م	ب	س	م	ا	ل
هـ	ا	ل	ر	ح	م	ا	ا	ل	ر	ح	ي	م	ب	س	م	ا	ل	ل
ا	ل	د	ح	م	ر	ل	ر	ر	ح	ي	م	ب	س	م	ا	ل	ل	هـ
ل	ر	ح	م	ر	ا	ر	ر	ح	ي	م	ب	س	م	ا	ل	ل	هـ	ا
ر	ح	م	ن	ا	ل	ح	ح	ي	م	ب	س	م	ا	ل	ل	هـ	ا	ل
ح	م	ن	ا	ل	ر	ي	ي	م	ب	س	م	ا	ل	ل	هـ	ا	ل	ر
م	ن	ا	ل	ر	ح	م	م	ب	س	م	ا	ل	ل	هـ	ا	ل	ر	ح
ل	ا	ل	ر	ح	ي	ب	ب	س	م	ا	ل	ل	هـ	ا	ل	ر	ح	م
ا	ل	د	ح	ي	م	س	س	م	ا	ل	ل	هـ	ا	ل	ر	ح	م	ن
ل	ر	ج	ي	م	ب	م	م	ا	ل	ل	هـ	ا	ل	ر	ح	م	ن	ا
ر	ح	ي	م	ب	س	ا	ا	ل	ل	هـ	ا	ل	ر	ح	م	ن	ا	ل
ح	ي	م	ب	س	م	ل	ل	ل	هـ	ا	ل	ر	ح	م	ن	ا	ل	ر
ي	م	ب	س	م	ا	ل	ل	هـ	ا	ل	ر	ح	م	ن	ا	ل	ر	ح
م	ب	س	م	ا	ل		هـ	ا	ل	ر	ح	م	ن	ا	ل	ر	ح	ي

ومن خواصها للمحبة والتهييج تأخذ خرقة بيضاء من أثر المطلوب وتوقدها في إناء أخضر جديد بزيت طيب بعد أن ترسم عليها الدائرة الآتية وتقرأ عليها القسم الآتي خمس مرات وأنت تبخر بجاوى ومصطكي ولبان ذكر فما تتم عملك إلا والمطلوب حاضر، وهذه صفة الدائرة كما ترى:



وهذه صفة القسم تقول: بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله الأزلي القديم الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد الذي رفع السماء بلا عمد ترونها ثم استوى على العرش وبسط الأرضين وجعل فيها رواسي شامخات وأجرى الأنهار وسخر الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب وأجرى الماء في العيون لا إله إلا هو سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً الذي قدر الأوقات والآجال وجعل لكل أمة أجلاً

معلوماً فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون أقسمت عليكم يا خدام هذه الآية الشريفة أن تكونوا معاونين لي بجلب كذا إلى كذا وإلقاء محبة كذا في قلب كذا منقادين وبحضوره مسرعين بحق الذي قال للسموات والأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون وإنه لقسم لو تعلمون عظيم الوحا ٢ العجل ٢ الساعة ٢ ا هـ.

ومن خواصها لإزالة الحمى تكتب هكذا: بسم الله الرحمن الرحيم الحمى من الحميم أصلها من الجحيم شفاؤها بسم الله الرحمن الرحيم في ورقة وتلوث بزيت حار ويوضع فيها عنكبوت وكزبرة ويبخر بها المحموم فإن الحمى تزول عنه بإذن الله تعالى.

ومن خواصها للحفظ من كل آفة وعاهة وسحر وجن وإنس وغير ذلك تكتب الدائرة الآتية بشرط أن لا يراك أحد من الناس وأن تكون الكتابة ليلاً وأن تكون على طهارة تامة ثوباً ومكاناً وبدناً ثم بخرها بذي رائحة طيبة وتذكر البسملة عليها اثني عشر ألفاً فمن حملها كان محفوظاً من الآفات والعاهات ولا يصبه سحر ساحر ولا غدر غادر ولا شيء من الهوام والوحوش ولا يناله مكروه في بدنه ولا في ماله ولا في بيته ولا في أهله ويرزق القبول والسعادة في دينه ودنياه ببركتها، وهذه صفتها كما ترى:



واعلم أن البسملة الشريفة مركبة من أربع كلمات: بسم ولفظ الجلالة والرحمن والرحيم فالكلمة الأولى عبارة عن الاسم المضمر الذي يدل على أن ما بعده الاسم الأعظم وهو الله لأن الاسم الأعظم هو الجلالة وهو قطب الأسماء وإليه ترجع وهو في الأسماء كالعلم لأنك إذا سئلت من الرحمن فتقول الله وكذا سائر الأسماء تضاف إليه والرحمن والرحيم صفتان لهذا الاسم الشريف ولكل من الأسماء الثلاثة خواص وأسرار لا يحصيها إلا الله تعالى، ونتلوا عليك شيئاً من خواصها رجاء أن تتصل إلى سر من أسرارها فتدعو لي، فأقول: أما الاسم الأول وهو الله، فمن خواصه زيادة اليقين وتيسير المقاصد المحمودة في الذات والصفات والأفعال فمن دوام عليه كل يوم ألف مرة بصيغة يا الله يا من هو الذي لا إله إلا هو رزقه الله تعالى كمال اليقين.

ومن قال يا الله ألف مرة في يوم الجمعة قبل صلاتها تيسر له مطلوبه.

ومن أكثر من ذكره على مريض قد أعجز الأطباء علاجه برىء ما لم يحضر أجله.

ومن الذخائر المهمة لإيجاد التأثير الإنساني في الروحانيات تقول ثلاث مرات بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم يا الله يا رحمن يا رحيم أسألك أن تصلي وتسلم على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وأن تفيض على مشاهدة سر شريف لطيف نور جلال جمال كمال إقبال لاهوتيتك وتصب على أنابيب ميازيب سحائب واهب رحمة رحموتيتك يا أرحم الراحمين إنك على كل شيء قدير وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم، ثم تقول مائة مرة: اللهم صل على نبي خلق من النور وهو نور، ثم تذكر اسم الذات أربعة آلاف وثلاثمائة وستا وخمسين مرة، ثم تذكر هذا التوجه ثلاث مرات، وهو: اللهم يا من لوجوده العلا باعتبار العام والخاص وحقيقته الوجودية وسره القابل فما كان في الأكوان جوهر فرد من آحاد جواهر آحاد العالم العلوي والسفلي إلا ومقاليد أحكامه تتعلق باسم من أسمائك فاجتماعها برقائقها بيد اسمك الذي استأثرت به جميع خلقك فلا يظهر لهم إلا ما ناسب الأفعال فأسماؤك إلهي لا تحصى ومعلوماتك لا نهاية لها أسألك غمسة في بحر هذا النور حتى أعود إلى الكمال الأول فأتصرف في الملكوت باسمك الكامل تصرفاً ينفي النقص بالوقوف على عبودية النقص إنك أنت المعز المذل اللطيف الخبير العدل، وصل اللهم على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم اهـ.

ومن خواصه أيضاً لإحياء الروح الباطنية من واظب على ذكر الاسم الشريف ستا وستين مرة وذكر بعده التوجه الآتي ست عشرة مرة في كل ليلة حتى له أن يتصرف بكل ما يرومه من مطالب هذا العلم الجليل، وهذه صفة التوجه تقول: إلهي ما أسرع التكوين بكلماتك وأقرب الانفعالات بأمرك أسألك بما أظهرت في العرش من نور اسمك العلي العظيم الرفيع المجيد المحيط فانتشأت ملائكته انتشاء مناسباً لتلك الحضرة، فكل منهم روح وكل نفس من أنفاسهم روح وكل ذكر من أذكارهم روح وكل منهم أذهلته عظمة تجليك في أسمائك فانفعلت ذواتهم بتلك الأذكار فهم ذاكرون من الذهول وذاهلون من الذكر فذكرهم من حيث الاسم أنت أنت ومن حيث الذهول هو هو ومن حيث العظمة آه آه ومن حيث التجلي ها ها ومن حيث الستر هي هي ومن حيث التسبيح سبحانك سبحانك ما أعظم سلطانك وأعز شأنك أحاط علمك وسبق تقديرك ونفذت إرادتك وجهني وجهة مرضية من تصريف قدرتك في كل فعل بعزم أو فكر ظاهر أو باطن فإن حضرتك لا تقبل الغير حتى تصدر لي أفعال الأكوان ومن فيهن أتصرف فيها بما أريد فإنك فعال لما تريد وأنت ألطف اللطفاء وأرحم الرحماء وعلى كل شيء قدير وبالإجابة جدير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم اهـ.

ومن خواصه لاستخضاع جميع الأرواح تذكر الاسم الشريف هكذا الله ألف مرة ثم تذكر بعده الدعوة اللاهوتية مرة وتواظب على ذلك في كل ليلة فإنك ترى ما يسرك من طاعة الأرواح وقيامهم بخدمتك في كل ما تريد، وهذه صفة الدعوة اللاهوتية تقول: بسم الله الرحمن الرحيم ظهرت القدرة المؤيدة بثناء المبرور وارتعاد النور العلي الرفيع المحيط الذي لا يطيق إليه نظر الكروبيين من النور الذي تحترق من هيبته جميع الروحانية العظيم الذي سبحت له جميع الملائكة الصافين والمسبحين العليم الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور الفرد الذي أنزل في كتابه

العزيز: ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون﴾ اللهم إني أسألك بالنظرة التي نظرت بها إلى جبل طور سيناء فأنهد خوفاً وتفرق واستفرق وصاح وجرى كما يجري الماء خيفة منك وتعظيماً لعظمة عظمتك يا هو أنت الله يا من لا يعلم ما هو إلا هو أنت هو الله لا إله إلا هو الحي القيوم الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة أنت الله الذي أشرق وأبرق ولمع ضياء بهائك وجمالك ونور ذاتك على طور سيناء فاخترق ألف ألف وثلاثمائة وستين حجاباً فاخترقت الحجب واهتز العرش وناديت بلسان القدرة أنا الله لا عظيم غيري أنا الله أنا الله أنا الله أنا الله ياه ياه ياه أنا الله أهيا شراهيا أدوناي أصباؤت آل شداي أنا الله الأحد أنا الله الصمد أنا الله مهدو شاليم قال العزة ردائي والعظمة دثاري شيالم فيقال أزازي ومن يخالفني أحرقته بناري وأنا عليه جبار يوم القيامة أنا الله، نفسي شهدت وأشهدت على نفسي قضيت أربعة عشر أرضاً وسماء كيف تخالفون أمري أم كيف تنكروني ولا إله غيري.

اهبطوا أيتها الأرواح أينما كنتم في ملكوت الله تعالى علوياً وسفلياً ترابياً ونارياً مائياً ورياحياً سحابياً وغماسيابريا ويحرياً أجيبوا بحق ما أقسمت به عليكم من قبل أن تنزل عليكم ملائكة الحجب المطيعة لقسمي هذا فيهتكون الأسرار ويخربون الديار وينشر كل النور نشراً وعجلوا من قبل أن يغضب الله عليكم فيسلط عليكم الزعازع والقواذف والرعود القواصف والبروق الخواطف والزلازل والرواجف والرياح العواصف والغيم المتكاثف والعذاب الواصب المترادف والشواظ الحارق ولاخلاص لكم ولا مفر لكم من قيودي فإني أقسمت عليكم بالحروف النورانية والأقسام السريانية والأسماء العبرانية.

بِشَهْتُوفٍ بِشَهْتُوفٍ يا مَذْيَتاشٍ تَلْوَتِيَةٍ بَنُوكَوش مِشْدَش اشْوِهِ دنَاهُوهِ مجْيَهٍ قَلْيُونُوشٍ وَخَهٍ وَخَهٍ يَعْيُوشٍ بَرْمُوصٍ يَا بَهْلَنُودٍ تَشَوَتٍ تَشْتُوتٍ يَا عَمْلُونٍ طَلْطَوْنُورَش مَهْفَرْكُوشٍ مَرْتَوِيلٍ وَعَزْبَرَش شَهَهٍ شَهْرَنُوهٍ بَهَةٍ فَتُور تُوخٍ يَالُوخٍ افَهٍ افَهٍ كَلْيَفَهٍ غَوهٍ آهٍ آهٍ شاهٍ اشاءٍ الْوَلاءٍ لَوْلاءٍ يَالُوهٍ مَقْنَدٍ نَوْسَلٍ سَهْيَلا بَوْلان أَرُوكَهٍ ارْفَكَهٍ مَرْدَوَهٍ اشْوَهٍ عَزٍّ وَجَلَّ وَسَلَّ وَعَزَّ وَهَلَّ بَهْلَنٍ مَهْلَوٍ تَوْهٍ دَيْدَهٍ اشْيَهٍ اخْوَصٍ يا مَصْطَلُوتٍ سالٍ ذَكٍ دَاكٍ أَوْكَهٍ رُوسَيْتُوصٍ عَمْليلٍ جَمْيَليلٍ مَلوكُوهٍ دَمْلُوكُوسٍ اسَهٍ يَا هَدَهٍ يَا هَرَهٍ يَا خَلُوشٍ.

أجيبوا يا أهل الحجب السبعة سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار ليجزي الله كل نفس ما كسبت إن الله سريع الحساب اهـ.

ومن خواصه لقضاء كل أمر تريده خيراً أو شراً تذكر اسم الذات ألف مرة، ثم تقول: فسبحانك يا قدوس عجباً لمن يعرفك ويعصاك لو هيم أشمخ شماخ العالي على كل براخ المحتجب عن خلقه في علو شموخيته صاحب القوة والقدرة آه آه آه فبحقه عليكم يا خدام الاسم الأعظم أن تجيبوا دعوتي وتنفذوا عملي بحق ما أقسمت به عليكم، وإنه لقسم لو تعلمون عظيم، تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا الوحا ٢ العجل ٢ الساعة ٢ مائة وإحدى عشرة مرة فترى العجب.

وإذا ذكرت الاسم الشريف الف مرة ثم قلت:

اللَّهُمَّ يا كَحَحٍ كَهْكَحَحٍ كَلْهيجٍ مَكْهَيجٍ يَشْعَطاطٍ قَلْبَحَدٍ مَهْلَياءٍ سَلْمَهَى زَرُورَهٍ يَاهُوَ هُوَ كَبًّا سَعِيدٍ سِرِّ طَعَةُ طَهُطَيَالَ مَهْطَيُولَهٍ وهو اسمكَ العظيم الأعظم الذي إذا دعيت به أجبت وإذا سئلت به أعطيت أسألك أن تصلي وتسلم على سيدنا محمد صلاة وتسليماً يليقان بجنابه العظيم وقدره الفخيم وأن تقضي لي كذا وكذا مائة وإحدى عشرة مرة رأيت ما يسرك من نجاح الأمور اهـ .

ومنها بكل أمر تريده جلباً وطرداً تذكر الاسم الشريف ستا وستين في ست وستين وعلى رأس كل ست وستين تقول: اللهم إني أسألك بعظمة الألوهية وبأسرار الربوبية وبعزة السرمدية وبحق ذاتك العلية المنزهة عن الكيفية والشبهية وبحق ملائكتك أهل الصفات الجوهرية وبعرشك الذي تغشاه الأنوار بما فيه من الأسرار إلا ما قضيت حاجتي من كذا وكذا أو منك، الله الله الله القدوس القدوس القدوس أرفع عني حجب الظلمات وأرني بنورك ما أظهرته لعبادك أهل القلوب الطاهرات يا من كسا قلوب العارفين بنور الألوهية فلن تستطيع الملائكة رفع رؤوسهم من سطوة الجبروتية يا من قال في محكم كتابه العزيز وكلماته الأزلية الله نور السموات والأرض ـ إلى قوله ـ والله بكل شيء عليم اهـ .

ومنها لقضاء كل مهمة تذكر الاسم الشريف ألف مرة ثم الدعوة الآتية مرة ثم تذكر الله ألف مرة ثانية والدعوة مرة ثم تذكر الله ألف مرة ثالثة والدعوة مرة وتقصد أي أمر فإنه يقضى بإذن الله تعالى، وهذه صفة الدعوة تقول: اللهم إني أسألك بالألف القائم المستقيم الذي ليس قبله سابق ولا لاحق وباللامين اللذين علمت بهما الأسرار وأممت بهما الأنوار وجعلتهما بين العقل والروح وأخذت عليهما العهد الواثق، وبالهاء المحيطة بالعلوم والجوامد المتحركة والصوامت والنواطق، وأسألك باسمك العظيم الأعظم الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر النور الهادي البديع القادر القاهر الذي تشعشع نوره فارتفع وقهر فصدع ونظر للجبل فتقطع وخر موسى صعقاً من الفزع الأكبر أنت الله الأزلي لا يحول والأول الذي تذهل من هوله العقول فهم من قربه ذهول أيتنوخ ٢ أملوخ ٢ مهياش ٢ الذي له ملك السموات والأرض، اللهم إن سري وجهري وسمعي وبصري وظاهري وباطني وشعري وبشري تشهد لك بالوحدانية اجعلني اللهم أشاهد الذات النورانية يا الله (عدد ١٨) يا من يغاث به إذا عدم الغيث ويا من ينصر به إذا عدم النصير ويا من يحتجب به إذا غلقت أبواب الملوك المرتجية وحجبت القلوب الغافلة طهفيوش ٢ واغوثاه ٢ العجل ٢ أجب دعوتي واقض حاجتي وسخر لي خادم هذا الاسم الشريف السيد كهيال يكون عوناً لي في قضاء حاجتي الوحا العجل الساعة اهـ .

وقال بعض الصالحين: اسم الله الأعظم الذي لا يوفق لاستعماله إلا من سبقت له العناية هو الله وله من الحروف ج ب ا و وللجيم جينج اسم هوائي وللباء بكمد اسم ترابي وللألف أهلل اسم ناري وللواو وكيل اسم مائي. وكيفية الذكر بهذه الأسماء أن تتلو في الثلث الأخير من الليل هذه الأسماء الأربعة ستة آلاف وستمائة وستا وستين مرة ثم تصلي ركعتين وبعد السلام تقرأ: ﴿الله نور السموات والأرض﴾ الآية سبعين مرة وتقول أستغفر الله العظيم سبعين مرة وتذكر البسملة

سبعمائة وستا وثمانين مرة ثم تقول: اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وسلم مائة واثنتين وثلاثين مرة وتقول الله الجليل القديم الأزلي أربعمائة وثمانيا وثمانين مرة ثم بعد صلاة الصبح تستغفر الله سبعين مرة وتذكر البسملة سبعين مرة وتصلي على النبي ﷺ مائة مرة ثم تقول: اللهم اهلل بكمد جنيج وكيل الله يا مور شطيشا يا طهوج يا ميططروش أجب يا زهزيائيل وأنت يا أهدكيل بحق الهاء الدائرة، اللهم يا من هو احون قاف آدم حم هاء أمين سبعين مرة وتكتب هذا الخاتم وقت شروق الشمس، وهذه صفته: وتحمله معك ثم إذا عرض لك أمر وأردت قضاءه فاكتب الخاتم وأدخل مقصودك في الخانة الخالية منه

يا جنيج يا قيطموش

١ 888	٨ ٦عـعـعـ	٣ ١٦٦٦٨
٥ ٨٢٧٧		٧ ٣٨٩١
٦ ٣٣٣٦	عـ ٢٢٢٥	٢ ١١١٥٠

يابكمد يا قطموش

ثم قل عليه يا جنيج يا بكمديا اهلل يا وكيل ٦٦٦٦ مرة فإنك تجاب في أسرع وقت اهـ .

وقال أستاذ الحكماء وقطب الأولياء السيد أحمد الشريف، إذا أردت نفاذ الأمور فاذكر اسم الذات بدون ياء النداء ألف مرة وعلى رأس كل مائة اذكر هذا الدعاء وهو أن تقول:

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم إني أسألك بعظيم قديم كريم مكنون مخزون أسمائك وبأنواع أجناس رقوم نقوش أنوارك، وبعزيز إعزاز عز عزتك، وبحول طول جول شديد قوتك، وبقدرة مقدار اقتدار قدرتك، وبتأييد تحميد تمجيد عظمتك، وبسمو نمو علو رفعتك، وبقيوم ديوم دوام أبديتك، وبرضوان غفران آل مغفرتك، وبرفيع بديع منيع سلطانك وبصلات سعات بساط رحمتك، وبلوامع بوارق صواعق عجيج وهيج بهيج رهيج نور ذاتك وببهر جهر قهر ميمون ارتباط وحدانيتك، وبهدير تيار أمواج بحرك المحيط بملكوتك، وباتساع انفساح ميادين برازيخ كرسيك، وبهيكليات علويات روحانيات أملاك عرشك، وبالأملاك الروحانيين المدبرين لكواكب أفلاكك، وبحنين أنين تسكين المريدين لقربك وبحرقات زفرات خضعات الخائفين من سطوتك، وبآمال نوال أقوال المجتهدين في مرضاتك وبتحمد تمجد تهجد تجلد العابدين على طاعتك يا أول يا آخر يا ظاهر يا باطن يا قديم يا مغيث اطمس بطلسم بسم الله الرحمن الرحيم سر سويداء قلوب أعدائنا وأعدائك، ودق أعناق رؤس الظلمة بسيوف نمشات قهر سطوتك، واحجبنا بحجبك الكثيفة عن لحظات لمحات أبصارهم الضعيفة بحولك وقوتك، وصب علينا من أنابيب ميازيب التوفيق في روضات السعادة آناء الليل وأطراف النهار، واغمسنا في أحواض سواقي مساقي بر برك ورحمتك، وقيدنا بقيود السلامة عن الوقوع في معصيتك يا أول يا آخر يا ظاهر يا باطن يا قديم يا مغيث، اللهم ذهلت العقول وانحصرت الأفهام وحارت الأوهام وبعدت الخواطر وقصرت الظنون عن إدراك كنه كيفية ما ظهر من بدائع عجائب أنواع قدرتك دون البلوغ إلى تلألأ لمعات بروق شروق سر أسمائك اللهم محرك الحركات ومبدىء نهايات الغايات ومشقق صم الصلاديد الصخور الراسيات المنبع منها ماء معيناً للمخلوقات، المحيي به سائر الحيوانات والنباتات، والعالم بما اختلج في صدورهم نطق إشارات خفيات لغات النمل السارحات، ومن

سبحت وقدست وعظمت ومجدت بجلال كمال إفضال عز ملائكة السبع سموات، اجعلنا اللهم يا مولانا في هذه الساعة المباركة ممن دعاك فأجبته وسألك فأعطيته وتضرع إليك فرحمته وإلى دارك دار السلامة أدنيته وقربته جد علينا بفضلك يا جواد عاملنا بما أنت أهله ولا تعاملنا بما نحن أهله إنك أنت أهل التقوى وأهل المغفرة يا أرحم الراحمين ارحمنا اهـ .

ومن صلى ركعتين لله تعالى وقرأ في أولاهما الفاتحة وآية الكرسي والثانية الفاتحة والاخلاص ثم ذكر الاسم الشريف مائة وإحدى عشرة مرة وسأل الله تعالى الرياسة والهيبة والعظمة بين الناس ونفاذ القول وطاعة الخلق له نال ما طلب؛ وأجود ما يكون ذلك إذا كان العمل والقمر في الشرطين اهـ .

ومن ذكر اسم الذات خمسة آلاف مرة ثم قال يا حي يا قيوم ألفاً رأى العجب من زيادة الأرزاق وتيسير الأمور.

ومن رسم الخاتم الآتي والقمر في الشرطين وتلا عليه الأسم بياء النداء ستاً وستين مرة أجيبت دعوته ونال مقصوده، وهذه صفة الخاتم كما ترى:

١١	الله	عـ٣
٦٥	الاه	عـ١
٥ عـ	٨	٦٣

وإذا أردت عطف قلب إنسان على آخر بالمحبة والمودة فاكتب الوفق الآتي بماء السدب بقلم حجنة وعلقه في سبية من رمان أو جريد واذكر اسم الذات أربعة آلاف وثلاثمائة وستا وخمسين مرة في مكان خال على طهارة تامة وأنت تبخر بحبهان وتوكل الخادم فإنك ترى ما يسرك وهذه صفة الوفق كما ترى:

١	٦٢	٣
8	توكل يا كهيال ويا هياكل ويا هلال بكذا وكذا بسر هذا الاسم	٦١
٦٣	عـ	٢

وإذا أردت قضاء أمر في أسرع وقت فاذكر لفظ الجلالة بياء النداء ستاً وستين مرة ثم قل بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم يا أرحم الراحمين ٣ يا رحمن يا رحيم ٣ يا خير المسئولين يا مجيب دعوة المضطرين يا إله العالمين بك أنزلت حاجتي وأنت أعلم بها فاقضها. ثم قل عشر مرات: اللهم أنت لها ولكل حاجة فاقضها بفضل بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها﴾ فإنك ترى عجباً.

وذكر الشيخ شمس الدين الأصفهاني في تصريف اسم الذات بالمثلث طريقتين لطيفتين: إحداهما للتصرف في الخير والثانية للتصرف في الشر فقال: فالتي للخير تعمر فيها المثلث بأعداد الجلالة بأن تطرح عدده ١٢ ـ ١٢ وتأخذ عدد الطروح، وهو خمسة تنزل به في المفتاح على طريقة

بحداز وجط وتمشي بزيادة المفتاح إلى بيت الواو فتجبره بستة باقي الطرح وهذه صفته موفقاً كما ترى:

8	٦عـ	١8
٢8		١عـ
٣٦	٢٥	١٥

وطريق التصرف به أن تكتبه في تراب أو رمل طاهر بيدك وتصلي ركعتين تقرأ في الأولى بعد الفاتحة ألم نشرح وفي الثانية بعدها صورة النصر وبعد السلام تقول يا الله ألفاً ومائة وستا وستين مرة وتنوي قصدك من الخير فإنه يحصل.

والطريقة التي للشر هي أن تعمر مثلثا على طريقة بدوح أجزط بأن تسقط من عدد الجلالة ستة وتأخذ ربع الباقي وهو خمسة عشر وتنزله في بيت الباء ثم تزيد واحداً وتعمر به بيت الدال ثم واحداً آخر وتعمر به بيت الواو ثم واحداً آخر وتعمر بيت الحاء ثم تأخذ ما في بيتي الباء والدال وتطرحه من عدد اسم الاسم وتضع الباقي في بيت الطاء وما في بيتي الباء والواو وتطرحه كذلك وتضع الباقي في بيت الزاي وتأخذ ما في بيتي الدال والحاء وتطرحه كذلك وتجعل الباقي في بيت الجيم وتأخذ ما في بيتي الواو والحاء وتطرحه كذلك أيضاً وتجعل الباقي في بيت الألف وبه يتم تعميره فتكون صورته هكذا:

١8	٣8	١٦
عـ٣		٣٢
١٧	٣١	١٨

وطريق التصرف به كالطريقة الأولى غير أنك تقرأ في الصلاة بدل ألم نشرح والنصر سورتي الزلزلة وتبت يدا أبي لهب. وتنزل في الخانة الوسطى في الطريقتين باسم حاجتك عدداً أو حروفاً، فاعرف قدر ما وصل إليك اهـ.

وذكر الإمام الخوارزمي طريقة جليلة في التصرف بهذا الأسم الشريف وهي أن من كتب هذا الوفق:

١٩	٢٦	٢١
عـ٢	٢٢	٢٥
٢٣	١٨	٢8

نقشاً على فص خاتم من الذهب وكتب بظهره اسم خادمه السيد كهيال وواظب على تلاوة الاسم دبر كل صلاة مكتوبة ستاً وستين مرة والذكر الأتي مرة جاءه الملك كهيال وألبسه التاج على رأسه وصار مهاباً معظماً موقراً متمكناً من التصريف في كل ما يرومه من خير أو شر حتى لو نظر لظالم نظر غضب هلك في الحال، وهذه صفة الذكر تقول: بسم الله الرحمن الرحيم اللهم إني أسألك بحق اسمك يا الله يا حي يا قيوم أن تحييني حياة طيبة أعيش بها على شاطىء بحر محبتك وأن تلبسني مهابة عند العوالم العلوية وأن تفتح عين قلبي وبصري بنورك حتى ينفتح قلبي لتلقي الأسرار وينطق لساني بمكنون جواهر العلوم وأن تفيض علي من بحر فيضك الأقدس حتى أصل إلى ساحة اللطف وخذني أخذة لطيفة أجد حلاوتها أيام لقائك يا لطيف ٣ اللهم إني أسألك بتفرغ نسيم نسمات نفحات أسرارك كشف سر اسمك الذي ألقيته لتلقي عطش أكباد واردي حوض برك وقاصدي سبوح سرك يا من له الاسم الأعظم وهو أعظم يا من ليس له حد يعلم وهو أعلم يا قديم أسألك بسر اسمك وبما جرى به قلمك وبما ألهمت به عيسى ابن مريم وبما ناجيت به موسى على جبل طور سيناء وبحق ما أنزلته على نبيك محمد ﷺ أن تعجل بنجح مطالبي وتسهيل مآربي

وأن تكشف لي عن عالم الملك والملكوت وأن تجري مرادي فيما يرضيك من القضاء وأن تكشف لي عن أرواح الملكوتيات الخفيات المستمدة من سر اسمك الجامع للأسماء والصفات الذي تسميت به في كل اللغات وسبحت لك به كل المخلوقات يا الله ٣ يا حي يا قيوم يا نعم المولى ويا نعم النصير يا الله أسألك أن تسخر لي خادم هذا الأسم كهيال إنك على كل شيء قدير اهـ .

(وأما اسمه تعالى الرحمن) فمن خواصه لطف القلوب وجلب كل مطلوب إذا أردت ذلك فاكتب اسم من تريد حروفاً مفرقة واربطه مع اسمه تعالى الرحمن وخذ جمل تلك الحروف بعد تكسيرها إلى أن يظهر الزمان وأنزل به في وفق مربع واكتب جميع الحروف في ظهره ثم اذكر الاسم بذلك العدد ثم علقه على الطالب، فإنه يرى ما يسره من المحبة والمودة والعطف والحنان.

وإذا كتبه حروفاً مفرقة خمسين مرة كل مرة في سطر وحمله إنسان كان مهاب الطلعة مباركاً مقبولاً، وخواصه مشهورة لإجابة الدعاء وخادمه طرفائيل وتحت يده خمسة قواد تحت يد كل قائد سبعون صفاً إذا ذكره الذاكر في خلوته عدده دبر كل صلاة نزل عليه الخادم وقضى حاجته.

وإذا كتبت وفقه الآتي في يوم سعيد وواظبت على تلاوة الاسم دبر كل صلاة عدده فما تتم سبعة أيام إلا وحاجتك مقضية.

ومن واظب على ذكره في كل ليلة عدده وتلا بعده الذكر الآتي أربع مرات وحمل وفقه معه قويت نفسه وطهر قلبه وكان مجاب الدعوة، وهذه صفة وفقه كما ترى:

ر	ح	م	ن
١عـ	٩عـ	٢٥١	٧
٨عـ	٣٨	١٥	٢٥٢
٩	٢٥٣	٧عـ	٣٩

والذكر القائم به أن تقول: بسم الله الرحمن الرحيم إلهي رحمتك وسعت كل شيء لا إله إلا أنت يا أرحم الراحمين قدرت الأشياء وأحكمتها بحكمتك، ورحمت العباد برحمة العموم ورحمة الخصوص، سبحانك أنت الله الرحمن الرحيم أسألك وأتوسل إليك بأسمائك الحسنى أن تشهدني حقيقة الأشياء وأن توفقني لحفظها فأنت الحنان المنان الرحمن الديان يا الله ٣ يا مالك يوم الدين سخر لي خادم هذا الاسم الشريف ليكون عوناً لي على ما أريد فيما يرضيك يا الله يا رحمن.

(وأما اسمه تعالى الرحيم) فمن تلاه دبر كل صلاة عدده رزقه الله حسن الأخلاق وينفع أهل الخلوات. وإذا كتب عدده: وعلق على المولود الذي يبكي ويخاف فإنه يأمن ويزول عنه ما يضره.

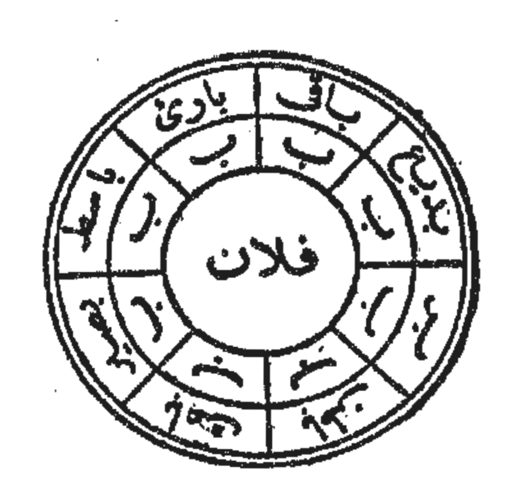
ر	ح	ي	م
١١	٣٩	٢٥١	٧
٣٨	٨	١٥	٢٥٢
٩	٢٥٣	٣٧	٩

ومن واظب على قراءته رحمه الله في الدنيا والآخرة ونال شرف الرتبة. وإذا نقش على خاتم هكذا وتختم به إنسان أعطاه الله الشفقة على خلقه وكان رؤفاً رحيماً.

ومن ناجى ربه به في كل ليلة عدده سهل الله عليه كل صعب وفتح له أبواب الرزق.

واعلم أن الحروف التي تركبت البسملة الشريفة منها بعد حذف الحروف المكسرة عشرة

وهي: الباء والسين والميم والألف واللام والهاء والحاء والراء والنون والياء وكل حرف منها له خواص وأسرار لا يحيط بها إلا الله تعالى وسأتلو عليك شيئاً منها فأقول: أما الباء فمن خواصه أن من كتبه مع الأسماء الحسنى التي أولها الباء حول اسم من تعسر عليه رزقه هكذا يسر الله عليه وهو كما ترى بعد:

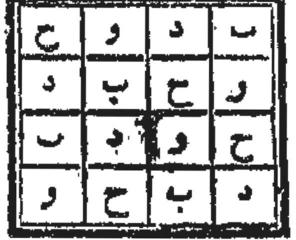


ومن كتبه كذلك في إناء ومحاه بالماء وسقاه للمريض الذي مرضه من البرودة شفاه الله وعافاه، ومن كتبه ستة عشرة مرة والبسملة تسعة عشر مرة وكتب بعدها بديع السموات والأرض الآية وتوجه به لحاجة قضيت.

ومن كتب ستة عشر باء على ثلاث ورقات ومحاها وسقاها للمحموم زالت عنه الحمى.

ومن نقش الوفق الآتي على فص خاتم والقمر في البطين وتختم به كان له قبول تام.

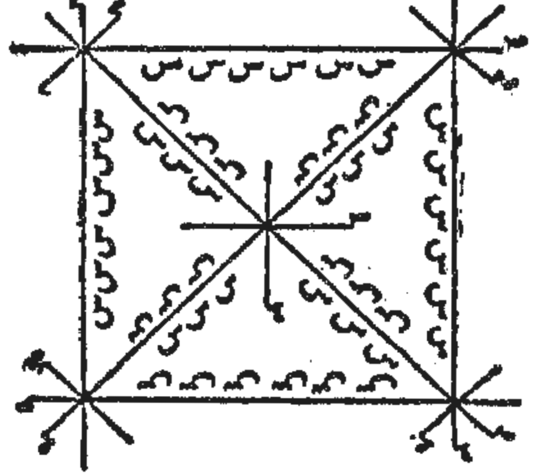
ومن كتب البسملة مرة وستة عشر باء والأسماء الثمانية المذكورة في الدائرة قوله تعالى بديع السموات والأرض حول الوفق ثم محاه بدهن ياسمين ودهن منه وجهه نال ما ذكرناه وهذه صفة الوفق كما ترى:



ومن كتب ستة عشر باء مع الأسماء الثمانية والبسملة في يوم الجمعة وحملها على عضده شرح الله صدره وأزال عنه الكسل ولطف به.

ومن كانت له حاجة إلى إنسان ومزج اسمه بحرف الباء وذكر الأسماء الثمانية مائة مرة وقصده قضى حاجته.

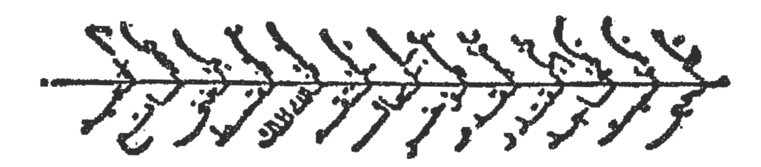
وكذلك من فعل ذلك وذكر عليه اسمه تعالى البر مائة مرة وتوجه إلى مطلوبه فإنه يبره (وأما السين) فمن خواصه أن من كتبه مرة هكذا:



وحمله من برأسه وجع من صداع أو شقيقة زال عنه، وإذا كتب مع الأسماء التي أولها سين وهي السلام السميع ويس والقرآن الحكيم فمن حمله نال المحبة والقبول وانعقدت عنه الألسنة وإذا كتبت على بيضة مسلوقة وأكلتها النفساء سهل الله وضعها وإذا كتب في إنـاء ومحي بمرهم أو مـاء وغسلت بـه الجراحات والدمامل فإنها تنشف.

وإذا كتبت الشكل المتقدم وعلقته على صاحب القروح تنشف.

(وأما حرف الميم) فمن خواصه أن من كتبه وكتب معه الأسماء التي أولها ميم كما ترى:



وحمله نال الهيبة والقبول عند العالم العلوي والسفلي، ومن رسمه في حائط خلوته ونظر إليه في كل يوم وهو يقرأ قوله تعالى: ﴿قل اللهم مالك الملك﴾ الآية فإن الله تعالى يعطيه نفاذ الكلمة بين العوالم.

(وأما حرف الألف) فمن خواصه أن من كتبه ألف مرة وعلقه على صدر البليد فتق ذهنه وحفظ كل ما سمعه، وإذا كتبته مائة وإحدى عشرة مرة وربطت بها اسم إنسان واسم مطلوبه وحمله معه فإن الله يعطف قلبه عليه بالمحبة والحنو والشفقة.

ومن فعل ذلك في يوم الأحد ساعة الشمس رأى سراً عجيباً في التأليف والمحبة والقبول.

ومن كتب ألف ألف وكتب معها فواتح السور وقوله تعالى ﴿محمد رسول الله والذين معه﴾ إلى آخر السورة وقوله تعالى ﴿أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس﴾، وهذه الأسماء حكيم حليم حي حق حفيظ حميد حنان منان حسيب جليل وحمله معه أهابه كل من رآه وكان له قبول عظيم وجاه ومكانة.

(وأما حرف اللام) فمن خواصه أن من كتبه ثلاثين مرة وسقاه لأصحاب العوارض والأمراض عافاهم الله تعالى.

(وأما حرف الهاء) فمن خواصه إذا كتب خمساً وعشرين مرة على خرقة زرقاء ووضعت في سراج على اسم المطلوب وذكر عليه اسمه تعالى الهادي أربعمائة مرة كان غاية في المحبة والعطف والهداية والانقياد، ومن كتبه خمساً وأربعين مرة مع اسمه تعالى الحي وحمله ضعيف الفهم فإنه يرزق الفهم ويفتح عليه.

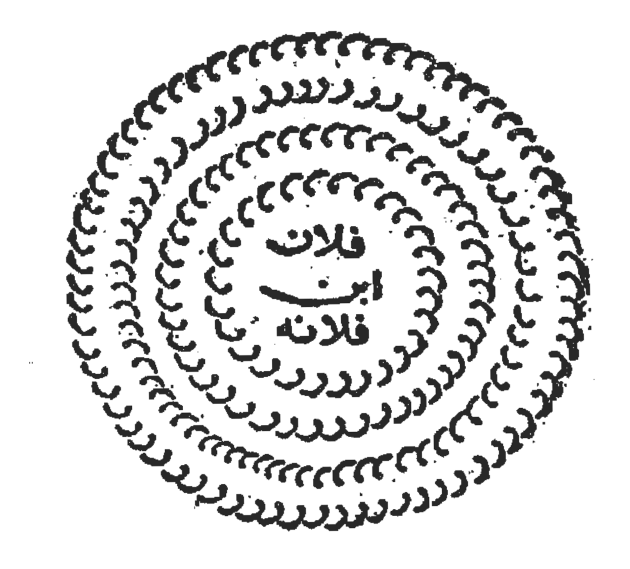
ومن نقش وفقه الآتي على خاتم فضة أو ذهب في يوم الجمعة والقمر في الهنعة وتختم به ملك كان مهاباً، وهذه صفة الوفق كما ترى:

هـ	ا	د	ى
8	٩	٦	فلان
٨	٢	٣	٧
٢	٨	٧	٣

(وأما حرف الراء) فمن خواصه أن من كتبه مائتي مرة وكتب معه هذه الأسماء رحمن رحيم رقيب رؤف رب وهذه الآية ﴿ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشداً﴾ في ورقة وعلقها في محل التجارة ربحت وجاءت إليها الزبون من كل جانب.

ومن كتبه بالصفة الآتية في جلد بغل برذون حول اسم الغريم ووضعه تحت سندال الحداد

أو حجر الطاحون أو جرن الدقاق حصل له صداع شديد لا يزول إلا إذا رفعت الورقة من موضعها فاتق الله تعالى ولا تفعله إلا لمستحقه من أهل الفجور والظلم وهذه صفته كما تراه:



ومن كتبه مع اسمه تعالى رحيم وحمله معه يسر الله تعالى أموره، ومن كتبه على قطعة رصاص وحمله معه رأى سراً عظيماً في منع العطش وحرقان القلب.

ومن كتبه مع اسمه تعالى رب ووضعه في وسط البستان نمت أشجاره وكثر خيرها وبركتها.

(وأما حرف الحاء) فمن خواصه إبراء الأسقام، وهو أن يكتب مع اسم المريض وهذه الأسماء حكيم حليم حي حفيظ حميد حنان حسيب حكم في إناء ومحاه بماء وعسل وسقاه للمريض سبعة أيام فإنه يبرأ.

ومن كتبه كذلك في ورقة وحملها وسافر في أيام القيظ لم يحس بألم الحر.

ومن نقشه على فص خاتم وتختم به لم تطلب نفسه النكاح ما دام لابسه فهو سر عظيم لأرباب الخلوة.

(وأما حرف النون) فمن خواصه أنه إذا كتب ثلاثة عشر مرة على مرآة وكتب معه الله نور السموات والأرض الآية وحمله الطالب حال توجهه أجابته الروحانية.

وإذا كتب وعلق على من به وجع العين أو القولنج أو مرض الجوف شفاه الله.

وإذا كتب وعلق في شبكة الصياد اجتمع عليها السمك من كل جانب.

وإذا كتب مع هذه الأسماء النور النافع في ورقة وجعلت في كيس الدراهم كثرت فيه الدراهم ولم تنقطع منه أبداً، وهذه صفة كتابته كما ترى:



(وأما حرف الياء) فمن خواصه أنه إذا كتب عشر مرات مع هذين الاسمين ياه يوه ومحاه السالك في بدايته أخمدت منه نيران الشهوة.

وإذا كتب مائة مرة في عشرة أسطر كل سطر عشر ياءات وذكر عليه الاسمان المذكوران ألف مرة ومحي بالماء العذب وسقى لمن غلبت على نفسه الشهوة والمعاصي وشرب الخمر تاب الله عليه.

وإذا كتب كذلك على فأس وحفرت بها بئر فإن الماء يظهر بسرعة ويبارك فيه.

ومن كتب الأحرف العشرة بالصفة الآتية في قطعة حرير أصفر والشمس في شرقها أو في حرير أبيض والقمر في برج الأسد وبخره بعود هندي وجاوى وصندل وذكر الأسماء العشرة عليه ألف مرة وحمله نال ما يسره من الخيرات والبركات ومن حمله وتوجه به لحاجة قضيت ومن كان مريضاً وعلقه على عضوه المريض شفي ومن كان مسحوراً وعلقه عليه انحل عنه السحر ومن كان يفزع في نومه وعلقه عليه زال عنه الفزع والرعب. وإذا علق في مكان التجارة ربحت وكثر خيرها. وإذا علق على البكر المعطلة تزوجت. وإذا علق في الدار حفظت من الحرق والسرقة وكثر خيرها، وهذه صفة كتابتها كما يرى في هذا الشكل.

ا	ب	ح	ر	س	ل	م	ن	ه	ى
ب	ح	ر	س	ل	م	ن	ه	ى	ا
ح	ر	س	ل	م	ن	ه	ى	ا	ب
ر	س	ل	م	ن	ه	ى	ا	ب	ح
س	ل	م	ن	ه	ى	ا	ب	ح	ر
ل	م	ن	ه	ى	ا	ب	ح	ر	س
م	ن	ه	ى	ا	ب	ح	ر	س	ل
ن	ه	ى	ا	ب	ح	ر	س	ل	م
ه	ى	ا	ب	ح	ر	س	ل	م	ن
ى	ا	ب	ح	ر	س	ل	م	ن	ه

ومن كتب الوفق والخاتم الآتيين في ورقة وكتب في وسط الوفق اسم الطالب وفي وسط الخاتم اسم المطلوب وطبقهما على بعضهما وبينهما قطعة سكر وجعلها في صندوق رأى سراً عجيباً في المحبة والعطف، وهذه صفتهما كما ترى:

١	٥١عم	٤
٦	الطالب	٥٥عم
٣٩٩	٨٦	٢

ر	هى	م
ن	المطلوب	ل
س	با	ح

فاعرف قدر ما وصل إليك وكن لله من الشاكرين.

قوله:

وصليت في الثاني على خير خلقه   محمد من زاح الضلالة والغلت

من كتب هذا البيت ثلاث مرات مع سورة ألم نشرح في إناء صيني جديد ومحاه بماء ورد وشربه على الريق ثلاثة أيام شرح الله صدره للخير وانبسطت أحواله وخرج من الضيق إلى السعة.

وإذا مسح بهذا الماء على موضع اللسعة زال ألمها بإذن الله تعالى.

ومن قرأ هذا البيت عقب الصيغة الآتية مائة وإحدى عشرة مرة يسر الله له أموره وقضى حاجته، وهي أن تقول اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة تفتح لي بها أبواب الرضا والتيسير وتغلق بها عني أبواب الشر والتعسير وتكون لي بها ولياً ونصيراً يا نعم المولى ونعم النصير.

ومن تلا البيت ألف مرة في ليلة الجمعة بقصد منع ظالم عن أذيته فإن الظالم تثبط همته ولا يقدر على أذيته بشيء مطلقاً.

ومن كتب الخاتم الآتي وكتب حوله البيت أربع مرات في كل جهة مرة وحمله شرح الله صدره وبسط أحواله ويسر أموره، وهذه صفته كما تراه:

ب	ا	س	ط	و	ه	و	د
ا	س	ط	و	د	و	د	ب
س	ط	و	د	و	د	ب	ا
ط	و	د	و	د	ب	ا	س
و	د	و	د	ب	ا	س	ط
د	و	د	ب	ا	س	ط	ه
و	د	ب	ا	س	ط	و	د
د	ب	ا	س	ط	و	د	و

وكذلك من واظب على تلاوة اسميه تعالى الباسط الودود اثنين وتسعين مرة في كل صباح وكل مساء وذكر بعدهما البيت أربع مرات فإنه ينال ما ذكرناه ولا يتم عليه عام إلا وأغناه الله ووسع رزقه ووفقه للصلاح والاصلاح اهـ.

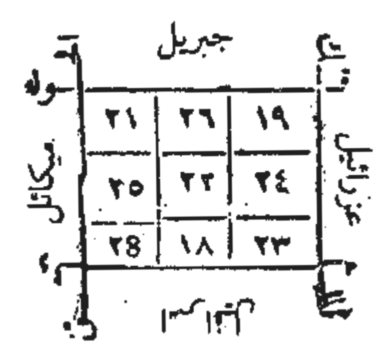
قوله:

سألتك باسم المعظم قدره   بآج أهوج جل جليوت جلجلت

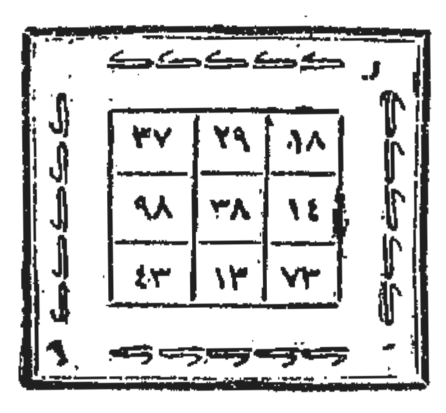
من قرأه كل كل سبع مرات، فاض رزقه وأشرق وجهه، وعقدت عنه ألسنة أعدائه وانبسطت سرائره.

ومن كتبه ثلاث مرات حول الخاتم الآتي وكتب معه عشر غينات وثماني هاءات وحمله نال ما ذكرناه وعظم قدره وحسن صيته.

وإن وضع في بيت لم يقربه لص ولا شيطان ولا يصيب أهله سحر ولا حسد وهذه صفة الخاتم كما ترى:



ومن كتب الطلسم الآتي وكتب حوله عشرين كافاً وحولها البيت سبع مرات وعلقه على الطفل حين يولد لم يصبه شيء من أذى الجن والقرائن طول عمره، وهذه صفة الطلسم كما ترى في هذا الوفق:



ومن كانت تلحقه الوساوس أثناء اشتغاله بأعماله فليشرب جرعة سكر ويجمع همته ويشتغل بعمله.

فإن لم ينصرف عنه الوسواس فليقطع عمله ويجمع همته ويذكر البيت ثلاثاً ثم يقول سبع مرات سبحان الملك القدوس الخلاق الفعال: ﴿إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز﴾ ثم يقرأ سورة الناس سبع مرات فإن الوساوس تذهب منه ولا تعود إليه البتة، وكل اسم من الأسماء الأربعة له خواص ومنافع كثيرة.

فالأسم الأول آج من خواصه أن من كتب طلسمه الآتي بيانه في ورقة في ساعة سعيدة وكتب حوله توكلوا يا خدام هذا الاسم الجليل بحقه عليكم وطاعته لديكم واجلبوا واجذبوا قلب كذا وكذا إلى كذا وكذا بالمحبة والمودة حتى لا يستطيع أن يفارقه الوحا ٢ العجل ٢ الساعة ٢ وبخره بعود هندي وجاوى وذكر الأسم عليه أربعمائة وثلاثة وخمسين مرة وعلقه على الطالب رأى ما يسره من خضوع مطلوبه له وانقياده لطاعته وحبه في، وهذه صفته كما ترى في هذا الشكل:

ومن كتبه والقمر في الثريا وبخره بالعود والجاوي وذكر عليه الاسم ألف مرة كان مقبولاً عند جميع الناس وكل من رآه أحبه وأكرمه، وكان وجيهاً عند الملوك والكبراء.

ومن كتبه في شرف الشمس على حرير أصفر بمسك وزعفران وماء ورد وبخره بعنبر وذكر عليه اسم الذات ألف مرة وآج ألف مرة نال عزاً ورفعة ومهابة.

وإذا علق على من به حمى زالت عنه.

والاسم الثاني أهوج فيه سر لطيف لمن أراد عقم رجل أو امرأة عن الأولاد، فمن كتب طلسمه الآتي بيانه على قطعة من أثر المراد به ذلك وذكر عليها الاسم ثلاثة عشر ألف مرة ثم وضعها في أنبوبة قصب فارسي وجعلها في مكان مظلم حصل له ذلك.

ومن كتبه في ورقة في الساعة الأولى من يوم الأحد وهو مستقبل القبلة على طهارة وذكر الاسم عليها ألفاً ومائة وإحدى عشرة مرة وحملها على رأسه رزقه الله تعالى الهيبة والعز والوقار والعظمة وكل من رآه أحبه وأكرمه وشرح صدره، وهذه صفته كما ترى في هذا الشكل:

الملحق رقم (٧)
نماذج من أخبار
عن السحر والسحرة في بعض الصحف السعودية





AL RIYADH - 14089 - 44th Year - SATURDAY-20-1-2007

ضبط ساحرين يدعيان تعاملهما مع «بنك الجن» في مكة

مكة المكرمة - تركي السويهري:

■ ادعا مشعوذان نيجيريان.. قدرتهما على سحب ما يريدانه من مبالغ مالية بأي عملة يرغبون وذلك لاتصالهما بملك الجن الذي يسيطر على «بنك الجن» ومن أراد الثراء السريع فعليه التعامل معهما وأخذ الوافدان يروجان لكذبتهما بين ضعفاء النفوس ويستغلون جهل بعض المواطنين.

وبعد ورود عدة بلاغات للأجهزة الأمنية بالعاصمة المقدسة وضع رجال الأمن الوقائي بشرطة العاصمة المقدسة بقيادة مدير الأمن الوقائي العقيد - محمد المنشاوي خطة محكمة للإطاحة بالمشعوذين حيث تقدم لهما من يوهمهما بأن لديه العديد من الأموال التي خسرها في سوق الأسهم ويرغب في تعويضها حيث فاقت تلك الأموال (٣٠٠مليون ريال) فوافق الساحران على تعويض ذلك المواطن عن ماله وأبديا تعاطفهما معه مؤكدان أنه رجل حظيظ حيث وصل إليهما ورتب معهما طريقة العمل والمقابل الذي سيتقاضانه وهو على حد قولهما زهيد مقارنة بما سيجلبانه من مال وفير لذلك المواطن إضافة إلي أنهما «أي الساحران» لن يتقاضيا إي مبلغ مالي قبل أن يرى ذلك المواطن المبالغ الخاصة به والتي تم سحبها من «بنك الجن» واشترطا أن يكون مكان العمل هادئاً وبعيداً عن الإزعاج وتم تحديد الموقع في حي الكعكية وحضر الساحران ومعهما الأدوات الخاصة بعملية تحضير «ملك الجن» وجلب المبالغ المالية الهائلة وبدأا في التحضير لتلك العملية وبعد مضي ثلاث ساعات من العمل جاء أحدهما لينقل البشرى للمواطن بأن العملية تمت بنجاح وفي هذه الأثناء أنقض عليهما رجال الأمن ليقبضا عليهما في حالة تلبس.

المتحدث الأمني لشرطة العاصمة المقدسة الرائد - عبدالمحسن الميمان أشار إلي أن الساحرين تم تسليمهما لقسم شرطة الكعكية للتحقيق معهما ومعرفة إن كان لهما صلة بسحرة آخرين وعدد الذين نصبوا عليهما من ذي قبل.

الرياض
AL RIYADH - 13910 - 43rd Year - TUESDAY-25-7-2006

الهيئة والشرطة بمكة تطيح بساحر التفريق بين الأزواج

مكة المكرمة - تركي السويهري:

■ بتوجيه من مدير شرطة العاصمة المقدسة العميد/ تركي القناوي وبمتابعة من مدير المباحث الجنائية العقيد/ محمد سعد النفيعي تمكنت المباحث الجنائية بالعاصمة المقدسة مساء أمس الأول من الإطاحة بأخطر المشعوذين الأفارقة بمكة والذي مارس عملية الشعوذة والسحر منذ سنين عديدة مضت واتخذ طريقة النقل السريع من حي إلى آخر والتخفي عن أعين رجال الأمن وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حيث اعتاد على تغيير موقع سكنه كل ما حس بالخطر من حوله ويحتفظ بأرقام هواتف الناس الذين يثق بهم ويتعامل معهم ويجلبون له الزبائن الذين يثقون بهم وفي التفاصيل أن:



طلاسم مستخدمة في السحر

مشعوذاً غيني الجنسية في العقد الخامس من عمره قدم للبلاد منذ عدة سنوات وأخذ يمارس عملية السحر والشعوذة بشتى أنواعها حيث يعمل سحر التفرقة بين الزوج وزوجته والأخ وأخيه ويعمل الأسحار التي يسيطر بموجبها المكفول «العامل الوافد» على كفيله ويستطيع من خلالها أن يعمل ما يشاء وما يحلو له دون أن يعترض رب العمل «الكفيل» على تلك التصرفات ويوهم ضعفاء النفوس خاصة الوافدين الذين لايحملون إقامات نظامية بأنه يستطيع أن يعمل سحر الحجاب الذي يحجب حامله من أن يراه الآخرون ومن هذا المنطلق طالما أنه يحمل ذلك الحجاب فلن يراه رجال الجوازات ويعمل كذلك سحر المحبة وجلب القلوب بين العشيق ومعشوقته وغير ذلك من الأعمال الشيطانية المشينة التي يتفنن في إيهام الآخرين أنه يقوم بها ، منها ما يستطيع أن يقوم بها فعلاً بعد إرادة الله ومنها ما يوهم ضعفاء النفوس به وبتحقيقه.

وبعد ورود عدة بلاغات لشرطة العاصمة المقدسة عن ذلك الساحر الخطر وعما يقوم به من أعمال شيطانية خبيثة وجه مدير الشرطة العميد/ تركي القناوي بسرعة البحث والمتابعة لخطوات ذلك الساحر حتى تتم الإطاحة به وبمتابعة من مدير المباحث الجنائية العقيد/ محمد سعد النفيعي نجحت فرقة بحث أمنية ميدانية بقيادة المقدم/ سعد بن عبدالعزيز الزهراني من الإطاحة بذلك الساحر الخطر رغم اتباعه أسلوب الانتقال السريع من حي إلى آخر لكي لا يستطع رجال الأمن ومنسوبو هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الوصول إليه والقبض عليه ولكن كافة خططه تلك بأت بالفشل ولم يدر بخلده أنه سيتم القبض عليه حتى وجد نفسه في قبضة رجال الأمن حيث انقلب السحر على الساحر ووجد بحوزته لحظة القبض عليه مبلغ مالي يقدر بـ «عشرة آلاف ريال» كان قد حصل عليها مقابل قيامه بعمل شيطاني كان قد سلمه لصاحبه قبيل القبض عليه بلحظات كما ضبط معه أيضاً كتب وطلاسم وأدوات السحر والشعوذة. وقد سلم ذلك الساحر لقسم شرطة المعابدة ومن ثم تم تسليمه لهيئة التحقيق والادعاء العام للتحقيق معه تمهيداً لمحاكمته شرعاً.

الإثنين 27 جمادي الأولى 1426 هـ
4 يوليو 2005 العدد 4284

القبض على ساحر في حائل يجبر المرضى على تجريد ملابسهم

إبراهيم الجنيدي
ومحمد العنزي من حائل

قبضت هيئة العزيزية، وسط حائل، التابعة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر البارحة الأولى، على مواطن يبلغ من العمر 54 عاما يمارس أعمال الشعوذة والسحر والدجل على المواطنين.

وأوضحت لـ "الاقتصادية" مصادر خاصة أن هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حي العزيزية في حائل توصلت للمشعوذ عن طريق عدد من البلاغات من المواطنين يفيد بتورطه في أعمال السحر والشعوذة، مما جعل رجال المركز يحكمون الرقابة عليه قبل أن يتبرع أحد منسوبي الهيئة بالدخول للساحر بداعي طلب العلاج.

واشترط الساحر مبلغ ألفي ريال مقابل لتكاليف العلاج وفي اليوم التالي حضر طالب العلاج المتنكر، وقام الساحر بتجريده من ملابسه وأخذ في القراءة والتمتمة بكلمات غير مفهومة والرسم على جسد رجل الهيئة مما مكّن من إلقاء القبض عليه متلبسا.

وضبط في منزل الساحر عدد كبير من أوراق الطلاسم، وكراستان للرسم شفافتان تحتويان على عدد كبير من وجوه الأطفال والنساء والرجال وجبال وأودية، وأعداد كبيرة من الرصاص الصلب، مبخرة، مسابح، كميات كبيرة من الملح، إضافة إلى عدد كبير من المواد غير المعروفة.



جانب من الطلاسم والمخطوطات الموجودة في منزل الساحر.
تصوير: محمد العنزي. الاقتصادية

وتمت إحالة الساحر إلى الجهات الأمنية لتتولى إحالته إلى المحكمة الشرعية للنظر في قضيته قبل إصدار الحكم الشرعي بحقه.

وواصلت هيئة العزيزية أمس جهودها بدهم موقع صحراوي على طريق حائل الروضة "جنوبي حائل" يحتوي على خيمة كان الساحر يتردد عليها، وقبضت بالتعاون مع إدارة مكافحة المخدرات في حائل، على مواطن يبلغ 58 عاما وطفل لم يتجاوز 12 عاما ووافد يقيم بطريقة غير نظامية يبلغ من العمر 38 عاما.

وضبط في الموقع عدد من الرسومات والأسلحة النارية "ثلاثة رشاشات، خرازة، شوزن" إضافة إلى عدد كبير من الأعيرة النارية التي كان يستخدمها الساحر ورفاقه في حماية الخيمة التي استخدمت أكثر من مرة لبيع المخدرات وأعمال السحر والشعوذة.

من جهة ثانية، ألقت هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حي الزبارة، البارحة الأولى، القبض على شاب لم يتجاوز السادسة عشرة من العمر في متنزه السمراء الذي ترتاده أعداد كبيرة من الأسر السعودية والمقيمة خلال ليالي الصيف وبحوزته ستة أصابع حشيش.

وأكدت المصادر أن الشاب كان يخفي الحشيش في ماسورة حديدية صغيرة كان يحملها داخل المتنزه. وأضافت المصادر أنه تمت مصادرة الحشيش وإحالة الشاب للجهات الأمنية لمواجهة عقوبته.

MONDAY, RABI'II, 10 , 1427 H. MAY, 8, 2006 G. No. 14499 | 47 |

في أغرب عملية نصب من نوعها

محتال يُزوج تاجراً ابنة «ملوك الجن»

في أغرب عملية احتيال من نوعها على الاطلاق اقنع محتال رجل اعمال من عائلة شهيرة بجدة بتزويجه «جنية» من بنات ملوك الجن مقابل مهر يتجاوز المليون ريال وذلك بعد ان سرد على مسامعه التغيير الذي سيطرأ على حياته العملية زاعما ان العروس «الجنيّة» ستوفر له خلال الاسبوع الاول من شهر العسل اكثر من مليار ريال ترتفع الى ١٠ مليارات نهاية العام الاول للزواج.

ابراهيم علوي (جدة)

رجل الاعمال الشاب الذي أسال لعابه العرض ابدى رغبته في القبول بالجنيّة زوجة له على «سنة» المحتال الشيطانية.. وهنا بدأت اشتراطات المحتال واولها عدم ابلاغ احد بما سيقدم عليه رجل الاعمال لان بنات ملوك الجن لا يخرجن الا لعريسهن فقط وان الاحتفالية الخاصة بمراسم الزفاف الجنّي تستلزم توفير مهر قدره مليون ومائة الف ريال على دفعات منها ٧٠٠ الف مقدما تليها ٤٠٠ الف مصروفات واتعاب المحتال.

مأذون الكحة الجن؟

مذكرا رجل الاعمال الشاب بأن مأذون عقود انكحة الجن يتطلب جلبه مبلغاً من المال وانه سيقوم بعقد قرانه على ابنة ملوك الجن.

هنا استسلم الشاب تماماً وبدأ طوع توجيهات المحتال بعد ان ترك بيته واسرته وتفرغ لمتابعة ترتيبات زواجه.. وبالفعل احضر المحتال راعياً زعم انه هو الساحر بعد ان لقنه اساليب السحر وخداع البسطاء ولم يخب ظنه في الراعي الذي اجاد دوره تماماً حتى استنفدت اموال الشاب بالاستعراضات الوهمية.

اضواء الخداع

لدى وصول الساحر «الراعي» وهو لم يدخل مدرسة في حياته زعم لرجل الاعمال انه سيحضر العروس الجنيّة وسيعقد له القران وفي اول جلسة للعقد بمنزل الراعي والذي استاجره المحتال خصوصا لاعمال النصب احضر الراعي بعض الاواني البلاستيكية والتي تضيء عند احتكاكها بجسم آخر وعندما شاهدها الشاب ابدى انبهاره بقدرة الساحر. هنا ابلغه المحتال بانه هو الذي سيتزوج هذه الليلة على ان يؤجل رجل الاعمال احتفاليته ليلة اخرى وبدأت الخزعبلات تترى حيث صعد المحتال فوق الاناء المعبأ بالتراب والذي يصدر ومضات ضوئية وبجانب كيس به بودرة احبار عادية والاناء به ماء وعندما دعس المحتال الكيس المفتوح علق بقدمه الحبر وهنا قام الساحر «الراعي» بغسل القدم بالماء فظهر الحبر جلياً عندها ابلغ المحتال الشاب بان هناك سحراً اسود معمولا حديثاً للاضرار به وعليه تأجيل الزواج الى حين اخراجه من جسده.. وانطلت الحيلة على رجل الاعمال وتتابعت بعدها الجلسات المضللة حتى لاحظ اشقاء رجل الاعمال مدى تغيره وتبدل معتقداته وعلاقاته المريبة.

لكنه لم يأبه خصوصا ان المحتال ابلغه انه حاصل على الدكتوراه في تخصص نادر وانه وكيل شخصي لعدد من الوجهاء وكان من فرط وهمه يخاطبه بالدكتور ولا يكذب له حديثا ابداً.



الساحر عقب القبض عليه

حذر النصابين

غير ان احد اشقاء رجل الاعمال بدأ ينبهه بحدة بان يسير في طريق يؤدي الى هاوية سحيقة لافتا اياه الى اهماله في تجارته طالبا منه اللجوء الى الجهات الامنية لكشف حقيقة الساحر والمحتال وبالفعل بدأت الجهات الامنية في ترصدهما واتضح ان المحتال كان حريصا حذرا بتجنب السقوط ولا يرد على الاتصالات ويبدو انه شعر بان ثمة خطرا يتهدده حيث رفض عقد جلسة اخرى لرجل الاعمال في محاولة لتزويجه من الجن.

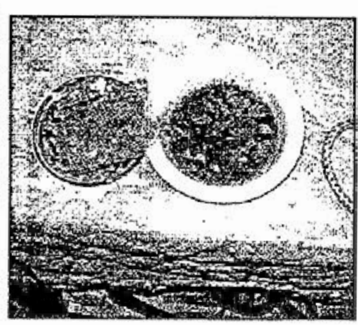
سقوط الدكتور

وبعد متابعة دقيقة تم القبض على الساحر الذي كشف حيلة الاضواء في الاواني البلاستيكية وقال انه راع بسيط وان المحتال هو الذي لقنه اساليب السحر وعند القبض على المحتال انكر تماما معرفته برجل الاعمال لكنه اسقط في يده لدى مواجهته مع الساحر والضحية والذي صرخ في وجهه هذا هو الدكتور الذي خدعني وهنا صمت المحتال عن الكلام المباح.

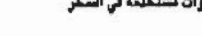
عملية القبض تمت باشراف العميد مسفر الزحامي مدير شرطة جدة وتابعها مدير التحريات والبحث الجنائي العقيد حسن النفيعي وقادها النقيب علي بلغيث رئيس وحدة مكافحة جرائم النصب.

٩٥٪ من زبائنهم نساء

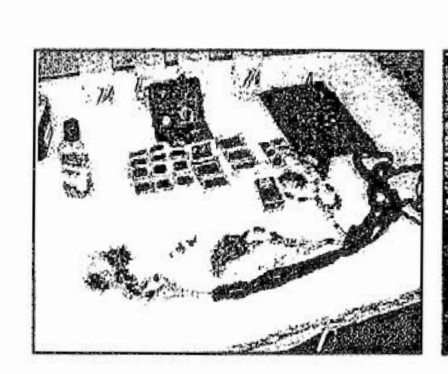
سحرة وساحرات يفرقون بين الازواج.. ويدفنون "عملهم" في خزانات المياه والمزارع



ادوات مستخدمة في السحر



خزان يحتضن اعمال السحر



من اعمال الشعوذة

متابعة وتصوير: عادل الثبيتي (الطائف)

كشفت التحقيقات التي اجرتها الجهات المعنية مع السحرة الخمسة "رجلين وثلاث نساء" الذين القي القبض عليهم خلال الايام القليلة الماضية بالطائف، ان ٩٥٪ من زبائنهم من النساء، فيما يمارسون اعمال السحر والشعوذة للتفريق بين الازواج وبهدف الحصول على المال ولاغراض اخرى في نفوسهم.

ساحر النساء البنغلاديشي بميسان كشفت التحقيقات انه قدم الى المملكة منذ خمس سنوات بمهنة «مزارع» وقد اقام بمزرعة لكفيله بمنطقة ميسان وبدلا من ان يتفرغ للعمل الذي استقدم من اجله استغل طيبة اهالي المنطقة وبدأ في استعراض مهاراته السحرية حتى ذاع صيته في اوساط النساء وقد اعترف بانه يقوم باعمال السحر من اجل الحصول على المال او بفعل الفاحشة بزائرته من النساء بدعوى ان ذلك من اسباب العلاج، فيما كان يضع اعمال السحر في خزانات المياه والمزارع وقد تسبب باعماله هذه في وقوع العديد من المشاكل الاسرية حتى تم رصده من قبل مركز شرطة ميسان بقيادة الملازم اول عبدالهادي الخديدي وجمع معلومات متكاملة عنه ومداهمة منزله الذي يقيم فيه وتم ضبط عدد من كتب السحر والشعوذة والطلاسم والقبض عليه ليعترف بافعاله وتصديق اقواله شرعاً وايداعه السجن قبل تقديمه للمحاكمة.

ساحر الازواج الباكستاني

على طريق الطائف الباحة كان الارتباك باديا على الساحر الثاني «باكستاني الجنسية» وبتفتيش سيارته عثر بحوزته على اخطر كتاب للسحر يستخدم في التفريق بين الازواج وقد استغل بذلك زبائنه من النساء اللائي يطلبن منه عمل السحر لازواجهن حتى يحتفظوا بمحبتهم لهن وعدم الزواج عليهن مقابل مبالغ مالية طائلة.

الساحرة الفلبينية

اما الساحرات من النساء فتأتي في مقدمتهن ساحرة فلبينية اكثر من عشر سنوات بالمملكة مما مكنها من اجادة التحدث باللغة العربية واستخدامها مع زبائنها اللائي يقمن بزيارتها في مشغلها النسائي في حي «المزغدية» الذي حولته مركزا لاستقبال زائراتها وعمل السحر لازواجهن مقابل ٥٠٠ ريال لكل عملية علما بان اغلب زائريها من الميسورات.

تم مداهمة «منزلها/ المشغل» والعثور عى ١٥ عملا سحرياً كانت تخبئ بعضه داخل طلقات الرصاص الفارغة وبعضه الآخر داخل قطع بلاستيكية والحبال السرية للاطفال كما عثر على صور النساء اللاتي كانت تقوم بعمل السحر لهن فيما كانت تستخدم الثعابين والضفادع والارانب في اعمال السحر والشعوذة التي تقوم بها.

قارئة الفنجان

اما قارئة الفنجان التي تم القبض عليها في حي الشرعية فكانت تدعي القدرة على معرفة وكشف الاسرار الزوجية وقد حولت شقتها الى مشغل نسائي للتمويه ولممارسة شعوذتها مقابل ٥٠٠ ريال لقراءة الفنجان وبمداهمة منزلها عثر على مشغل متكامل يديره زوجها بطريقة غير مشروعة.

الساحرة النيجيرية

واخيرا الساحرة النيجيرية التي كانت تدعى المقدرة على معالجة الامراض المستعصية كالسرطان والعقم، وبمداهمة منزلها تم العثور على طلاسم وشعوذة وادوية وبخور واعشاب وغيرها من المواد المستخدمة في السحر والشعوذة.

مصدر امني اكد القبض على عشرة من السحرة «رجالا ونساء» خلال الشهور الثلاثة الاخيرة كان معظم زبائنهم من النساء بنسبة تقدر بـ٩٥٪ مقارنة بالرجال، محذراً من الذهاب اليهم او التعامل معهم لان ذلك منهي عنه شرعاً، موضحا ان هدف هؤلاء السحرة والساحرات هو الحصول على المال او استغلال النساء في ممارسات غير اخلاقية مناشدا الجميع بالابلاغ عنهم حتى القبض عليهم وتخليص المجتمع من شرورهم.

يقرأ على الأموال بزعم مضاعفتها

عدنان الشبراوي . جدة

ايدت محكمة الاستئناف حكما أصدرته المحكمة الجزئية في جدة على مقيم سنغالي يوهم الناس بأنه ساحر يضاعف الأموال.

وتضمن الحكم سجن المقيم سبع سنوات والجلد الف سوط والإبعاد عن البلاد ووصف وضعه بالخطورة وإدراجه على قائمة الممنوعين.

وشمل الحكم في الحق الخاص إعادة خمسة ملايين ريال لمواطن كان ضحية النصب والاحتيال، وأبلغت الجهات المختصة للتنفيذ.

وروت لـ «عكاظ» مصادر مطلعة داخل المحكمة أن المقيم احتال على مواطن وزعم أن لديه القدرة على تبييض الأموال السوداء قبل تحويلها إلى دولارات بطريقة القراءة عليها، وقدم له المواطن في البداية ألف ريال فاعادها إليه خمسة آلاف ريال لكسب الثقة.

وفي المرة الثانية تسلم الجاني مبلغ عشرة آلاف ريال من الضحية، فاعادها إليه ٥٠ ألفا إمعانا في كسب الثقة، عندئذ قرر الضحية تقديم مبلغ خمسة ملايين ريال مطالبا بأن تصبح ٢٠ مليون ريال خلال شهر.

وعندما تسلم المحتال المبلغ اختفى عن الأنظار، فتقدم الضحية للأجهزة المختصة التي سرعان ما قبضت على المحتال السنغالي في جنوبي جدة وبحوزته نصف المبلغ.



حائل: القبض على ساحرة ستينية

□ حائل - محمد الخمعلي

■ أوقفت هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر امرأة مسنة أول من أمس، تمتهن أعمال السحر والشعوذة في مدينة حائل.

وأوضح مصدر في الهيئة لـ «الحياة» أن السعودية س. ش (٦٧ عاماً) أتت من هجرة قفار إلى مدينة حائل، حاملة معها أدوات سحر وشعوذة لبيعها على عدد من الأهالي.

وأضاف: «بعد التحقيق معها حولت إلى الجهات الأمنية، لاستكمال إجراءات القضية، والحكم عليها شرعاً لما قامت به من أعمال مخالفة للشريعة الإسلامية».

وأشار المصدر إلى أن هذه ليست المرة الأولى التي تقبض فيها الهيئة على سحرة ومشعوذين في حائل أو هجرها، إذ سبق أن ألقت القبض على أربع نساء ساحرات وأحالتهن إلى الجهات المختصة.

من جهته، أرجع الاختصاصي الاجتماعي في مركز حائل فايز العيد، انتشار أعمال السحر والشعوذة في الآونة الأخيرة إلى غياب الوازع الديني لدى بعض ضعاف النفوس، واعتقادهم أن الإنسان يستطيع من خلال أعمال السحر تحقيق ما يريد، مؤكداً بأن هذه مجرد أوهام وتخيلات لا أساس لها من الصحة، يلجأ إليها الإنسان العاجز عن تحقيق النجاح في حياته.

خرافة (الأحجار الشافية) تبيع الوهم للمرضى المصريين

القاهرة مكتب «الرياض» - احمد بدر نصار

• في الوقت الذي يشهد العالم تطورات هائلة في مختلف العلوم وتكنولوجيا الفضاء والاتصالات وصلت بالإنسان إلى سطح القمر ما تزال الخرافات تحتل مكانا عند كثير من الناس خاصة البسطاء الذين ربما لم يدركهم الوعي بهذا المنجز العصري.

فهناك في كفر حمزة بمحافظة القليوبية تل مساحته ثلاثة آلاف متر حولته المخيلة الشعبية إلى أسطورة. فالمكان ليس به إلا أكوام من الحجارة شكلتها الطبيعة على هيئة مجسمات، بعضها بملامح الإنسان وبعضها على شاكلة الحيوان.. ويحمل هذا المكان الغريب اسم «تل اليهودية»، والصفة لا تعود على الأنثى المفردة بل على «طائفة اليهود».

ويعتقد سكان القرية والقرى المجاورة، خطأ أن أحجار هذا التل المتناثرة في المكان يمينا ويسارا (مبروكة) لدرجة أنها تعالج شلل الأطفال والأمراض المستعصية مثل السرطان والإيدز مثلما تعالج عقم النساء إذا قامت المرأة بالطواف حول الأحجار ٧ مرات ثم مارست العلاقة الزوجية مع زوجها فوقها واغتسلت بعدها بالماء، ولنجاح المهمة يلزم ان يتم كل شيء في صمت وخشوع دون التحدث بكلمة واحدة من أول لحظة الوصول إلى المكان حتى الانتهاء من الطقس، وهذه مسألة توثقنا منها بعد أن رأينا الملابس الداخلية متناثرة في المكان.

ويقال أيضا أن هذه الحجارة ليس لها مثيل في باقي الآثار المصرية وأن لها سحرا عجيبا فلم يجرؤ أحد على سرقتها بالرغم من أن المكان لا يوضع تحت حراسة بشرية، وتمضي المخيلة الشعبية إلى أن له حراسة غير مرئية.

المثير أن بعض البسطاء يعتقدون أن طواف الحيوانات مثل الجاموس والبقر والماعز حول التل يؤدي إلى إدرار اللبن بكثافة.

والأكثر إثارة أن السياح الأجانب خاصة من اليهود يزورون (تل اليهودية) بصفة مستمرة كل عام ويمارسون حول أحجاره طقوسا دينية غريبة لاعتقادهم بأن المكان يرتبط تاريخيا باليهود، ويقال إن بعض الآثار المتعلقة بسيدنا موسى عليه السلام موجودة تحت هذا التل وآخرون يقولون إن الاسكندر الأكبر مدفون تحت هذا التل وفئة أخري تقول إن هناك آثارا يهودية تحت هذا التل يزكي الاحتمال أن هناك معبداً يهودياً يبعد عن التل حوالي ٣٠٠ متر في نفس المنطقة.

وفي محاولة لاستجلاء الأمر سألنا الأستاذ علي رمضان، باحث آثار، الذي قال إن تل اليهودية هو من أهم التلال الاثرية ويرجع تاريخه إلى آلاف السنين ومازال يحتفظ بالعديد من المميزات الاثرية المتباينة والتي تعود إلى عصور تاريخية مختلفة، وقد أدرك الهكسوس أهمية موقعه مما جعلهم يقيمون حصنا فوقه مشيرا الى أن اسمه يرجع إلى اعتقاد بعض سيدات اليهود الأكيد في بركة المكان وقدرته على حل مشكلة العقم .

ومن جانبه يؤكد الدكتور خطاب عبد الحليم أستاذ الشريعة بجامعة الأزهر ان كل هذه خرافات ومن يعتقد بها يدخل في الشرك، لان اللجوء لغير الله شرك بين، فالله سبحانه وتعالى يقول فى كتابه الكريم (لله ملك السموات والارض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور) ويطالب الدكتور وسائل الإعلام بتوعية الناس من هذه الخرافات وتأثيرها على المجتمع.

وفي سؤال لأستاذ الشريعة بجامعة الأزهر الدكتور خطاب عبدالحليم حول الموضوع قال بأن مثل هذه الخرافات تنتشر في المجتمعات البسيطة المفتقدة للتوعية.





بعض الملابس الملقاة

المصادر والمراجع



- الآجري، محمد بن الحسين بن عبدالله، أبو بكر (ت ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م) / **كتاب الشريعة**، تحقيق: عبدالله بن عمر بن سليمان الدميجي، ط١، الرياض: دار الوطن، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
- إبراهيم، الصادق بن محمد / **خصائص المصطفى صلى الله عليه وسلم بين الغلو والجفاء**، الرياض: مكتبة دار المنهاج، ١٤٢٦هـ.
- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبدالكريم (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م)، **الكامل في التاريخ**، بيروت: دار صادر، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- الإسنوي، جمال الدين عبدالرحيم بن الحسن بن علي (ت ٧٧٢هـ/ ١٣٧٠م) / **طبقات الشافعية**، تحقيق: عبدالله الجبوري، الرياض: دار العلوم، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
- الأشرف الغساني، عماد الدين أبو العباس إسماعيل بن العباس بن علي (ت ٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م) / **العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك**، تحقيق: شاكر محمد عبدالمنعم، بيروت: دار التراث العربي، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.
- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد (ت ٣٥٦هـ/ ٩٦٧م) / **الأغاني** بتصحيح: أحمد الشنقيطي، القاهرة: محمد أفندي ساسي المغربي، مطبعة التقدم، ١٣٢٣هـ.
- ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس (ت ٦٦٨هـ/ ١٢٧٠م) / **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**،

تحقيق: نزار رضا، بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٦٥م.

- الأفشاري النجفي، حبيب بن موسى الرضا / **أسرار المكتوم في أسرار المخزون**، ط٢، بيروت: مؤسسة البلاغ، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

- إيسوب، **خرافات إيسوب**، ترجمة: مصطفى السقا، وعبدالحميد جودة السحار، القاهرة: مكتبة مصر ومطبعتها [١٩٧٦م].

- بدران، عبدالقادر بن أحمد بن مصطفى بن عبدالرحيم بن محمد (ت ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م) / **منادمة الأطلال ومسامرة الخيال**، دمشق: المكتب الإسلامي، د. ت.

- ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبدالملك بن مسعود (ت ٥٧٨هـ/ ١١٨٣م) / **كتاب الصلة**، القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦م (تراثنا، المكتبة الأندلسية، ٤).

- البقاعي، أبو الحسن برهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط (ت ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م):

  * **إظهار العصر لأسرار أهل العصر**، تحقيق: محمد سالم بن شديد العوفي، الرياض، المحقق، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

  * **إنارة الفكر بما هو الحق في كيفية الذكر**، تحقيق: سليمان بن مسلم الحرش، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

- البُوني، أبو العباس أحمد بن علي بن يوسف (ت ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م):

  * **شرح الجلجلوتية الكبرى** في كتاب: **منبع أصول الحكمة**، القاهرة: محمود القوني، د.ت.

  * **كتاب اللمعة في الفوائد الروحانية**، ضمن كتاب: **اللؤلؤ المنظوم في الطلاسم والنجوم**، القاهرة.

- الجبرتي، عبدالرحمن بن حسن بن إبراهيم (ت ١٢٣٧هـ/ ١٨٢٢م) / **تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، ط٢، بيروت: دار الجيل، ١٩٧٨م.
- «الجزائر تحتفل بمئوية الطريقة الصوفية العلاوية»، **الحياة** (الأحد ٤ شعبان ١٤٣٠هـ/ ٢٦ يوليو ٢٠٠٩م).
- ابن جنيد، يحيى محمود:

  * «كريمة المروزية عالمة مكة في القرن الخامس الهجري»، **الفيصل**، س١، ع١٠، (ربيع الثاني ١٣٩٨هـ/ مارس - أبريل ١٩٧٨م).
  * **من يقرأ المصباح**، الرياض: مؤسسة اليمامة، ١٩٩٤م (كتاب الرياض، ٧).
  * **الوقف وبنية المكتبة العربية.. استبطان للموروث الثقافي**، ط٢ منقحة ومزيدة، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.
- **الجواد العربي، في الفروسية وتربية الخيل وبيطرتها** لمؤلف مجهول (كتبه بخط يده سنة ٧٥٧ ببغداد)، تحقيق: محمد ألتونجي، الكويت: مركز المخطوطات والتراث والوثائق، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م (قسم الخيل الأصيل والفروسية وأدواتها، ١).
- ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م) / **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، حيدرآباد الدكن: دائرة المعارف العثمانية، ١٣٥٩هـ.
- ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٩م) / **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، تحقيق:

محمد سيد جاد الحق، القاهرة: دار الكتب الحديثة، د. ت.
- حسن، عمار علي / **التنشئة السياسية للطرق الصوفية في مصر، ثقافة الديمقراطية ومسار التحديث لدى تيار ديني تقليدي**، القاهرة: دار العين للنشر، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٦م.
- حسن، محمد يوسف، وعدنان باقر النقاش: «أثر الفكر العربي الإسلامي في تقدم علوم الأرض»، **المورد**، مج١٢، ع١ (ربيع ١٩٨٣م).
- حسين، عبدالله / **الأحلام والخرافات والسحر**، القاهرة: مطبعة التوفيق، ١٩٤٨-١٩٤٩م.
- الحضراوي، أحمد بن محمد بن أحمد (ت ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م) / **نزهة الفكر فيما مضى من الحوادث والعبر في تراجم القرن الثاني عشر والثالث عشر، قطعة منه**، تحقيق: محمد المصري، دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٦م.
- حنين بن إسحاق، أبو زيد العِبادي (ت ٢٦٠هـ/ ٨٧٣م) / **في حفظ الأسنان واللثة واستصلاحها**، تحقيق: محمد فؤاد الذاكري، حلب: دار القلم العربي، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م (روائع الطب الإسلامي، ١).
- خاه، فاريبا عادل: **تقرير عن الزيارات الدينية الإيرانية إلى سورية**، ترجمة: محمد السبيطلي، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية (تقارير مترجمة، ١٣) ص ص١٣-١٤. وقد نُشرت الدراسة باللغة الفرنسية في مجلة بوليتكس (Politix)، العدد ٧٧، سنة ٢٠٠٧م.
- الخزرجي، علي بن حسن بن أبي بكر بن الحسن بن وهّاس (ت ٨١٣هـ/ ١٤١١م) / **العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية**، تحقيق: محمد

بسيوني عسل، لندن: أوقاف ذكرى مستر جب (القاهرة: مطبعة الهلال)، ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م.

- الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٢م)/ **تاريخ بغداد**، بيروت: دار الكتاب العربي، د. ت.

- ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨١م)/ **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، [١٩٧١م].

- خليل، ياسين: «مفهوم التراث العلمي العربي»، **المورد**، مج ١٨، ع٣ (خريف ١٩٨٩م).

- الخولي، يُمنى طريف/ **فلسفة العلم في القرن العشرين**، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، سلسلة عالم المعرفة، ٢٦٤.

- ابن الدُّبَيْثِي، أبو عبدالله محمد بن سعيد بن يحيى (ت ٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م)/ **ذيل تاريخ مدينة السلام**، تحقيق: بشار عواد معروف، بغداد: وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، ١٩٧٩م، (سلسلة كتب التراث، ٢٨٤).

- دحلان، أحمد بن زيني (ت ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م)/ **فتوى مخطوطة**، محفوظة في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

- الدفاع، علي عبدالله/ **العلوم البحتة في الحضارة العربية الإسلامية**، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

- ابن الديبع الشيباني، عبدالرحمن بن علي بن محمد (ت ٩٤٤هـ/ ١٥٣٧م)/ **الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار زبيد**، تحقيق:

محمد عيسى صالحية، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

- الديوجي، سعيد/ **بيت الحكمة**، ط٢، الموصل: المؤلف، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

- الذاكري، محمد فؤاد/ **طب الأسنان والجراحة الفموية في الحضارة العربية الإسلامية**، دمشق: وزارة الثقافة، مديرية إحياء نشر التراث العربي، ٢٠٠٦م.

- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٨م):

  * **تاريخ الإسلام، ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

  * **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

- الراجحي، عبدالعزيز بن فيصل/ **مجانبة أهل الثبور المصلين في المشاهد وعند القبور**، الرياض: المؤلف، ١٤٢٥هـ.

- الرازي، أبو بكر محمد بن زكريا (ت بين ٢٩٣-٣٢٠هـ/ بين ٩٠٦-٩٣٢م)/ **مقالة في النقرس**، تحقيق: يوسف زيدان، الإسكندرية: مكتبة الإسكندرية، ٢٠٠٣م (النشر التراثي متعدد اللغات II).

- راشد، رشدي: «حول تاريخ العلوم العربية»، **المستقبل العربي**، س٢١، ع٢٣١ (آيار/ مايو ١٩٩٨م).

- الرفاعي، أحمد فريد (ت ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م)/ **عصر المأمون**، القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م.

- الرهاوي، إسحاق بن علي (ق ٤هـ/ ق ١٠م) / **أدب الطبيب**، تحقيق: مريزن سعيد عسيري، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
- بوزيان، بنعلي محمد: «خزانة بني عبدالجبار بفجيج، دار العدة»، **دعوة الحق**، ع٢٤٨، (شعبان ١٤٠٥هـ/ مايو ١٩٨٥م).
- ساراماغو، خوزيه/ **سنة موت ريكاردوريس (رواية)**، ترجمة: أنطوان حمصي، دمشق: دار المدى، ١٩٩٩م.
- ابن الساعاتي، فخر الدين رضوان بن محمد بن علي بن رستم (ت نحو ٦١٧هـ/ نحو ١٢٢٠م) / **علم الساعات والعمل بها**، تحقيق: محمد أحمد دهمان [دمشق: المؤلف، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م].
- السباعي، مصطفى (ت ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م) / **من روائع حضارتنا**، ط٢، بيروت: دار الإرشاد، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.
- السبتي، غسان محمد، وإبراهيم جواد الفضلي: «المنقول والمدلول في الأفكار والمعارف الجيولوجية عند العرب»، **المورد**، مج١٣، ع١ (ربيع ١٩٨٤م).
- سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزأوغلي بن عبدالله (ت ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م) / **مرآة الزمان في تاريخ الأعيان**، حيدرآباد الدكن: دائرة المعارف العثمانية، ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م.
- السحار، عبدالحميد جودة (ت ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٤م) / **هذه حياتي**، القاهرة: دار مصر للطباعة، د.ت.
- السخاوي، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن بن محمد (ت ٩٠٢هـ/ ١٤٩٧م):

* **الذيل على رفع الأصر أو بغية العلماء والرواة**، تحقيق: جودة هلال ومحمد محمود صبيح، القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، د. ت.

* **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، بيروت: دار مكتبة الحياة، د. ت.

- **سلسلة علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب**، (الأجزاء ١-٦)، إعداد: محمد مراياتي، ويحيى مير علم، ومحمد حسان الطيان، الرياض: مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية، ومركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

- السمعاني، أبو سعد عبدالكريم بن محمد بن منصور (ت ٥٦٢هـ/١١٦٧م) / **كتاب أدب الإملاء والاستملاء**، تحقيق: أحمد محمد عبدالرحمن محمود، جدة: المحقق، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

- السنيدي، عبدالرحمن علي / **نظام الملك ودوره في الازدهار الحضاري للدولة السلجوقية ٤٥٦-٤٨٥هـ= ١٠٦٣-١٠٩٢م**، رسالة ماجستير بإشراف محمد مسفر الزهراني ومحمد فتحي الريس، الرياض: قسم التاريخ والحضارة بكلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

- سينويه، جيلبرت / **اللوح الأزرق (رواية)**، ترجمة: آدم فتحي، كولونيا (ألمانيا)، دار الجمل، ٢٠٠٨م.

- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م) / **تاريخ الخلفاء**، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، ط٢، القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٥٩م.

- ابن شداد، جمال الدين أبو عبدالله محمد بن علي بن إبراهيم (ت

٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م) / **الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة (جزء تاريخ مدينة دمشق)**، تحقيق: سامي الدهان، دمشق: المعهد الفرنسي للدراسات العربية، ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م.

- الشريف الأزهري، نبيل / **إعلام المسلمين ببطلان فتوى القرضاوي بتحريم التوسل بالأنبياء والصالحين**، بيروت: دار المنهاج للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.
- ابن شريفة، محمد / **ابن رشد الحفيد سيرة وثائقية**، الدار البيضاء: المؤلف، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
- الشعراني، أبو المواهب عبدالوهاب بن أحمد بن علي الحنفي (ت ٩٧٣هـ/ ١٥٦٥م) / **الطبقات الكبرى المسماة بلواقح الأنوار في طبقات الأخيار**، تحقيق: سليمان الصباغ، بيروت: دار المعرفة، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
- شوقي، جلال، وعلي عبدالله الدفاع / **العلوم البحتة في الحضارة العربية الإسلامية**، الجزء الأول، نيويورك: دار جون وايلي وأبنائه، ١٩٨٥م.
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبدالله (ت ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م):

  * **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، بيروت: دار المعرفة، د. ت.
  * **ديوان أسلاك الجوهر**، تحقيق ودراسة: حسين بن عبدالله العمري، ط٢، دمشق: دار الفكر، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
- صاعد بن الحسن، أبو العلاء الطبيب (ت بعد ٤٦٤هـ/ بعد ١٠٧٢م) / **التشويق الطبي**، تحقيق: مريزن سعيد عسيري، الرياض: مكتب التربية

العربي لدول الخليج، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
- الصحاري، أبو محمد عبدالله بن محمد الأزدي (ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م)/ **كتاب الماء: (أول معجم طبي لغوي في التاريخ)**، تحقيق: هادي حسن حمودي، مسقط: وزارة التراث القومي والثقافة.
- صروف، فؤاد (ت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م)/ **رسائل الأرواح**، القاهرة: دار العرب للبستاني، طبعة مصورة عن طبعة مجلة المقتطف، ١٩٢٨م.
- صفر، ناصر حسين: «رحلة تأريخية مع تصانيف النباتات الطبية عند العرب»، **المورد**، مج ١٨، ع١ (ربيع ١٩٨٩م).
- «صوفي جزائري يضمن كتابه رسوماً تجسد الرسول ﷺ والصحابة والملائكة»، إعداد حازم عبده، **الوطن** (الجمعة ٩ شعبان ١٤٣٠هـ/ ٣١ يوليو ٢٠٠٩م).
- **الصوفية**، مجلة إلكترونية على الموقع www.alsoufia.com.
- طاشكبري زاده، أحمد بن مصطفى بن خليل (ت ٩٦٨هـ/ ١٥٦١م)/ **مفتاح السعادة ومصباح السيادة**، تحقيق: عبدالوهاب أبو النور وكامل البكري، القاهرة: دار الكتب الحديثة، ١٩٦٨م.
- الطالبي، عمار/ **آثار ابن باديس**، الجزائر: دار ومكتبة الشركة الجزائرية للتأليف والترجمة والطباعة والتوزيع والنشر، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.
- الطبري، أبو الحسن أحمد بن محمد (ت بعد ٣٦٦هـ/٩٧٦م)/ **أمراض العين ومعالجتها في كتابي المعالجات البقراطية، وفردوس الحكمة**، تحقيق: محمد رواس قلعه جي، ومحمد ظافر الوفائي، لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م (سلسلة التراث الطبي الإسلامي - علم الكحالة، ١١-١٢).

- الطعمي، محيي الدين/ **الطبقات الكبرى**، بيروت: المكتبة الثقافية، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
- الطوخي، عبدالفتاح السيد عبده/ **إغاثة المظلوم في كشف أسرار العلوم**، القاهرة: مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح، د.ت.
- عبدالدائم، عبدالله/ **التربية في البلاد العربية حاضرها ومشكلاتها ومستقبلها من عام ١٩٥٠م إلى عام ٢٠٠٠م**، ط٤ مزيدة، بيروت: دار العلم للملايين.
- عبدالسلام، أحمد: «التفكير (العلم) والتسخير (التقنية) دعوة لإقامة أمة العلم في الإسلام»، **مجلة المجمع العلمي العراقي**، مج٣٣، ج٢، ٣ (رجب ١٤٠٢هـ/ نيسان ١٩٨٢م).
- عبده، علي عرفة: «**موالد المحروسة بين الماضي والحاضر**» [مجلة]، القاهرة، ع١٥٦ (نوفمبر ١٩٩٥م).
- ابن عبدالوهاب، محمد (ت ١٢٠٦هـ/ ١٧٩٢م)/ كتاب **التوحيد الذي هو حق الله على العبيد**، تصحيح: أحمد محمد شاكر، ط١، بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- العجيلي، التليلي/ **الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية (١٨٨١-١٩٣٩م)**، تونس: منشورات كلية الآداب بمنوبة، ١٩٩٢م.
- ابن العراقي، ولي الدين أبو زرعة أحمد بن عبدالرحيم بن الحسين (ت ٨٢٦هـ/ ١٤٢٣هـ)/ **الذيل على العبر في خبر من غبر**، تحقيق: صالح مهدي عباس، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

- ابن عربي، محيي الدين محمد بن علي بن محمد، أبو بكر الحاتمي (ت ٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م) / **الفتوحات المكية**، تحقيق: عثمان يحيى، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة بالتعاون مع معهد الدراسات العليا بالسربون، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- العماد الأصفهاني، محمد بن صفي الدين محمد (ت ٥٩٧هـ) / **خريدة القصر وجريدة العصر: في ذكر فضلاء أصفهان**، تحقيق: عدنان محمد الطعمة، طهران: آينة ميراث (مرآة التراث)، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
- ابن العمادية، منصور بن سليم بن منصور الإسكندراني، وجيه الدين (ت ٦٧٣هـ/ ١٢٧٥م) / **ذيل تكملة الإكمال**، تحقيق: عبدالقيوم عبد رب النبي، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، معهد البحوث الإسلامية، ١٤١٩هـ.
- عويس، سيد (ت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) / **رسائل إلى الإمام الشافعي، ظاهرة إرسال الرسائل إلى ضريح الإمام الشافعي: دراسة سوسيولوجية**، ط٢، القاهرة: دار الشايع للنشر، ١٩٧٨م.
- عيسى، أحمد (ت ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م) / **تاريخ البيمارستانات في الإسلام**، ط٢، بيروت: دار الرائد العربي، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
- الغبريني، أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبدالله (ت ٧٠٤هـ/ ١٣٠٤م) / **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تحقيق: رابح بو نار، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر [١٣٨٩هـ/ ١٩٧٠م].
- الغزي، نجم الدين محمد بن محمد (ت ١٠٦١هـ/ ١٦٥١م) / **الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة**، تحقيق: جبرائيل سليمان جبور، بيروت:

محمد أمين وشركاه، ١٩٤٥م.

- غنيمة، محمد عبدالرحيم/ **تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى**، تطوان: معهد مولاي الحسن، ١٩٥٣م.

- الفَكُّون القسنطيني، عبدالكريم بن محمد بن عبدالكريم (ت ١٠٧٣هـ/١٦٦٣م)/ **منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية**، تحقيق: أبو القاسم سعدالله، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

- ابن فهد، النجم عمر بن محمد بن محمد (ت ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م)/ **إتحاف الورى بأخبار أم القرى**، تحقيق: فهيم شلتوت، مكة المكرمة: مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، ١٩٨٤م.

- **فهم الصوفية واستشراف أثرها في السياسة الأمريكية**، تقرير صادر عن مركز نيكسون في واشنطن العاصمة، ٢٠٠٤م، إعداد توبياس هيلمستروف، وياسمين سينر، وإيميت توهي، ترجمة: مازن المطبقاني، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م (تقارير خاصة مترجمة، ٣).

- قاري، لطف الله/ **إضاءة زوايا جديدة للتقنية العربية الإسلامية**، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

- ابن قاضي شهبة، تقي الدين أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر (ت ٨٥١هـ/ ١٤٤٨م)/ **تاريخ ابن قاضي شهبة**، تحقيق: عدنان درويش، دمشق: المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، ١٩٩٤م.

- قبطني، فريد/ **طلوع الشمس من مغربها، علم الساعة**، ترجمة: أحمد أمين حجاج أول، بيروت: دار البراق، ١٩٩٩م.

- قطاية، سلمان: «النقد عند علي بن رضوان»، **المورد**، مج١٢، ع٢ (صيف ١٩٨٣م).
- قنواتي، شحاته/ **تاريخ الصيدلة والعقاقير في العهد القديم والعصر الوسيط**، القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٩م (مكتبة الصيدلة والطب).
- الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبدالرحمن الداراني (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م)/ **عيون التواريخ**، تحقيق: نبيلة عبدالمنعم داود، وفيصل السامر، بغداد: وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٨٤م.
- ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٣م)/ **البداية والنهاية**، ط٢، بيروت: مكتبة المعارف، ١٩٧٧م.
- الكندي، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن الصباح (ت نحو ٢٦٠هـ/ نحو ٨٧٣م):
  * «رسالة في استخراج المعمى» في **سلسلة علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب**، الرياض: مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية ومركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.
  * «رسالة يعقوب الكندي في اللثغة»، في مجلة **التاريخ العربي**، العدد الثاني (ربيع ١٤١٧هـ/١٩٩٧م).
- الكوهن المغربي، أبو علي الحسن بن محمد بن قاسم (ت بعد ١٣٤٧هـ/ بعد ١٩٢٨م)/ **طبقات الشاذلية الكبرى المسمى جامع الكرامات العَلِيَّة في طبقات الشاذلية**، وضع حواشيه: مرسي محمد علي، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

- لولح: علاء الدين: «التراث العلمي العربي: أهميته، منهجية قراءته وأساليب التعامل معه» في: **أبحاث المؤتمر الثامن والعشرين لتاريخ العلوم عند العرب، المنعقد في جامعة حلب ٢٥-٢٧ حزيران ٢٠٠٧م**، حلب: جامعة حلب، معهد التراث العلمي العربي، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.
- ماركيز، غابرييل غارسيا/ **مئة عام من العزلة (رواية)**، ترجمة: محمد الحاج خليل، ط٣، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٥م.
- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م)/ **أدب الدنيا والدين**، شرح وتعليق: محمد كريم راجح، ط٤، بيروت: دار اقرأ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- مايرهوف، ماكس (ت ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م): «العلوم والطب» في: **تراث الإسلام**، تأليف جمهرة من المستشرقين بإشراف سير توماس أرنولد، عربه وعلق حواشيه: جرجيس فتح الله، ط٣، بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٨م.
- متز، آدم (١٣٣٥هـ/ ١٩١٧م)/ **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري**، ترجمة محمد عبدالهادي أبو ريدة، ط٤، القاهرة: مكتبة الخانجي، وبيروت: دار الكتاب العربي، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.
- **مجموع لطيف يشتمل على أدعية وأبزاب وفوائد وشرح الجلجلوتية والصلوات الكبرى وبعض فوائد من خواص البسملة بالتمام**، القاهرة: مكتبة الجمهورية، د.ت.
- المحبي، محمد أمين بن فضل الله بن محب الله بن محمد (ت ١١١١هـ/ ١٦٩٩م)/ **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**، بيروت: دار صادر، د. ت (مصورة عن نسخة المطبعة الوهبية في مصر عام ١٢٨٤هـ).

- مرداد، عبدالله بن أحمد أبي الخير (ت ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م) / **المختصر من كتاب نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر**، اختصار وترتيب: محمد سعيد العامودي، وأحمد علي، الطائف: نادي الطائف الأدبي، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
- مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب (ت ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م) / **تجارب الأمم**، القاهرة: شركة التمدن الصناعية، ١٣٣٣هـ/١٩١٥م.
- معروف، ناجي (ت ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م) / **تاريخ علماء المستنصرية**، بغداد: المؤلف (ساعدت جامعة بغداد على طبعه)، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م.
- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبدالقادر (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م):
  * **درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة**، تحقيق: محمود الجليلي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
  * **كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، طبعة جديدة بالأوفست، بيروت: دار صادر، د. ت.
- النبهاني، يوسف بن إسماعيل بن يوسف (ت ١٣٥٠هـ/ ١٩٣٢م) / **جامع كرامات الأولياء**، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، بيروت: دار المعرفة، د.ت.
- النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد (ت ٤٣٨هـ/ ١٠٤٧م) / **كتاب الفهرست**، تحقيق: رضا - تجدد، طهران: [١٣٩١هـ/ ١٩٧١م].
- نصير، عبدالمجيد: «منعطفات مهمة في تاريخ الرياضيات، الحلقة الثامنة، الرياضيات العربية الإسلامية»، **المجلة الثقافية**، ع٢٧ (١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م).

- النعيمي الدمشقي، عبدالقادر بن محمد بن عمر (ت ٩٢٧هـ/ ١٥٢١م) / **الدارس في تاريخ المدارس**، تحقيق: جعفر الحسني، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٨٨م.
- هل، يوسف / **الحضارة العربية**، ترجمة: إبراهيم أحمد العدوي، القاهرة: دار الهلال، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م (كتاب الهلال، ٣٤٢).
- هورخرونية، سنوك / **صفحات من تاريخ مكة المكرمة**، نقله إلى العربية: علي عودة الشيخ، أعاد صياغته وعلق عليه: محمد محمود السرياني، ومعراج نواب مرزا، الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م (مكتبة الدارة المئوية).
- هونكه، زيجريد (١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م) / **شمس العرب تسطع على الغرب، أثر الحضارة العربية في أوروبا**، ترجمة: فاروق بيضون وكمال دسوقي، بيروت: المكتب التجاري للطباعة والتوزيع، د.ت.
- واسرشتاين، ديفد: «مكتبة الحكم الثاني.. المستنصر وثقافة إسبانيا الإسلامية»، ترجمة وتعليق: عبدالرحمن العكرش، **مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية**، مج١، ع١ (المحرم - جمادى الآخرة ١٤١٦هـ/ يوليو - ديسمبر ١٩٩٥م).
- **الوحدة والتنوع في الحضارة الإسلامية**، تحرير ج. أي. فون كرونباوم، ترجمة: صدقي حمدي، بغداد: مكتبة المثنى، ١٩٦٦م.
- الوكيل، عبدالرحمن (ت ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م) / **هذه هي الصوفية**، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٧٩م.
- وهبي، صالح: «مقامات وأضرحة أهل البيت وبعض الصحابة في مدينة دمشق وريفها ودورها في السياحة الدينية»، **مجلة جامعة دمشق للآداب**

والعلوم الإنسانية، عدد خاص (دمشق عاصمة الثقافة العربية لعام ٢٠٠٨م).

- ياقوت الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبدالله (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م)/ **كتاب معجم البلدان**، تحقيق: محمد أمين الخانجي، القاهرة: محمد أمين الخانجي، (مطبعة السعادة)، ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م.

-- Mackensen, Ruth. S: "Arabic books and the libraries in the Umayyad Period" **American Jounerl of Semetic Languages and Literatures** 23, 24 (1936-1937).

-- Rashed, Roshdi: Les mathematiques infinitesimales duIXau X1 Siecle. Volume 11, Ibn Al-Haytham.- London: Al- Furqan Islamic Heritage Fouindation, 1993.

-- Soares, Benjamin F "Saint and Sufi in Cntomparay Mali" in: **Sufism and the modern' in Islam Edited by Mortin Van Bruinessen and Julia Howell**, London: I. B. Tauris?.

-- **1001 Inventions: Muslim Heritage In our World**, Chief Editor Salim T S Al-Hassani, Co-Editors Elizabetr Woodeork and Rebah Saoud, Manchester: Foundation For Science Technology and Civilisation, 2006, p9.

الكشاف العام



(آ-ا)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(د)

(ش)

(ص ـ ض)

(ط ـ ظ)

(ق)

(ك)

(ن)



دَار الغَرب الإسلامي

تـونـس

لصاحبها : الحبيب اللمسي

6 نهج الدالية بالفي - تونس - تلفون: 0021671393360 - فاكس: 0021671396545 - خلوي: 216-96-346567

DAR AL-GHARB AL-ISLAMI - B.P.: 200 - R.P. 1015 TUNIS

الرقم : 516/ 1000/ 12/ 2010

التنضيد : المؤلف ـ الرياض

الطباعة : دار صادر ـ بيروت ـ لبنان



AL-MUJTAMAʿ AL-ʿARABĪ

Min Siyādat al ʿIlm ila Waḥl al-Khurāfah

By

Dr. Yahya M. Bin Junaid

King Faisal Center for Research and Islamic Studies



DAR AL-GHARB AL-ISLAMI

TUNIS